

سلسلة التراث الإنجيلي

حقيقة الإنجيل

تفسير رسالة بولس الرسول
إلى أهل رومية

تأليف

ستيوارت أوليوت

ترجمة

القس رفعت فتحي

مراجعة / د. فيكتور صموئيل بدروس

اسم الكتاب : حقيقة الإنجيل "تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية"

المؤلف : ستيوارت أوليوت

الجمع : الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط

الطبعة : شركة الطباعة المصرية ت: ٤٦١٠٠٥٨٩ / ٤٦١٠٢٠٩٥

الناشر : الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط

جميع حقوق النشر محفوظة للرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط فلا يجوز أن يستخدم اقتباس أو إعادة نشر أو طبع بالريزو أو بأي صورة أخرى للكتاب أو أي جزء منه إذن الناشر وللناشر وحده حق إعادة الطبع.

رقم الإيداع : ٢٠٠٨ / ١٨٦٤

تقديم

تعريب ونشر هذا التفسير المهم لرسالة رومية الإنجيلية إنجاز مهم لفائدة الكنيسة العربية بكافة طوائفها. معروف أن رسالة رومية هي التي استخدمها الرب لتفجير الإصلاح الإنجيلي بسبب رسالتها الأساسية عن نعمة الله التي تبرر البشر الخطاة البائسين بالإيمان على عمل الله الخلاصي الكامل في المسيح يسوع.

والدكتور القس ستيوارت أليوت يتمتع بموهبة خاصة في تبسيط ما يبدو صعباً وربط محتويات الوحي المبارك ببعض في الانسجام والتكامل الذين ينيرا الأذهان ويطمئنا القلوب. والرابطة الإنجيلية يسعدها إضافة هذا التفسير النافع لقائمة نشرات التراث الإنجيلي العربي.

القس/ فيكتور عطا الله

المدير/ العام المؤسس

الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط (ميرف)

مقدمة

الكتاب المقدس هو قصر ملوكي، مكوّن من ست وستين غرفة. هذه الغرف بعضها صغير، والبعض الآخر كبير متسع، بعضها نورها ساطع، والبعض الآخر تنقصه الإضاءة. لكن الأمر العجيب في هذا القصر أن من يدخل أي غرفة من غرفه، فلا بد وأن يتقابل مع الملك هناك.

ورسالة رومية هي واحدة من أمجد هذه الغرف، وبسبب النور الموجود فيها؛ فإن الملك يظهر بأكثر وضوح فيها، ومع ذلك فإن معظم الناس يجدون صعوبة كبيرة في الدخول إلى تلك الغرفة.

هذا الكتاب المختصر هو مفتاح، يمكنك أن تستخدمه في أن تدخل بنفسك إلى رسالة رومية، وعندما تفعل ذلك، يكون من السهل عليك أن تستخدم التفاسير الكثيرة المتاحة، والتي من الممكن أن تقدم لك تفصيلات أكثر. بعض هذه التفاسير يمكن أن تظهر لك كل ما يمكن أن يُرى في هذه الرسالة.

لكن ما فائدة هذه التفاسير إذا ما بقيت خارجًا. لا تقضي وقتك في مجرد اختبار المفتاح، عليك أن تستخدمه في الدخول. ليت الملك يُسرّ أن يعلن لك عن نفسه، بمجرد أن تفتح الباب.

ستيوارات أوليوت

ليفربول - ١٩٧٩

الفهرس

صفحة

٤	مقدمة
٧	حقيقة الإنجيل (رومية ١ - ٥)
٨	من؟ ماذا؟ لماذا؟ (١: ١ - ١٧)
١٥	خطية الإنسان وغضب الله (١: ١٨ - ٣٢)
٢٢	الدينونة (٢: ١ - ١٦)
٢٩	لا يمكن أن يصيبي هذا (٢: ١٧ - ٢٩)
٣٥	بعض الاعتراضات والرد عليها (٣: ١ - ٢٠)
٤٢	الطريق الوحيد للخلاص قد أعلن في الإنجيل (٣: ٢١ - ٣١)
٤٨	مثال من العهد القديم على التبرير بالإيمان (أصحاح ٤)
٥٥	بركات التبرير (٥: ١ - ١١)
٦١	آدم الأول وآدم الأخير (٥: ١٢ - ٢١)
٦٨	الآن أمور مختلفة (رومية ٦ - ١١)
٦٩	السيد القديم والسيد الجديد (٦: ١ - ١٤)
٧٦	العبودية والحرية (٦: ١٥ - ٧: ٦)
٨٣	ماضي المؤمن وحاضره (٧: ٧ - ٢٥)
٩١	الحياة المسيحية الطبيعية (٨: ١ - ١٧)
٩٨	الآلام الحاضرة - مقدمة للمجد (٨: ١٨ - ٣٩)

١٠٥	إسرائيل الله (٩: ١ - ٢٩)
١١٥	إعلان الخلاص الحقيقي (٩: ٣٠ - ١٠: ٢١)
١٢٢	هل أنهى الله علاقته باليهود؟ (١) (١١: ١ - ١٦)
١٢٩	هل أنهى الله علاقته باليهود؟ (٢) (١١: ١٧ - ٣٦)
١٣٨	الحياة المسيحية (رومية ١٢ - ١٦)
١٣٩	إرادة الله (أصاح ١٢)
١٤٧	المسيحي والدولة (١٣: ١ - ٧)
١٥٥	تصرف المسيحي في المجتمع (١٣: ٨ - ١٤)
١٦٢	اختلاف الضمائر (أصاح ١٤)
١٧٢	الأخوة الحقيقية (١٥: ١ - ١٣)
١٧٩	خطط بولس وعمله (١٥: ١٤ - ٣٣)
١٨٧	لمحة عن بعض المسيحيين الأوائل (١٦: ١ - ١٦)
١٩٥	تعليقات ختامية (١٦: ١٧ - ٢٧)

حقيقة الإنجيل

(رومية ١ – ٥)

اقرأ رومية ١: ١ - ١٧

من؟ ماذا؟ لماذا؟

لم يزر بولس الرسول كنيسة روما على الإطلاق، مع أنه كثيرا ما نوى على ذلك. لقد تأسست كنيسة روما من المسيحيين العاديين، الذين وجدوا أنفسهم معًا في مدينة واحدة، والذين قدّموا شهادة لأصدقائهم وجيرانهم. ولأن زيارة الرسول بولس لهم لم تتم؛ لذا قرر أن يكتب إليهم، وبدلاً من أن يقدم لهم بشخصه، الملامح الأساسية للإنجيل، قدم لهم هذه الملامح من خلال قلمه، وكان من نتيجة ذلك أن الفائدة قد عمت كل الكنيسة المسيحية. ليتنا نقرأ لأنفسنا، ما كان سيسمعه المسيحيون الأوائل، لو كانت رحلة بولس الرسول إلى روما قد تمت. وهذا في حد ذاته امتياز عظيم لنا.

عندما يبدأ المؤمن في فهم رسالة رومية، فلا شك أن حياته الروحية سوف تتأثر بشكل ملحوظ. ستتضح له الحقيقة الكتابية للإنجيل، وسيرى أيضاً أن ما يحسبه الناس إنجيلاً اليوم، ليس هو إنجيل الله على الإطلاق، وسوف يدرك المؤمن مدى الارتباط بين الكتب المقدسة ببعضها البعض، ولاسيما الارتباط بين أسفار العهد القديم وكتب العهد الجديد، ويندهش المؤمن حينئذ بما عمله الله في المسيح من أجل الخطاة. وليس غريباً بعد ذلك أن نرى أن كل نهضة روحية كتابية، كانت مرتبطة بفهم جديد لرسالة بولس الرسول إلى أهل رومية.

من الممكن أن يُجرب الإنسان، بمحاولة كتابة مقدّمة مثيرة لهذه الرسالة المجيدة، لكن المشكلة هي، أنك مهما حاولت أن تمتدح هذه الرسالة، فإنك لن

تستطيع أن تفهمها حقها. إنها أمد بكثير من كل ما يمكن أن يقال فيها. الطريق الوحيد لإدراك هذا، هو أن تختبرها بنفسك.

دعونا إذا نتقدم إلى الأعداد السبع عشرة الأولى، ولنترك الرسالة تقدم نفسها.

الكاتب: مَنْ الذي كتب الرسالة ؟

إنها رسالة من مسيحي. يصف بولس الرسول نفسه في العدد الأول بأنه عبد للمسيح، وفي العدد الخامس يقول إنه قد قَبِلَ نعمة. ويقول: أنا أكتب إليكم كشخص وضع نفسه بالكامل تحت تصرف يسوع المسيح، وكَمَن نال رحمة لا يستحقها، وحياة من الله في روحه.

في مكان ما في كورنثوس، عام ٥٧ م، بدأ بولس المسيحي، يكتب إلى أتباعه من المسيحيين. لم تكن نحن على قيد الحياة في ذلك الوقت، لكن هذه الرسالة - التي حُفِظت كاملة - هي في متناول أيدينا اليوم. ليس هناك حاجة إلى التخمين عما كان يؤمن به المسيحيون الأوائل، ولا عن الإنجيل الذي كانوا يتمسكون به، ولا عن رسالتهم التي قلبت العالم رأساً على عقب. دعونا نقرأ هذه الرسالة لنفوسنا.

إنها من رسول، كما رأينا في العديدين ١، ٥، ولا يوجد رسل في أيامنا هذه. إن الرب المُقام فَوْضَ بعضاً من الرجال الذين شهدوا قيامته، ليكونوا المعلمين والمفسرين للأمور الروحية. هؤلاء الرسل كانوا أساس الكنيسة، وكان لهم سلطان فريد. لقد كانوا يتكلمون بسلطان المسيح نفسه، وأقوالهم المكتوبة يجب أن نستقبلها، بنفس الطريقة التي نستقبل بها الكلمات التي نطق بها المخلص. هذا ما يجعل رسالة رومية أكثر من مجرد خطاب هام، من أحد المسيحيين الأوائل. إن لها سلطاناً رسولياً، لذا فالرسالة مُلزِمة لنا. إنها كلمة الله.

إن هذه الرسالة من *مُرْسَل متحمس*؛ ففي العدد الأول يعلن بولس الرسول، أنه مفرز لإنجيل الله، ويخبرنا في العدد الخامس، أنه معيّن ليُحْضِر الناس من كل الأمم لإطاعة الإيمان، ويؤكد لنا في العدد التاسع أنه يخدم الله بروحه في إنجيل ابنه، ويظهر لنا في العدد ١٤، ١٥ أن كرازته بالإنجيل للآخرين هي دَيْن لا يمكن أن يتملّص منه. لقد كان الإنجيل هو هدف حياته، وكان التزامه به تامًّا؛ لذا كان عليه أن يكرز بالإنجيل كَمَن يسدد دينًا عليه. لقد وضع في اعتباره أنه لابد وأن يكرز بالإنجيل لكل أجناس البشر، وكان يتوق أن يكرز به في روما أيضًا. إن رسالة رومية ليست رسالة جافة، كتبها لاهوتي قديم، دون مشاعر أو حماس، مخبأة في مكتبة تعلوها الأتربة والغبار. إنها رسالة من رجل ارتبط بالعمل المرسلي، من جندي في ميدان المعركة، من إنسان ذاق السجن والغرق في سفينة، والتعرض لمثيري الشغب، والجوع والمرض والافتراء عليه والخسارة. كل ذلك من أجل الرسالة التي كان يكرز بها. إنها رسالة من إنسان كان يقضي كل وقته في إعلان الإنجيل (الأخبار السارة)، إنسان لا يمكن أن يعوقه عائق عن إتمام رسالته. والإنجيل الذي كرز به بولس الرسول، والذي به تأسست كنائس العهد الجديد، هو الإنجيل الذي سوف يلخصه في رسالته.

إن هذه الرسالة من إنسان كان يضع اهتمامات الكنائس على قلبه. انظر إلى الأعداد ٩ - ١٣، لقد كان بولس الرسول يصلي باستمرار من أجل المسيحيين في روما، وكانت طلبته الخاصة أن يفتح له الله الطريق ليذهب إليهم ويراهم. لقد كان يتوق إلى إفادتهم، وإلى أن يستفيد هو أيضًا من وجوده في شركته معهم. وبالرغم من أنه لم يتقابل مع معظمهم، إلا أن محبته لهم كانت فائقة. لم تكن وجوههم معروفة له، ومع ذلك كان لديه إحساس بالشركة معهم. لقد كانت رغبته في إفادتهم، هي التي دفعته لكتابة رسالته؛ لذلك نحن نتوقع أن هذه الرسالة سوف تفيدنا نحن أيضًا.

القرءاء (الذين كُتبت لهم الرسالة):

في العدد ٧ يبعث الرسول بكلمات البركة لكل الذين يرسل لهم تحياته. هؤلاء هم سكان روما، الذين تميزوا بصفات خاصة: الصفة الأولى أنهم كانوا أحبباء لله، ومدعوين ليكونوا قديسين. إن الرسول يكتب لأولئك الذين هم موضوع محبة الله الأبديّة. كيف يمكن أن تميز هؤلاء الناس عندما تراههم؟ سوف يخبرنا بولس الرسول عن ذلك بأكثر تفصيل في الأصحاح الثامن، لكن الإجابة الموجزة هي: أن هؤلاء الذين قد أحبهم الله محبة أبدية يدعوهم الله. لقد كُرس بالإنجيل في روما، وقد سمعه الناس بآذانهم، لكن بعض الناس قبلوه في قلوبهم، وتابوا عن خطاياهم، واختاروا أن يرتبطوا بيسوع المسيح كما قُدم إليهم في الإنجيل. هذه هي الدعوة التي يتحدث عنها العهد الجديد، والمُشار إليها في العديدين ٦، ٧. وكل شخص قبل هذه الدعوة هو قديس - أي شخص مخصص لله - اختاره الله ليكون شخصًا مقدسًا.

والذين قد قبلوا هذه الدعوة لديهم جميعًا الإيمان كما يتضح من العدد ٨. والإيمان هو تصديق كلمة الله. وقد كان إيمان المسيحيين في روما إيمانًا متميزًا، حتى أن بولس حيثما ذهب، كان يسمع الناس يتحدثون عن ذلك الإيمان. لقد كان بولس الرسول يكتب لهؤلاء الذين لهم هذا الإيمان. هؤلاء الذين لم يكف بولس الرسول عن الصلاة من أجلهم (عدد ٩). لقد كان يشعر أنه يرتبط بهم بتوحد فريد (عدد ١٠ - ١٢). ومع أن معظم هؤلاء كانوا من الأمم (عدد ١٣)، إلا أن بعضهم كانوا يهودا، كما سنرى فيما بعد.

من المهم أن نلاحظ أن القرءاء كانوا من الرجال والنساء العاديين، في الكنيسة المحلية في روما. وهذه الرسالة ليست وثيقة كُتبت ليقراها طلاب كليات اللاهوت أو الأكاديميين، ولم يُقصد بها أن تكون بحثًا لخبراء لاهوتيين، كما أنها ليست تعليمات متخصصة لقادة في الكنيسة، ولا محاضرة مكتوبة للوعاظ والرعاة. إنها رسالة لأشخاص عاديين. إن رسالة رومية هي

الإنجيل، الذي آمنت به كنائس العهد الجديد. إنها الإنجيل الذي أحبه وعاش به المؤمن العادي. إنها الإنجيل الذي آمن به الرجال والنساء، الأولاد والبنات، الذين خلصوا بنعمة الله في مدينة روما. إن السبب الرئيسي لضعف الكنائس اليوم؛ أن الإنجيل الذي يُقدَّم في تلك الكنائس، والذي ينادي به أناس عاديون، لا يحمل إلا القليل من التشابه مع الإنجيل الموجود في رسالة رومية.

الموضوع: ما هو موضوع الرسالة؟

إن الرسالة تتحدث عن الإنجيل. هذا يتضح تمامًا من أقوال بولس الرسول الافتتاحية؛ حيث يتحدث عن كونه مُفَرِّزًا للإنجيل (عدد ١). وفي الأعداد ١٥ - ١٧ يؤكد على حقيقة أنه مستعد أن يبشر بالإنجيل في روما أيضًا. والسؤال هنا: "لماذا أراد أن يذهب إلى روما؟" والإجابة هي: "ليبشر بالإنجيل!" ولماذا اكتفى بأن يكتب إليهم؟ الجواب على ذلك: "أن الرسول لم يتمكن من الذهاب إلى روما؛ لذلك فعل بقلمه ما لم يستطع أن يفعله بشفتيه". رسالة رومية إذاً هي شرح وتلخيص للإنجيل.

ما هو أصل هذا الإنجيل؟

إنه ليس دعوة بشرية، إنه إنجيل الله (عدد ١). إنه ليس فكرة قد خطرت مؤخرًا على الله. إنه الأمر الذي أشارت إليه أسفار العهد القديم. ليس هناك رسالة في العهد القديم، وأخرى في العهد الجديد. إن الإنجيل ذروة وتحقيق كل ما وعد به الله بواسطة أنبيائه.

ما هو مركز الإنجيل ؟

إن مركز الإنجيل هو ابن الله، ربنا يسوع المسيح (عدد ٣). الإنجيل هو شخص، إنه إنسان، وهو أيضا الله. إنك تستطيع أن تتتبع نسبه البشري، وسوف تجد أنه ينحدر من نسل داود. لقد سار على أرضنا ولم يكن معروفاً. قليلون فقط هم الذين استطاعوا أن يميزوا الهوية الحقيقية ليسوع الناصري، وهؤلاء لم يدركوا ذلك إلا بسبب إنارة الروح القدس. وقد أعلنت الهوية الحقيقية للرب يسوع المسيح بصورة قوية، عندما قام من الأموات. ومنذ انسكاب الروح القدس - بعد صعود الرب يسوع المسيح إلى السماء - فإن عدد الذين يمكن أن يميزوا هويته الحقيقية، ازداد بصورة هائلة. لذلك " قد تعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات " (عدد ٤). هذا الشخص الإلهي، هو مركز ولب إنجيل الله.

ما هو محتوى هذا الإنجيل؟

انه ليس مجرد الإعلان عن من هو يسوع المسيح، بل أيضا إعلان عما قد عمله. والأعداد ١٦، ١٧ تظهر لنا بوضوح أن الكلمة المفتاحية للكراسة بالإنجيل هي "البر". إن إنجيل يسوع المسيح يوضح كيف يمكن للرجال والنساء أن يكونوا في وضع يرضي الله. إن الله قدوس وبار، والناس خطاة وفاسدون، فكيف يمكن لأناس هكذا، أن يدخلوا في علاقة صحيحة مع مثل هذا الإله؟ إن الإنجيل يجيبنا عن ذلك، ففي الإنجيل قد أعلن بر الله. إنه ليس البر الذي يمكن أن نستحقه، إنه البر الذي أعلن بإيمان لإيمان. الإنجيل يبدأ بالإيمان، وينتهي بالإيمان. إن كل الإنجيل هو كيفية تصحيح علاقة الناس مع الله بواسطة الإيمان. الإيمان في من؟ الإيمان في يسوع المسيح، الإله والإنسان. إن الشخص البار "بالإيمان يحيا"، كما سبق وعلمَ حبقوق النبي في العهد القديم.

ما هي قوة هذا الإنجيل؟

تكمّن قوة الإنجيل في كونه الوسيلة التي يستخدمها الله لخلاص البشر. لكن من هم الذين يخلصهم؟ والإجابة: "كل من يؤمن به . يهودي أو أممي" (عدد ١٦).

إنه قوة الله لكل من يؤمن به. وبواسطة الكرازة بهذه الرسالة؛ يحضر الله رجالاً ونساءً ليكونوا في علاقة صحيحة معه. ليس كل من يسمع يخلص، لكن كل من يؤمن، وهذا ينطبق على اليهودي أولاً، وينطبق أيضاً على كل من يؤمن من الأمم.

بهذا الشكل يقدم بولس الرسول تلخيصاً وشرحاً للإنجيل. إنه لأمر رهيب أن تجهل رسالة الخلاص الوحيدة التي قد أعلنها الله. ولا ينبغي أن نكون جاهلين أو مشوّشين فيما بعد. إننا نمتلك المفتاح في أيدينا، وقد بدأنا نضعه في القفل، وابتدأ الباب يُفتَح قليلاً، وبقليل من الجهد؛ يمكن أن ندخل بالفعل إلى إدراك ما قد قاله بولس الرسول.

اقرأ رومية ١ : ١٨ - ٣٢

خطية الإنسان وغضب الله

لقد عرفنا أن إنجيل الله الذي مركزه الرب يسوع المسيح، يعالج موضوع البر (عدد ١٧). وبكلمات أخر، يتحدث الإنجيل عن كيفية تبرير الإنسان أمام الله. لكن هذا الكلام يكون بلا قيمة؛ إذا لم ندرك أن الإنسان بطبيعته ليس باراً أمام الله.

في هذه الفقرة، يصف بولس الرسول طبيعة خطية الإنسان ومداهها. إنه يقدم لنا صورة بغیضة وريهة عن فسادنا، ويتقدم في وصفه ليخبرنا أن الله غاضب على البشر. الرجال والنساء - ويؤكد على غضب الله في كل جزء من أجزاء هذه الفقرة.

ومع ذلك لا يجب أن نغض الطرف عن الأمور التي سبق أن ذكرها؛ فالإنجيل يعلن أن البشر - رجالاً ونساء - يمكن أن يتبرروا أمام الله، خطاياهم يمكن أن يصفح عنها، ويمكن لهم أن يُحسَبوا أبراراً في نظر الله، ويتحول غضبه عنهم. وكل هذا ينالونه بالإيمان، وليس لأنهم يستحقون ذلك. كل مَنْ يؤمن يمكن أن يُحسب له هذا البر.

ولا غرابة إن كان بولس الرسول لا يستحي بإنجيل المسيح؛ لكنه على استعداد أن يبشر به في كل مكان؛ حتى في روما (عدد ١٥، ١٦). وعندما نتناول الآن تفاقم شر الإنسان، ومقدار غضب الله؛ يجب علينا أن نبتهج لأنه يوجد مثل هذا الإنجيل، الذي يستطيع أن يخلص مثل هؤلاء الخاطئة.

خطية الإنسان

دعونا نقرأ ما يقوله بولس الرسول عن خطية الإنسان. إنه يصفها أولاً بأنها متعمدة. اقرأ الأعداد ١٩ - ٢١، ٢٨، ٣٢.

الكل يعرف أن الله موجود، وكل إنسان لديه معرفة فطرية بالله، كتبها الله في داخله. ومهما كان الإنسان عنيداً، فإن هذا الاقتناع الداخلي يصعب عليه أن يتجاهله (عدد ١٩). والخلقة التي تحيط بالإنسان تخبره بنفس الرسالة، فالأشياء التي صنعها الله تعلن ألوهيته. إنها تعلن هذه الرسالة منذ أن عملها الله ولا زالت تعلن هذا. إنها تشهد بوضوح أن هناك شخصاً سرمدياً، قوياً، عظيماً، غير منظور (عدد ٢٠).

لا عذر إذن لمن يدّعي بأنه يجهل وجود الله؛ فإنه من السهل إدراك أن هناك إلهاً غير منظور (عدد ٢٠). كل إنسان يعرف أن الله موجود (عدد ٢٨)، ليس ذلك فقط، بل أيضاً مكتوب في ضمير كل إنسان، أن هذا الإله سيأتي بكل شرير إلى الدينونة (عدد ٣٢).

رغم كل هذه المعرفة فلننظر إلى ما يفعله الإنسان، إنه يحجز الحق بالإثم. هذه هي الترجمة الصحيحة للجزء الثاني من عدد ١٨ من اللغة اليونانية التي كتبت بها الرسالة. إن الإنسان يعرف الحق عن الله، لكنه يستبدل هذا بما يعرف أنه كذب، ويعطي ولاءه الأول والأساسي للأشياء المنظورة، والأشياء التي عملها بيديه (عدد ٢٣، ٢٥). ومن هذه النقطة يسير من سيئ إلى أسوأ. إن قائمة الخطايا الموجودة في أعداد ٢٦ - ٢٧، ٢٩ - ٣٢، لا توجد مجتمعة في كل إنسان على الأرض، لكنها موجودة في كل مجتمع بشري. إن الرغبات المخزية والشرور التي ذكرها بولس الرسول، ما هي إلا وصف للإنسان أينما وُجد. إنه يفعل كل هذه الخطايا، رغم أنه يعرف أنه يجب ألا يفعلها. إنه يعرف ذلك جيداً، وضميره يذكره بالله وبالدينونة، ومع ذلك يستمر في طريقه. إن خطيته متعمدة.

نأتي إلى الصفة الثانية، التي يصف بها بولس الرسول خطية الإنسان. إنها خطية بلا مبرر. لا يوجد إنسان في أي مكان أو زمان، يمكن أن يقدم مبررًا مثل هذا: "لم أكن أعرف أنه يوجد إله، لم أكن أعرف أفضل من ذلك. لم يخبرني أحد، لم أكن أعرف أن ما أفعله خطأ. لم يخطر ببالي أن الله سيحتملي مسؤولية أفعالي. كنت أجهل تمامًا أنني سأدان بسبب الطريقة التي عشت بها".

لا أحد يمكنه أن يقدم مثل هذه الإجابات. كل شخص على الأرض يعرف أن الله موجود. إنه يعرف القليل عن ما هو الله، لكنه يعرف أن هناك ما هو صحيح تمامًا، وهناك ما هو خطأ تمامًا. إنه يعرف أنه سوف تكون هناك دينونة. إن عمق خطية الإنسان يتمثل في أنه بالرغم من معرفته بكل هذه الأمور، إلا أنه يقدم أعذارًا لأعماله، ويستمر في خطايه؛ بل ويستمتع بارتكابها (عدد ٣٢).

هذه هي الحالة المرعبة التي سقطت فيها البشرية. لقد أصبح الإنسان في هذه الحالة؛ لأنه رفض أن يمجّد الله كإله (عدد ٢١)، ورفض أن يعرفه كالخالق لكل صلاح، الذي يجب أن يقدم له الشكر (عدد ٢١)، ورفض أن يُبقي أي معرفة عن الإله الحقيقي في ذهنه (عد ٢٨). إن الإنسان ليس بارًا؛ لأنه شرير، وهذا يفسر ترتيب الكلمات الموجودة في عدد ١٨. إنه يتخلّى عن الله، هذه هي بداية الشر، بل و السبب في استمراره. هذا يفسر أيضًا السبب في كل مظاهر العنف على أرضنا في العصر الحاضر. إن أخلاقيات الإنسان تتناسب مع مدى اعترافه بالإله الحي الحقيقي.

النتائج

ما هي نتائج تخلي الإنسان عن الله؟ النقطة الأساسية، هي أن الإنسان كائن فاسد، طبيعته ملتوية، وبالتالي أفعاله كذلك.

إن الإنسان فاسد د/خلّيًا . إنه خاطئ من الداخل، وهذا الفساد يؤثر في كل أحكامه ومشاعره، وبالتالي في اختياراته. إن أفعال الإنسان تتناغم مع طبيعته الداخلية. صحيح أن الخطايا المذكورة في هذا الأصحاح لا يرتكبها إنسان بجملتها. لكن الجميع لديهم نفس الطبيعة، التي تصدر منها هذه التعديات الفعلية. الكل مذنبون في بعض هذه الخطايا، بينما البعض مذنبون فيها كلها.

إن العقل البشري لا يقبل الفراغ، فعندما يُطرد الحق الذي مصدره الله، فإن الأكاذيب تحل محل هذا الحق. لقد أصبحت أفكار قلب الإنسان شريرة، وغير معقولة. صحيح أن الإنسان يظل عاقلًا، لكنه مع ذلك لا يدرك الحق. إنه أكثر استعدادًا أن يعتنق الشر، من أن يقبل إعلان الله. إن قلبه مظلم. إدراكه ومشاعره واختياراته ليس فيها نور. لقد مضى الحق وحل محله البهتان والحقاقة (عدد ٢١).

كل هذا لا يُثني الإنسان عن الاعتقاد بأنه حكيم (عد ٢٢). إنه يظن بما أراد أن يظنه - عندما أكل الثمرة المحرمة في جنة عدن - أنه يكون كالله. إنه يعتقد أنه لا يستحيل عليه شيء؛ و لا يوجد شيء لا يستطيع أن يكتشفه. لكن الحقيقة أن الإنسان قاصر عن المعرفة الحقيقية لأي شيء. فمثلاً عندما يبحث في الكون الذي خلقه الله فإنه يُبقي الله بعيدًا تمامًا عن حساباته؛ وبذلك فإن كل مفهومه عن الكون يكون خاطئًا. إنه يدعي الحكمة، وفي نفس الوقت يكشف عن جهله. إنه يعيش على الأرض كشخص تتحكم فيه طبيعته البهيمية.

حقًا إن ذهنه فاسد ومرفوض (عدد ٢٨). إن كلمة مرفوض هنا تشير إلى معدن، أجري عليه اختبار لمعرفة نوعه؛ فوجد زائفًا (مرفوضًا). إن ذهن الإنسان لا يقبله الله، إنه يرفضه. إنه ذهن يخلو من الحكم الإلهي على الأمور. إنه عاجز عن فهم وتقدير وحب الأمور الإلهية؛ بل على النقيض يتمادى في عمل ما يغضب الله. هذا هو فساد الإنسان الداخلي.

هذا الالتواء في طبيعة الإنسان، يعني أنه منحرف خارجيًا أيضًا. لأن أفكاره خاطئة؛ فهكذا تكون أفعاله أيضًا. لا شك أن الوراثة والبيئة والتربية والتعليم وغيرها من العوامل، تلعب دورها في التأثير على سلوك الإنسان، لكن تفسير انحطاط الإنسان أخلاقيا وأنانيته ووحشيته، لا بد وأن يرجع إلى طبيعته الفاسدة، وأي حل لمشكلة الإنسان لا يضع فساد الطبيعة الإنسانية في الحسبان، لا يكون حلاً على الإطلاق.

إن الوثنية المذكورة في عدد ٢٣، ٢٥ والشهوات في عدد ٢٤، والميول الفاسدة في عدد ٢٦ - ٢٧، وقائمة الشرور التي تملأ بقية الأصحاح؛ تمثل كلها الثمار المرّة لانحراف طبيعة الإنسان. لقد خُلِق في الأصل على صورة الله؛ لكنه عندما حاول أن يصوّر الله من خياله فإن انحطاطه الأخلاقي أصبح محتوماً (عدد ٢١). إنه رفض خالق الطبيعة؛ لذلك تُرك لينحرف عن نظام الطبيعة (عدد ٢٦ - ٢٧)؛ فصار قلبه مستنقع حمأة من الآثام، وعالمه مستنقعاً للقذارة والعفونة (عدد ٢٨ - ٣١)، ومع ذلك فهو يستمتع بخطاياهم، ويستمتع برؤية الآخرين يفعلونها أيضًا (عدد ٣٢). إنه مستمر في خطاياهم؛ رغم أنه يعلم - تمام العلم - أن هذه الخطايا ستأتي به إلى الدينونة، وهذا ينم عن عمق شره وإثمه، ويُظهر عجزه الكامل عن خلاص نفسه.

غضب الله

هذا النص لا يتحدث فقط عن خطية الإنسان؛ لكنه يحتوي أيضًا على تعليم مهيب عن غضب الله. إنه يعلن بكل وضوح، أن الله غاضب.

إن عدد ١٨ يستحق أن نوليّه انتباهًا خاصًا. إن موقفنا خطير، وغضب الله يثبت ذلك. إن الله غاضب ليس فقط على بعض الخطايا؛ ولكن على كل خطية. هذا الغضب ليس فقط من الخطايا نفسها؛ ولكنه موجّه إلى شر وإثم الناس الذين يفعلونها. إن الله لا يتغاضى عن الخطية. إنها تجلب اشمئزازه المقدس؛ إنه يكرهها. هناك سيل جارف من غضب الله البار على الخاطيء. إن

رد فعله على الخطية شديد وبصفة شخصية، ومع ذلك بدون أي من المشاعر الإنسانية الحائرة التي نختبرها في وقت الغضب. إن غضب الله غضب مقدس؛ وبالرغم من ذلك هو غضب. إنه ليس غضب الضعيفة أو الحقد والخبث، ومع ذلك فهو غضب لا يهدأ. إن الله نار آكلة، مخيف هو الوقوع في يدي الرب.

إن عدد ١٨ لا يخبرنا ببساطة أن هذا الغضب سوف يُعلن في وقت ما في المستقبل. إن بولس الرسول يكتب في زمن المضارع، وهذا معناه أن الله غاضب/الآن. إنه لا يتابع أحداث العالم بكسل وتراخي، وهذا يظهر في عدد ٢٤، ٢٦، ٢٨، التي تتحدث عن تخلي الله عن البشر. إنه تركهم لشركهم.

تأمل في عدد ٢٣، ٢٤. إن الناس يفضلون أن يتعبدوا للأشياء التي صنعوها، عن أن يعبدوا الله؛ لذلك يسلمهم الله إلى شهواتهم. إنه يتركهم تركاً فعلياً. لقد صاروا عبيداً لرغباتهم الشريرة، وعليهم أن يتحملوا العواقب. إن الأشياء التي اختاروها لها تأثيرات وخيمة، لذا سيصيرون في أشر انحطاط.

انظر إلى عدد ٢٥ - ٢٧. يُظهر عدد ٢٥ أن الناس يحبون ما قد حرّمه الله. إنهم يهتمون برغباتهم أكثر من اهتمامهم بالحق. إنهم يحبون ما صنعوه أكثر من محبتهم لخالقهم. إنهم يفضلون الزائل عن المجيد؛ لهذا أسلمهم الله إلى رغباتهم المفرطة للخطية (عدد ٢٦، ٢٧)، والانحرافات الجنسية وما ينجم عنها من عواقب شخصية. إن الأمة المليئة بالانحرافات الجنسية، هي أمة تحت الدينونة بالفعل، وينتظرها مزيد من الانحطاط، كما يشهد بذلك تاريخ سدوم وعمورة في العهد القديم.

في عدد ٢٨ واضح أن الناس لا يريدون أن يبقوا الله في أذهانهم؛ لذلك أسلمهم الله للذهن المرفوض الذي أرادوه، ذهن دون ضابط إلهي. والذهن المرفوض لا يستطيع أن يفعل إلا الأشياء غير الصالحة وغير المهيبة، ويعقب ذلك خليط من الشرور، التي تتضح في عدد ٢٩ - ٣٢. إن هؤلاء الذين قد

خُلِقُوا عَلَى صُورَةِ اللَّهِ، عِنْدَمَا أَبْعَدُوا اللَّهَ عَنْ أَذْهَانِهِمْ، أَصْبَحَتْ مَعَامِلَاتُهُمْ غَيْرَ مَهْذَبَةٍ. وَالْخَطِيئَةُ الَّتِي تَكُونُ ضِدَّ اللَّهِ، تَقُودُ إِلَى خَطَايَا ضِدَّ النَّاسِ، وَهَذِهِ الْخَطَايَا تُشَكِّلُ الْجُزْءَ الْأَكْبَرَ مِنْ قَائِمَةِ الْخَطَايَا الَّتِي يَخْتَتِمُ بِهَا الْأَصْحَاحُ.

هَذِهِ دِينُونَةُ اللَّهِ عَلَى الْأَشْرَارِ، إِنَّهُ يَسْلِمُهُمْ لِلشُّرُورِ الَّتِي يَفْضَلُونَهَا، وَيَتْرَكُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ يَخْتَبِرُوا الْعَوَاقِبَ الْوُخِيمَةَ لَتِلْكَ الشُّرُورِ. الزِّيغَاتُ تَتَحَطَّمُ، تَزِيدُ مَعْدَلَاتُ الْجَرِيمَةِ، الْعَنْفُ، الْخَوْفُ وَكُلُّ الْأُمُورِ الْبِشْعَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْأَصْحَاحِ، تَزْدَادُ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ.

إِذَا رَفَضَ النَّاسُ النُّورَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَدِينُهُمْ بِأَنْ يَنْزِعَهُ مِنْهُمْ، فَلَا يَتَبَقَى إِلَّا الظَّلَامُ الدَّامِسُ الَّذِي اخْتَارُوهُ، وَالَّذِي يَسْلِمُهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ. إِنْ كُلُّ انْحِرَافٍ أَخْلَاقِي سَبَبُهُ تَمَرُّدٌ رُوحِي، وَلَيْسَ هُنَاكَ عِلَاجٌ لَذَلِكَ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ. وَلَا يَوْجَدُ طَرِيقٌ لِلرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ؛ إِلَّا تِلْكَ الَّتِي أَعْلَنْتُ فِي الْإِنْجِيلِ. وَرِسَالَةُ رُومِيَّةٍ هِيَ مُلَخَّصٌ وَشَرْحٌ لِلْإِنْجِيلِ. وَهَكَذَا يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَرَوْا الْأَهْمِيَّةَ الْعَظِيمَةَ لِفَهْمِ هَذَا الْكِتَابِ.

اقرأ رومية ٢: ١ - ١٦

الدينونة

يخبرنا بولس الرسول، أنه في ضمير كل إنسان، مكتوب أن الله سيُحضر كل شر إلى الدينونة. إن عمق شر الإنسان، يظهر في أنه بالرغم من معرفته أن الله سيُحضر كل شر للدينونة؛ إلا أنه يتمادى في فعله، بل ويسرّ به؛ لا بل ويشجع الآخرين على ذلك.

لكن ليس هناك مفر، لابد أن يمثل كل إنسان أمام كرسي دينونة الله. إن الدينونة قد حُددت، وهذا النص يخبرنا عن الكيفية التي ستكون عليها دينونة الله.

كل من يستحق الدينونة، سوف يُدان !

هذا ما تعلمنا إياه الرسول بولس في العدد الثاني. لن تكون الدينونة حسب رغبات الناس. إنها ستكون بحسب الحق. إنها ستكون بحسب ما عمله الشخص تماما. تخيل شخصاً استمع إلى قائمة الخطايا الموجودة في الأصحاح الأول، وارتعب جدا. إنه شجب كل هذه الخطايا. لقد صُدم عندما استمع لهذه القائمة من الخطايا ويعارضها. لكن هذا الشخص له نفس الطبيعة، ويفعل نفس الأشياء، فهل ينجو من الدينونة؟ كلا، إنه يستحق الدينونة أيضاً، وسوف يُدان. الدينونة ستكون بحسب أعمال الإنسان، وبحسب الحق. لن تنجو من الدينونة لكونك قد تكلمت ضد الخطية.

ويكتب بولس الرسول - في العدد الأول - وفي ذهنه مثل هذا الشخص قائلاً: " لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين، لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك، لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها ".

والعدد الثالث أيضًا موجه لنفس الشخص: "أفتظن هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها، أنك تنجو من دينونة الله؟" والإجابة: كلا. إن كل من يستحق الدينونة، سوف يُدان. وبالطبع فإن انتقاد الرسول بولس هنا موجّه على وجه الخصوص إلى اليهودي ذي البر الذاتي، كما سيطبق هذا أيضًا بنفس الكيفية على المسيحيين والمصلحين المزيفين.

الدينونة سوف تكون حسب أعمال الإنسان

هذا هو ما يعلّمه العدد السادس، أن الدينونة ستكون بحسب أعمال الشخص. وتلك الأعمال هي التي ستحدّد المجازاة إن كانت عقابًا أبديًا أم مجداً أبدياً. هذا هو الحق الذي يعلّمه الكتاب المقدس. ومن المهم هنا أن نتوقف قليلاً، وأن نتأمل في أعداد أخرى من الكتاب المقدس، مثل أم ٢٤: ١٢، مت ١٦: ٢٧، ٢ كو ٥: ١٠، رؤ ٢٢: ١٢. الدينونة ستكون بحسب أعمال الشخص؛ لأن ما يعمل الإنسان هو الدليل الحقيقي لما هو عليه بالفعل.

اقرأ عدد ٤، ٥ وحاول أن تتخيل شخصاً لا يرى أي علامة من علامات الدينونة، ويستنتج أن الله لابد أن يكون متساهلاً، لذلك فهو يستمر في خطيته دون توبة. ترى هل أنت مثل هذا الشخص؟ ثِقْ أن الله ليس متساهلاً، وأنت سوف تدان حسب أعمالك. إن لطف الله معك هدفه أن يقودك إلى التوبة. لكن بدلاً من أن تتوب ماذا فعلت؟ إنك تستهين بغني لطفه وإمهاله وطول أناته. إنك بذلك تبرهن على أن قلبك شرير وقاسٍ وغير تائب. إنك تذخر لنفسك المزيد من الغضب الإلهي، ذلك الغضب الذي سوف ينفجر ويدمرك دماراً أبدياً، عند استعلان دينونة الله العادلة. وهذه الدينونة ستكون بحسب أعمالك.

اقرأ عدد ٧، ١٠ وتخيّل شخصاً آخر، شخصاً مليئاً بالأشواق إلى السماء. إنه يعمل الصلاح ولا يتوانى عن فعل الخير. إنه لا يطلب غير إكرام

الله له، ويعتبر أن رضى الله هو الشيء الوحيد المهم. إن كل سعيه هو الخلود. هذا الشخص أيضًا سوف يكافأ حسب أعماله، ومكافأته هي الحياة الأبدية والمجد والكرامة والسلام والخلود الذي يبحث عنه. لكن المشكلة هنا، أنك ليس مثل ذلك الشخص، ولا أنا أيضًا، ولا أي شخص آخر – في أي مكان أو زمان – إلا المسيح. لكن المبدأ يظل قائمًا: إذا وُجد مثل ذلك الشخص، فسينطبق عليه كل ما سبق أن قلناه، ولأنه لا يوجد بالفعل مثل ذلك الشخص؛ لذا كُتبت هذه الرسالة. كُتبت لتُظهر كيف يمكن للخطاة أن يكونوا مقبولين لدى الله.

اقرأ عدد ٨، ٩ وتخيّل شخصًا آخر، شخصًا يدور في فلك ذاته ولا يعترف بسيادة الله عليه. إنه يرفض أن يطيع الحق الذي في كلمة الله، ولأنه لا يوجد ما يمكن أن نطلق عليه فراغًا روحيًا؛ لذلك فهو يطيع الإثم، ويخضع لما هو ليس بحسب ناموس الله. كل من هو مثل ذلك الشخص؛ سوف يُدان حسب أعماله. إن كنت أنت كذلك الشخص فسوف تدان. إن غضب الله المقضي به هو ضد هؤلاء الناس. إن غضب الله قادم عليهم. هذا هو سخطه. إن عاقبة مثل هؤلاء سوف تكون الكرب والألم والعذاب الشديد. إن المبدأ الثاني للدينونة واضح تمامًا: إن الدينونة سوف تكون حسب أعمالنا.

الدينونة سوف تكون محايدة تمامًا

ما قيل عن العقاب، ينطبق على اليهودي أولاً، كما ينطبق على الأممي (عدد ٩). وأيضًا ما قيل عن المكافأة ينطبق على اليهودي، كما ينطبق على الأممي (عدد ١٠)، لأن ليس عند الله محاباة (عدد ١١).

إن المبادئ المتعلقة بالثواب والعقاب تنطبق على اليهود والأمم بهذا الترتيب. اليهودي ليس له وضع خاص، والأممي ليس في وضع غير موافٍ. إنها مجرد مسألة ترتيب. لن يكون هناك تفرقة بين شعب وشعب على أساس

التراث الديني. سيعامل الجميع نفس المعاملة؛ اليهودي و الأممي والمسيحي والهرطوقي والوثني. إن الله محايد تمامًا.

ليس عند الله محاباة، ولا يمكن أن يرتشي. لن تتأثر قراراته ببلد الشخص أو لونه أو جنسه أو غناه أو ذكائه أو قدراته أو مركزه الاجتماعي. إن عدالة الله مطلقة وبره كامل. إنه لن يكون أكثر قسوة أو أكثر تساهلاً - ولو لدرجة واحدة - عما تستحقه خطايانا. كل طريقه حق. هو عادل وبار في نفس الوقت. ليس هناك ما يمكن أن يجعله يتخلى عن العدالة المطلقة. المتزوج والأرمل، الوسيم والديم، المتعلم والجاهل - الكل متساوون في محضره.

يا لها من رحمه!! إذ أن كل واحد سيُدان حسب استحقاقه. لن يكون هناك سبب للاحتجاج. يا له من أمر مرعب أن نسقط في يدي شخص آخر ليحكم علينا!!

لقد تعلمنا أن كل من يستحق الدينونة؛ سوف يُدان، والدينونة سوف تكون محايدة تمامًا. لكن، كيف يحكم الله على أعمالنا إن كانت صالحة أم شريرة؟ ما هو المقياس الذي سوف يستخدمه في ذلك؟

الدينونة سوف تكون بحسب ناموس الله

يتضح هذا من الأعداد ١٢ - ١٥. لو افترضنا أن هناك شخصاً أممياً وثنياً، هذا الشخص لم ير ناموس الله في حياته، ولا سمع عنه على الإطلاق. عندما ننظر إلى أفعال ذلك الشخص، نجد أن لديه إحساساً بناموس ما، وهذا الناموس هو ناموس الله؛ فهو يؤمن أنه يجب عليه إكرام الوالدين. إنه يستاء من سرقة ممتلكاته. إنه يدافع عن حياة الذين يحبهم، ضد من يحاول أذيتهم أو قتلهم. إنه شديد التمسك بأن من الخطأ أن يأخذ رجل آخر زوجته، ويكون

قاسيًا جدا مع كل من تسول له نفسه أن يفعل ذلك. إن لدى هذا الشخص إحساسًا واضحًا بالوصايا الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة.

إن ذلك الشخص لم يتعلم الوصايا العشر على الإطلاق، لذا فإن هذا الإحساس بالناموس، ليس بسبب تعليم تلقاه، إنه جزء من تكوينه كإنسان. فالناموس الأخلاقي مطبوع على طبيعته، مكتوب على قلبه. إن له ضميرًا يحكم به على سلوكه وعلى سلوك الآخرين، ويستنتج أن بعض هذا السلوك صحيح، وبعضه خطأ. هذه القدرة على التمييز بين الخير والشر، ليست واضحة دائمًا في كل البشر، لكنها موجودة. ومع أن هذا الإنسان ليس لديه ناموس مكتوب، لكن لديه ناموس في داخله.

لكن هل معنى هذا أن الإنسان يطيع ذلك الناموس الموجود في داخله؟ كلا – إنه يتعدى عليه باستمرار. إنه يعتمد كسر الناموس، تمامًا كما تعلمنا في الأصحاح الأول من الرسالة؛ لذا فحياة الإنسان لا ترضي الله، إنه هالك.

هذا ما نتعلمه من الأعداد ١٢ أ، ١٤، ١٥. هذه الأعداد تشرح بوضوح ما يحدث للشخص الوثني. إنه لا يمتلك نفس القدر من النور الذي يمتلكه الآخرون؛ لكن لديه بعض النور. إذا أخذنا هذه الأعداد، مع الأصحاح الأول من الرسالة؛ يمكن أن نستنتج أن الوثني له معرفة كافية عن الله وناموس الله ودينونة الله؛ حتى أنه بلا عذر على الإطلاق. إنه ليس بدون نور، ومع ذلك هو مستمر في الخطأ ضد النور الذي لديه؛ لذلك فالرجال والنساء الوثنيون هالكون، ويحتاجون أن نقدم لهم الإنجيل.

هذا بالنسبة للوثني؛ لكن ماذا عن اليهودي؟ لا شك أنه أفضل حالاً، فلديه الناموس، وهو مطلع عليه جيداً، ومع ذلك فامتلاك الناموس لا يمنح الإنسان علاقة صحيحة مع الله؛ بل العمل بذلك الناموس. واليهودي لا يعمل بالناموس؛ لذا يؤكد بولس الرسول على أن نفس الناموس، الذي كسره

اليهودي؛ سوف يكون المقياس الذي سوف يُدان على أساسه. هذا التعليم نجده في عددي ١٢ ب، ١٣.

من المستحيل أن نسيء فهم ما يعنيه بولس، بقوله إن الناموس الذي يمتلكه الإنسان، هو المقياس الذي سوف يُدان على أساسه. كل الناس لديهم ناموس الله بصورة من الصور. البعض لديهم ناموس الله كوثيقة مكتوبة؛ وهؤلاء من الطبيعي أن نتوقع منهم الكثير؛ فمن أُعطي كثيرًا يُنتظر منه الكثير. والبعض لديهم الناموس مكتوبًا في قلوبهم فقط، وهؤلاء ينتظر الله منهم أن يحفظوه.

لكن هؤلاء وأولئك لا يعيشون حسب النور الذي لديهم. ومع أن الوثني لا يُلام بنفس الدرجة التي يُلام بها اليهودي صاحب الامتيازات؛ لكن كلاهما مذنب أمام الله، وكلاهما هالكان.

والاختبار الحاسم لكل منهما - اليهودي والأممي - هو ناموس الله؛ الذي فشل كل منهما في حفظه، والدينونة سوف تكون بحسب الناموس. ومن الخطأ والتضليل أن نعرف الناس أنهم سوف يُدانون على أساس قبولهم أو رفضهم للمسيح؛ لذا يجب أن نعرفهم أن أساس الدينونة في محكمة الله هو ناموس الله. عندما يُدرك الشخص هذا؛ فإنه يصل إلى اليأس، ويفقد كل أمل في خلاص نفسه؛ عندئذ ستكون أعظم الأخبار السارة بالنسبة له، أن يسمع أن المسيح يقبل الخطاة.

بعض التفاصيل النهائية عن الدينونة

يحتوي عدد ١٦ على بعض التفاصيل، التي لا تذكرها الأعداد الأخرى. إنه ينبّر على أن الله سوف يدين، ليس فقط الأشياء الظاهرة التي عملها الإنسان؛ لكن الأشياء الخفية أيضًا. إنها لم تُخف عن ذاك الذي يعلم كل شيء. وسوف تكون الدينونة في يوم محدد، وسيكون القاضي هو الرب يسوع

نفسه. ويعلن بولس الرسول أن كل هذا سيكون "حسب إنجيلي". إنه يعني أن هذا الإعلان عن الدينونة إنما هو إعلان إلهي، كما أنه يؤكد أيضًا على حقيقة أن الدينونة ليست موضوعًا منفصلًا عن الإنجيل؛ لكنها جزء مكمل لرسالة الإنجيل؛ لذلك يجب أن تكون الدينونة موضوعًا رئيسيًا في الوعظ بالإنجيل.

اقرأ رومية ٢: ١٧ - ٢٩

لا يمكن أن يصيبني هذا

رغم أن تعليم بولس الرسول عن الدينونة واضح جداً؛ لكن بعض الأشخاص لا يقبلون هذا الحق. ومع أنه مكتوب في ضمائرهم أن الله سوف يدينهم؛ لكنهم لا يعترفون بذلك.

في وقت بولس الرسول لم يكن من الممكن أن يصدق اليهودي أن الله يتعامل معه، كما يتعامل مع أي شخص آخر. لقد خُتِنَ - وهو صغير جداً - كعلامة على أنه صار عضواً في تلك الأمة التي قطع الله معها عهداً. كما أنه يمتلك ناموس الله - بخلاف الوثني. إنه لا يستطيع أن يقبل أنه يمكن أن يُدان مثل باقي الناس؛ الذين ليس لديهم هذه الامتيازات التي يتمتع بها. إن لسان حاله: "لا يمكن أن يصيبني هذا".

يوجد مثل هؤلاء الناس في وقتنا هذا، فالكثير منهم قد اعتمد بالماء، ويسمع كلمة الله بانتظام، ويمارس الفرائض المقدسة. ويعتقد هؤلاء أن الآخرين ممكن أن يكونوا في طريقهم إلى الدينونة؛ لكنهم لا يصدقون أنهم تحت الدينونة. إنهم يخدعون نفوسهم، باعتقادهم أنه بإمكانهم أن يرضوا الله. وعندما يواجهون بحقيقة الدينونة؛ فإنهم يقولون: "لا يمكن أن يصيبنا هذا".

يرد بولس الرسول على هؤلاء الناس في العدد ١٣ قائلاً: "لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله؛ بل الذين يعملون بالناموس؛ هم يُبررون". هذا هو بحق القول الفصل في هذا الموضوع. ويستفيض بولس الرسول شارحاً ومفصلاً هذا التعليم؛ حتى أنه من المستحيل على أي شخص

أن تفوته هذه النقطة. هذه الأعداد هي لكل الذين يظنون أن الدينونة: "لا يمكن أن تصيبهم".

تهنئة الذات

- في الأعداد ١٧ - ٢٠، يضع بولس الرسول قائمة بالأمر، التي كان اليهودي يهنئ نفسه من أجلها في ذلك الوقت:
١. إنه يسمي نفسه يهوديًا، ويفتخر بهذا اللقب، إذ يجعله عضوًا في الجنس المختار.
 ٢. إنه يتكل على امتلاكه الناموس، ويفتخر كثيرًا بأن شعبه له امتياز رعاية الناموس.
 ٣. إنه يفخر بعلاقته بالله، وبأن شعبه فقط هو الذي نال استحسان الله.
 ٤. إنه يفخر أيضًا بمعرفته لمشيئة الله، ولسان حاله: " انظر إلى النور الذي لنا، إننا لسنا وثنيتين جهلاء؛ لكننا نعرف ما قاله الله ".
 ٥. إنه يفخر كذلك بكونه موافقًا ومُرضيًا، ومصديقًا على الناموس الذي تعلم منه ويعتبره ممتازًا.
 ٦. إنه يفخر - بكل غرور - بأنه كفؤ أن يقود العميان، وأن ينير العالم المظلم، وأن يهذب الأغبياء، وأن يعلم الأميين الذين يحتقرهم ويعتبرهم أطفالًا. فهو مزهو لإحساسه بالترفع.
 ٧. إنه يؤكد لنفسه قائلا: " نحن فقط الذين نملك الحق ". إن بولس الرسول لا ينكر هذا على اليهودي؛ لكن هدفه هنا هو إظهار اليهودي بالتباهي بذلك، عوض أن يمتلئ بروح العرفان بفضل الله عليه في اتضاع.
- وباختصار في أيام بولس كان اليهودي يعتبر أنه ليس هناك أحد مثله. إنه متميز على الجميع. لقد عامله الله معاملة مختلفة عن كل الآخرين؛ فكيف يمكنه

إذاً أن يفكر أنه في الدينونة سوف يُعامل مثل الآخرين تماماً. إنه يقول لنفسه بكل ثقة: "إن هذا لا يمكن أن يصيبني".

الخطأ واضح لكن الكثيرين يقعون فيه. ربما بعض الذين يقرأون هذا الكتاب يعتقدون أن الله كان رحيماً معهم بصفة خاصة، فقد استأنهم على كلمته، لكي يفهموا الكثير منها ويحبوها. إنهم متأكدون أنهم وحدهم الذين يستطيعون هداية الضالين، وإنارة العالم المظلم، وهم يفتخرون بهذا. ربما أنت نفسك تكون مثلهم؛ لذلك لتدرس ما قاله بولس الرسول بعد ذلك.

انتفاء تهنئة الذات

في الأعداد ٢١ - ٢٤، يطرح بولس الرسول سلسلة من الأسئلة المحددة: "لقد سمعت مجاهرتك بإيمانك؛ لكن ماذا عن أعمالك؟ إنك تعلم الآخرين؛ فماذا عن نفسك؟ هل تمارس ما تعظ به؟ إنك تعلم الناس ألا يسرقوا؛ فهل أنت تفعل ذلك؟ إنك توبخ الزنا؛ لكن هل أنت متورط فيه بأي شكل من الأشكال؟ إنك تستكره الأوثان؛ فهل تدنس المقدسات - على سبيل المثال - بأن تشعر بالملل أثناء العبادة أو تقصر في دفع عشورك لله؟ هل تفعل مثل هذه الأشياء التي كانت تتميز بها العبادة الميتة في أيام ملاخي؟"

إنك تفتخر بالناموس؛ ومع ذلك تكسره! وبهذه الطريقة فإنك تهين الله، أكثر مما يفعل الوثني حينما يكسر الناموس. وعلى عكس ما تدعي، فإن الوثني لا يدعي أنه من شعب الله. ليس لديك إذاً سبب للافتخار؛ بل للاتضاع. إن الوثنيين يكونون صورة عن الله من خلال سلوك شعبه. إن تصرفاتك تجعل الأمميين يسخرون من اسم الله. لقد كانت خطاياك ضد النور الذي لديك؛ ومع ذلك لا تزال تعتقد أن الله لن يدينك. إن لدى الله من الأسباب ما يجعله يدينك أكثر من الآخرين، وليس أقل منهم.

إن أولئك الذين يفتخرون بنقاوة عقيدتهم، عليهم أن يحرصوا على أن يلازم العقيدة سلوك مقدس. هل تعتقد أنك تفهم كلمة الله أفضل من كثيرين؟

حسنًا؛ لكن هل تعيش حسب تلك الكلمة المقدسة؟ هل يتناسب سلوكك مع استقامة عقيدتك؟ إن غير المؤمنين يَكُونون صورة عن الله من خلال الطريقة التي تعيش بها. إنك تخذع نفسك إذا فكرت أن الدينونة " لا يمكن أن تحدث لك على الإطلاق ". بلى يمكن، وبالتأكيد سوف تحدث.

الثقة في الختان

انظر إلى الأعداد ٢٥ - ٢٩، حيث يتحدث الرسول بولس باستفاضة عن الختان. كان اليهودي . في أيام الرسول بولس . يفتخر بأنه يحمل في جسده، علامة العهد الخارجية الدائمة المنظورة. كان يعتبرها الضمان الذي يبعد عنه دينونة الله. كان لسان حاله كيف يتعامل الله مع أولئك الذين لهم علامة العهد بنفس الطريقة التي يتعامل بها مع الذين ليس لهم هذه العلامة؟ ينبر اليهودي بشدة على حقيقة أنه ينحدر مباشرة من نسل إبراهيم، الذي كان أول من حمل هذه العلامة في جسده. واليهودي يعتقد أنه واحد من أولاد إبراهيم، ووارث للمواعيد التي أعطيت له. وعلامة العهد هي تذكارات أبدية لهذه المواعيد؛ فكيف يمكن أن يدينه الله مع أولئك الذين ليس لهم هذا النسب المفضل؟

هذا الاتجاه من المناقشة يبدو مقنعًا، وقد كان مشبعًا بالفعل لليهودي في أيام بولس. والمناقشات التي تكون مؤسسة على الطقوس الخارجية، يكون لها قوة إقناع كبيرة؛ حتى في يومنا هذا. هناك آلاف مؤلفة من البشر، قد علّقوا آمالهم في الحياة الأبدية، على الطقوس الخارجي للمعمودية، والآخرين وضعوا ثقتهم في أعمال منظورة، مثل قراءة الكتاب المقدس وحضور الكنيسة والتناول من مائدة الرب. لكن الله ينظر فقط إلى الداخل؛ وليس إلى الأمور الخارجية المنظورة التي يعلّق عليها الكثيرون رجاءهم المزيف. ترى، ماذا كان لدى بولس الرسول ليقوله - لليهود المعاصرين له - في هذه القضية؟

انتفاء الثقة في الختان

دعونا نتابع جدل بولس الرسول، نقطة بنقطة، في الأعداد ٢٥ - ٢٩.

يوضح بولس الرسول في عدد ٢٥ أن الختان في حد ذاته ليس غاية، إنه رمز لشيء ما. إنه في الحقيقة علامة على التخصيص لله، فإذا كنت مخصصاً لله فهذه دلالة عظيمة. لكن إذا لم تكن مخصصاً لله، بكسرك للناموس، فما فائدة العلامة حينئذ؟ ما قيمة أن تمتلك العلامة، ولا تمتلك الحقيقة الداخلية؟ العلامة الخارجية عديمة الفائدة؛ إذا لم تكن مصحوبة بالنعمة الروحية الداخلية، التي ترمز لها هذه العلامة.

في عدد ٢٦ يتابع الرسول بالقول إنه إذا كان لدى الشخص - بالحقيقة - النعمة الروحية الداخلية، فلا يهم كثيراً إذا ما كان هذا الشخص يمتلك العلامة الخارجية المنظورة أم لا. هذا الشخص يمتلك ما هو مهم حقاً، والعلامة الخارجية ليست مهمة على الإطلاق، إذا ما قورنت بالنعمة الداخلية. فإذا افترضنا أن هناك أمةً يحفظ الناموس؛ فإنه يبرهن بالفعل على أنه مخصص لله. إنه يمتلك بالفعل النعمة الروحية الداخلية، التي ترمز لها علامة الختان؛ بالرغم من أنه ليس له العلامة نفسها. فغياب العلامة لا يهم كثيراً. إنه سيحسب كمن يمتلك هذه العلامة بالفعل؛ لأن له الحقيقة الداخلية؛ التي تشكل العلامة الخارجية مجرد رمز لها.

في عدد ٢٧ نرى أن مثل هذا الشخص الأممي يفضح اليهودي، الذي يكسر ناموس الله. الأممي الذي يحفظ ناموس الله، هو مخصص لله؛ بالرغم من افتقاره للعلامة، واليهودي الذي لا يحفظ الناموس هو غير مخصص لله، وامتلاكه للعلامة (الختان) لا يغير شيئاً من هذه الحقيقة. واحد يمتلك الحقيقة؛ والآخر ليس عنده سوى الطقس. واحد مقبول عند الله؛ والآخر غير مقبول. إن مجرد امتلاك العلامة لا يعني شيئاً. هذه هي النقطة

الرئيسية، التي يحاول الرسول بولس أن يؤكد عليها. لا يمكن لليهودي أن يشير إلى العلامة على جسده ويجادل بأن الله يمكن أن ينجيه من الدينونة، (وهذا ينطبق على كل من يضع ثقته في بعض الطقوس أو الممارسات الخارجية) ولا يمكن أن يقول عن الدينونة: "لا يمكن أن تحدث لي".

في عددي ٢٨، ٢٩ يلخص الرسول كل هذه الأمور. إن كلمة "يهودي" تعني مدح. اليهودية الحقيقية؛ ليست العلامات الخارجية، إنها نعمة روحية داخلية. الناس قد يمتدحون الأشياء التي يمكنهم أن يروها؛ ولكن هذه الأشياء لا يمدحها الله؛ فإله ينظر إلى حيث لا يمكن للإنسان أن يرى، ينظر إلى القلب. إنه يقيم الشخص على أساس ما يراه في القلب.

لقد وضح بولس الرسول أن الله لا يهتم ما يبدو عليه الإنسان من الخارج. وبهذا يكون قد حطم الوهم بأن الأمور الخارجية يمكن أن تخلص الإنسان. إن الرسول لم يستطع أن يشرح طريق الخلاص، قبل أن يوضح هذه النقطة تمامًا. والآن يتوقف الرسول أمام بعض الاعتراضات، التي يمكن أن تثار حول هذا الموضوع، ليرد عليها؛ وبعد ذلك يعلن طريق الخلاص بكل وضوح.

اقرأ رومية ٣: ١ - ٢٠

بعض الاعتراضات والرد عليها

الرد على الاعتراض الأول:

في الأعداد ١ - ٤، يتخيل بولس الرسول شخصًا يقاطعه، ويقول له: "حسنًا جدًا، إذا كان امتلاك الناموس وكسره يقود إلى دينونة رهيبة، وإن كان الختان الداخلي فقط هو المهم، وليس الختان الخارجي، فما الفائدة إذاً في أن أكون يهوديًا؟ وما هي الامتيازات التي يمكن أن تعود علينا من ذلك؟ يبدو لي أنه لا فائدة على الإطلاق من الختان. إنه عبء ثقيل، يمكن أن نستغني عنه. باختصار ليس هناك أي امتياز في أن تكون واحدًا من الجنس المختار ٠٠٠ أليس كذلك؟

ربما تتوقع أن تكون إجابة بولس الرسول على ذلك السؤال هي: "لا يوجد امتياز على الإطلاق"، لكنه أجاب في الحقيقة قائلاً: نعم يوجد امتياز واحد، وعليك أن تفكر في كل هذه الامتيازات التي لك كيهودي، وأهم هذه الامتيازات وأعظمها هو كلمة الله المكتوبة. إنك تنتمي إلى الأمة التي منحها الله كلمته. إنه لامتياز لم يعطه الله لأي شعب آخر. إن امتلاك كلمة الله لا يخلصك، ولا التمسك بطقوسها، لكن لا تظن أن هذه الطقوس بلا فائدة. إنكم من بين كل الناس لكم مكانة فريدة، وهي أنكم تعرفون فكر الله، وهذا امتياز عجيب بدون شك.

"صحيح أن معظم الذين لهم هذا الامتياز، لم يطيعوا الكلمة التي أعطيت لهم ولم يؤمنوا بها. إنهم لم يستفيدوا من هذا الامتياز. لقد أخفقوا إخفاقا

شديدًا؛ لكن هذا لا يعني أن الله مخفق. بسبب عدم إيمانهم لم يستفيدوا من امتيازاتهم؛ لكن هذا لا يعني أن هذه الامتيازات أصبحت بلا فائدة".

"إن عدم أمانة البعض، لا يمكن أن يبطل أمانة الله. حاشا، فمع أن كل إنسان يمكن أن يكون كاذبًا؛ لكن الله لا يمكن أن يكذب. هل تتذكر ما جاء في سفر المزامير بخصوص هذا الأمر؟ إنه يعلن أن كلمات الله صادقة دائمًا مهما كان ذاك الذي يشك في صحتها (لكي تتبرر في كلامك وتزكو في قضائك)".

ما يقوله بولس الرسول واضح تمامًا: اليهود لديهم الناموس، لكنهم لا يحفظونه؛ لذلك يواجهون دينونة أعظم، لكن هذا لا يعني أن امتلاك الناموس ليس امتيازًا. إن أي ضرر يعانونه ليس بسبب امتلاكهم للناموس؛ بل بسبب كسرهم إيّاه، وأي ضرر يصيبهم، ليس لأن لديهم الختان الخارجي؛ ولكن بسبب إهمالهم للختان القلبي الداخلي.

الرد على الاعتراض الثاني:

في الأعداد ٥ - ٨، يتخيل بولس الرسول شخصًا آخر يقاطعه، ويفند النقاط التي توصل إليها.

لقد وضح الرسول بولس أن معظم اليهود قد أخفقوا؛ ولكن الله لا يمكن أن يخفق، وأن معظم اليهود غير أمناء؛ ولكن الله يظل أمينًا. إن الله يضمن أن يظل الامتياز قائمًا؛ حتى عندما يسيء الناس استخدامه، ويصنعون الشر؛ فإن شرمهم في الواقع يؤكد على بر وأمانة الله، تلك الأمانة التي تستحق أن يُعتمد عليها. إنها تُبرز أن الله جدير بالثقة، وعندما ترى ما عليه الناس من إخفاق؛ يتضح لك أكثر وأكثر، أن الله صالح.

لذلك يقول المعارض: في الواقع إن الله هو الوحيد الذي يستفيد من خطيتي؛ فعدم أمانتي تعود عليه بالنفع. إن خطيتي توضح لكل إنسان، كيف

أن الله أمين. الله يستفيد من خطيتي بكل تأكيد. هل من العدل إذن أن يعاقبني الله على خطاياي؛ مع أن هذه الخطايا تعود عليه بالنفع؟

ما يقوله بولس الرسول هنا، إن بعض الناس يفكرون بهذه الطريقة: "إنه بسبب خطيتي؛ فإن الناس يعظمون الله أكثر وأكثر، فكيف يعاقبني الله على تلك الخطية، التي تسدي إليه معروفًا كهذا؟"

يجيب بولس الرسول على ذلك في العدد السادس: حاشا "أي فسَدَ ذلك الفكر". ما طبيعة ذلك الإله الذي يمكن أن يتغاضى عن الخطية؟ الله هو الديان العادل لكل الأرض؛ فكيف يمكن أن تكون هناك دينونة، إذا اتخذ الله مثل هذا الاتجاه من الخطية؟

ويتابع المعترض في العدد السابع: ما هذا الذي تقوله، إن كذبي يؤكد على صدق الله، وظلمتي تظهر نوره الباهر. خطيتي تزيد من مجيده؛ فالنتيجة الفعلية لخطيتي هي مجد الله، وبالتأكيد لن يستطيع الله أن يدين تلك الخطية، التي تؤدي إلى تلك النتيجة.

ويرد بولس الرسول في العدد الثامن قائلاً، إن هذا هو بالضبط ما يجيبني به بعض الناس قائلين: "كلما ازدادت الخطية؛ ازدادت محبة الله لنا. فلتخطئ كما يحلو لك فالخطية تجعل الله ممجداً". مع هؤلاء الناس، لن أجادل. يكفي أن أقول أنهم تحت الدينونة، ودينونتهم عادلة.

التطبيق

تطبيق هذا التعليم في وقتنا الحاضر واضح تماماً. إن مجرد ممارسة الفرائض الكنسية، لن يخلصك؛ ومع ذلك فإن هذه الممارسة لها ميزة عظيمة، هي أنك تعرف كلمة الله، التي تضعك في موقع فريد لتعمل بإرادة الله.

وللأسف، فإن الكثيرين ممن لهم هذا الامتياز لا يستفيدون منه؛ لكن هذا لا يُبطل كونه امتيازاً. وحقيقة أن الناس مخفقون، لا تجعل الله مُخفّقاً. مهما كانوا غير أمناء؛ لكنه يبقى أميناً. إن خطيتهم تُبرز بجلاء مدى صلاح الله.

لا تجادل بأن خطايا هؤلاء يُسدي معروفًا لله. لا تتبنى الفكر القائل بأنه كلما أخطأنا، كلما استفاد الله من ذلك، وبالتالي ليست هناك مشكلة – في رأيك – أن تخطئ أكثر وأكثر؛ لأن هذا سيمجد الله، وبالتالي لن يديننا.

الله سوف يدين كل خطية. مهما كان العذر معقولاً، فإنه سيدينها. كل الذين يشجعون الخطية، ولا سيما أولئك الذين يفعلون الخطية باسم الله؛ عليهم أن يتوقعوا دينونة أكيدة، ودينونتهم عادلة.

العالم كله مُدان

واضح أن بولس الرسول يعلم بأنه امتياز أن يكون الإنسان يهودياً، وبلغاً عصرنا الحاضر، إنه امتياز أن تواظب على الممارسات الكنسية. ألا يُعطي هذا أفضلية لنا على الخطاة الآخرين؟ ألا تجعلنا هذه الامتيازات في موقف أفضل أمام الله؟ (عدد ٩ أ).

هذا ما يُجرب الناس – الذين لهم امتيازات روحية – أن يفكروا فيه. إن العقل البشري يخدع نفسه، عندما يعتقد أن احتمال دينونته أقل من الآخرين؛ لذلك يوضح بولس الرسول بجلاء، أنه عندما تكون لديك امتيازات وتهملها؛

فإنك ستكون في حالٍ أردأ. لكن قلب الإنسان عنيد، إنه يصر على الاعتقاد، بأن مجرد امتلاك الامتيازات؛ يجعل دينونته أقل شدة من الآخرين. إن هدف الرسول بولس في الأعداد ٩ - ٢٠، هو أن يُظهر أنه بسبب أن جميع الناس مذنبون أمام الله؛ فلن يكون هناك احتمال بأفضلية أحد على الآخرين.

ويذكرنا الرسول بولس في العدد التاسع، بأنه قد أثبت بالفعل أن الجميع خطاة أمام الله. قد أثبت ذلك في الأصحاح الأول، الذي تناول فيه الجنس البشري عمومًا، أما في الأصحاح الثاني، فيتناول فيه اليهود على وجه الخصوص؛ لذا أرجو أن تعيد قراءة رو ٢: ١٢ - ١٣، لتنشيط ذاكرتك عن هذه الاستنتاجات.

يقول بولس الرسول: "نحن لدينا امتيازات أعظم"، ويستمر موجّهًا كلامه لليهود: "لكننا لسنا أفضل حالاً من أي شخص آخر، الجميع تحت الخطية؛ لذلك فالجميع تحت الدينونة". هذا هو ما توضّحه وتعلم به وتلخصه الكتب المقدسة. ويواصل حديثه بالقول: "دعني أقدم لك بعض الاقتباسات المناسبة من العهد القديم (الأعداد ١٠ - ١٨). إن هذه الاقتباسات من كتبنا المقدسة؛ فهي تشير بالأولى إلينا نحن اليهود (عدد ١٩). لا أحد يمكن أن يدّعي أنه بار (عدد ١٩ أ). لقد نجح الناموس في إظهار أن الجميع خطاة (عدد ١٩ ب)، ومن المستحيل أن تجد قبولاً من الله عن طريق حفظ الناموس (عدد ٢٠)".

دعونا نلقي نظرة على قائمة الاقتباسات التي اقتبسها بولس الرسول، من الكتب المقدسة، والتي نرى فيها حكم الله على جميع الناس، بما فيهم الذين يقرأون هذا الكتاب.

ما هو الاتجاه العام لحياتنا؟ الإجابة في الأعداد ١٠ - ١٢: لا أحد بار. الخطية موجودة في الجميع. الجميع عميان روحياً؛ لذا فإن إرادتهم لا تتحرك نحو الله. إن فساد البشر عام، كما توضّح كلمات "زاغوا، الجميع، معاً، ليس ولا واحد". إنها صورة للموت الروحي، لجنسٍ يُغضب الله.

كيف ينظر الله إلى أقوالك؟ يخبرنا بذلك العددا ١٣، ١٤: إنه يرى كلامك مخادع وسام، وأنه مليء باللعنة والمرارة.

ما هو تقييم الله لسلوكك، ولاتجاهاتك الداخلية؟ توضح الأعداد ١٥ - ١٨: أن الله يراها قاتلة هادمة فارغة، بلا سلام، وبدون خوف الله.

بالطبع ليس كل شخص في العالم مثل غيره؛ لكن هذا هو الثمر الذي تنتجه شجرة الإنسانية. والشجرة الشريرة تنتج دائماً ثماراً شريرة.

يقول اليهودي: "أنا لست شريراً إلى هذا الحد!" ويقول الأممي: "ولا أنا كذلك". لكنك أنت كذلك! يهودياً كنت أم أممياً - في نفس الوضع أمام الله. الإنسان في فساد، ولا يوجد ما يصلحه، فالناموس لم يخلص أولئك الذين لهم الناموس؛ بل على العكس، قد أظهر لهم حالتهم الخاطئة كما هي.

إلى أين وصلنا؟

هل تستطيع أن ترى الآن، من الرسالة، إلى أين وصلت؟ إنك خاطئ وتستحق الدينونة، والخاطئ مُدان، ولا يوجد ما يمكنك أن تعتمد عليه، لمنع هذه الدينونة (أصاح ١، ٢). كل ما لديك من امتيازات روحية، هي امتيازات حقيقية؛ ولكنها لا تستطيع أن تخلصك (٢: ١٧ - ٢٩). ولا توجد أعذار لخطاياك بأي طريقة من الطرق؛ مهما كانت التبريرات - التي تقدمها عن هذه الخطايا - معقولة (٣: ١ - ٨). امتيازاتك امتيازات حقيقية؛ لكنك ستكون أمام الله مثل أي إنسان آخر (٣: ٩، ١٩). والناموس الذي تحبه كثيراً، قد أوضح ذلك تماماً (٣: ١٠ - ١٨). ومهما تفعل؛ فلن تستطيع أن تفعل ما يكفي لأن تتبرر الآن (٣: ٢٠). حياتك، شفتاك، سلوكك، اتجاهاتك الداخلية كلها تمرّد على الله (٣: ١٠ - ١٨). إنك مُذنب بكل ما تحمله الكلمة من معان (٣: ١٩).

لا يوجد أي أمل لك بحالتك هذه. لا يوجد ما يمكن أن تفعله لخلاص نفسك من الدينونة. إنك ستُحاكَم، وبالتأكيد سوف تدان. الرجاء الوحيد لك هو أن يأتي لك البر من خارج نفسك، والذي يمكن أن يُحسَب لك.

والأخبار السارة هي أن البرَّ مقدَّم. اقرأ العددين ٢١، ٢٢. لا عجب إذاً أن بولس الرسول لا يستحي بالإنجيل (١ : ١٥ - ١٧).

في الجزء التالي سوف نرى أن هذا البر، قد مُنح للإنسان، في إنجيل ربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

اقرأ رومية ٣: ٢١ - ٣١

الطريق الوحيد للخلاص قد أُعلن في الإنجيل

بِرُّ الله

في الأعداد ٢١ - ٢٦، يواصل بولس الرسول حديثه عن البر الذي ذكرناه للتو. إنه يحرص على ألا يكون عرضة لسوء الفهم؛ لكنه يصيغ أفكاره في عبارات واضحة. ولكي يساعدنا على الفهم، يقدم لنا خمسة عشر حقيقة هامة: إنها قد تبدو كثيرة؛ لكن عندما نذكرها - واحدة بعد الأخرى - فسوف نرى أن فهمنا يتجلى تدريجيًا، وسوف ندرك تمامًا ما يتحدث عنه بولس الرسول.

١. *إنه البر المقدم من الله* (عدد ٢١). إن الله نفسه الذي يدينك، والغاضب منك، والذي أنت تزدري به؛ هو الذي جهّز لك هذا البر. يا لها من رحمة! إنه يقرر بوضوح، أن الله يفعل ما لا يمكن للإنسان أن يفعله على الإطلاق. يا له من سلطان!

٢. *إنه معروض الآن* (عدد ٢١). إنه مُعلن الآن. إنه يمكن أن يُحسب لك الآن. يمكنك الآن أن تقف مبررًا أمام الله.

٣. *إن هذا البر بدون الناموس*. وبكلمات آخر هو الطريق لأن تصحح موقفك من الله، (عدد ٢١) وأن تصبح مقبولاً لديه. إن هذا البر معدّ لأولئك الذين لم يحفظوا الناموس، والذين لم ولن يستطيعوا أن يحفظوه؛ أي أنه لنا جميعًا. الناموس يعدّ بالحياة كل من يحفظونه، ويتوعد باللعنة الذين لا يحفظونه؛ لذلك جميعنا تحت اللعنة. لكن واحدًا صار لعنة لأجلنا. إنه الوحيد

الذي حفظ الناموس كاملاً؛ لذلك فالبر الذي لم تكن نستحقه مطلقاً، صار مُقدماً لنا الآن.

٤. *إن هذا البر "معلن"* (عدد ٢١). إنه ليس سرّاً مغلقاً، مُعدّاً لفئة خاصة من الناس. البر مكشوف، مقدّم للجميع، بما فيهم نحن.

٥. *هذا البر يشهد له الناموس والأنبياء* (عدد ٢١). إنه ليس تصوراً، حلم به الرسول بولس، كما أنه ليس اختراعاً حديثاً. لقد أعلن منذ القديم. إن العهد القديم يشهد لهذا البر.. إنه الطريق الذي به وُضع رجال الله في علاقة صحيحة مع الله.

٦. *إنه فعال بالإيمان بيسوع المسيح* (عدد ٢٢). يؤكد لنا بولس الرسول أنه يتحدث عن البر، الذي يُقبل بالإيمان وليس بالأعمال، وهذا الإيمان لا يعمل في فراغ؛ لكنه الإيمان بيسوع المسيح، الذي له الاستحقاق، وبعمله أصبح البر متاحاً. الإيمان في حد ذاته لا يستحق هذا البر؛ لكن الإيمان هو الأداة التي بواسطتها نقبل البر. يسوع المسيح قد اشترى هذا البر، والمؤمن حُسب له. ليس عليه أن يفعل شيئاً ليستحق هذا البر. إنه عطية تُقبل بالإيمان.

٧. *كل مَنْ يَؤْمَن يحصل على هذا البر* (عدد ٢٢، ٢٣). إن كل واحد هو في نفس حالة اليأس والعجز، وهذا البر ليس لمجموعة مختارة فقط؛ لكنه لكل مَنْ يؤمن بابن الله. وحيث لا يوجد إيمان؛ فلا يمكن الحصول عليه. التقسيمات القديمة للجنس البشري، لا تُطبق في هذا المجال. الجميع – يهوداً كانوا أم أممًا – فشلوا في تحقيق الهدف الذي خُلقوا من أجله، وليس هناك مَنْ يمكنه أن يرضي الله بمجهوده الشخصي، ولا بأي شيء يمكن أن يعمل؛ لكن كل مَنْ يؤمن يحصل على البر. لا فرق بين يهودي وأممي.

٨. *إنه عطية مجانية بنعمة الله* (عدد ٢٤). "التبرير هو عمل نعمة الله المجانية، من خلاله يغفر الله خطايانا، ويقبلنا كأبرار في نظره، وهذا فقط لأن بر المسيح قد حُسِبَ لنا، ونحن نلناه بالإيمان، وبالإيمان فقط "أصول الإيمان الويستمنستري المختصر". إن تعليم بولس الرسول يؤيد تمامًا هذا التعريف. إنه يخبرنا أن الله لا يقبل الإنسان بسبب الأعمال؛ ولا حتى بسبب الإيمان، (مع أن الإيمان هو الوسيلة التي بواسطتها نحصل على البر)؛ وليس بأي شيء بشري آخر. البر الذي يتحدث عنه الرسول هو عطية. إنه ليس مكافأة "لنجاح". إنه هبة مطلقة لغير المستحقين؛ فأولئك الذين يقبلون البر، لا يساهمون بشيء في ذلك. إنه لا يعتمد على أي استحقاقات، يمكن أن نفترض وجودها لديهم. إنه تبرير الأثمة. إنه يكسو الشحاذين ثياب الملك.

٩. *إنه يُعطى بالفداء الذي في المسيح يسوع* (عدد ٢٤). الخلاص يُعطى مجانًا؛ ولكن لا يجب أن نفكر أنه اشترى بثمن رخيص. إن كلمة "فداء" تشير إلى إعادة شراء الشيء مرة أخرى، عن طريق دفع ثمن. من الذي دفع الثمن؟ المسيح. ما نسبة ما دُفع من الثمن؟ الكل. إنه لم يترك لنا شيئًا لنُدفعه. لكن ما هو الثمن الذي دفعه؟

١٠. *كان الثمن يستلزم أن يكون هو ذبيحة دموية* (عدد ٢٥). وبكلمات آخر، كان عليه أن يكون هو المحتمل لغضب الله بل والمسكين الذي يحول هذا الغضب. لقد كان عليه أن يمحو سجل خطايانا، وقد عمل ذلك بالدم - دمه هو - أي حب هذا! إن الله - ولسنا نحن - الذي أعلنه أن يكون هكذا. لقد كان الجلجثة هو المكان الذي تم فيه ذلك. والآن، وعن طريق الإيمان بالمسيح، يمكن أن تصبح فوائد هذه الكفارة لي أنا. بهذه الطريقة تُغفر خطيتي، وأنجو من العقاب الذي أستحقه.

١١. *هذه الكفارة تمتد صلاحيتها للماضي، كما للمستقبل* (عدد ٢٥). إن الله ليس محايدًا بالنسبة لمطالب العدالة، مع ذلك فإنه صبر كثيرًا على خطايا الكثيرين في العهد القديم، وعَلَّقَ إدانتهم. كان سيكون من الظلم أن

يترك الله المذنب دون عقاب، لكن علينا أن نفهم، أن العقاب الذي يستحقونه، قد وقع على المسيح. إن هؤلاء الذين برّهم الله في العهد القديم، برّهم على أساس ما كان على المسيح أن يفعله عنهم في الجلجثة.

١٢. لقد أصبح واضحاً الآن أن الله بار (عدد ٢٦). قد يكون تغاضي الله عن خطايا قديسي العهد القديم، بدا وكأنه ظلم، لكننا الآن نستطيع أن نرى بوضوح أن الأمر ليس كذلك؛ فطوال ذلك العصر، كانت أحداث الصليب في فكر الله، حيث كان العقاب العادل - لخطاياهم - في طريقه إلى أن يحمله بديلهم. أما الآن فهذه الأحداث قد حدثت، ونستطيع أن نرى كيف أن الله بار؛ وهو ما لم يستطع أن يراه الناس في العصور القديمة. لم يعد هناك أي حجاب يستطيع أن يخفي كرسي الرحمة. لقد أعلن التبرير بالإيمان - الآن - بشكل لم يكن معروفاً من قبل.

١٣. عدل الله لا يقبل الحلول الوسط (عدد ٢٦). لقد كان موت المسيح على الصليب عقاباً، إرضاءً للعدل الإلهي. كان موته موتاً بديلاً؛ فقد أخذ المسيح العقاب الذي كان يجب أن يناله الآخرون. العقوبة المطلوبة قد دُفعت؛ فلم يبطل عدل الله. إنه يبقى عادلاً.

١٤. نعمة الله أيضاً استوفيت (عدد ٢٦). العقاب المستحق على الخاطئ الذي يؤمن بالمسيح، يُحسب على المسيح، وبر المسيح يُحسب لذلك الخاطئ الذي يؤمن. وهكذا يخلص الخاطئ بكل تأكيد، وهكذا أيضاً تستوفي نعمة الله أغراضها. إن كلا من عدل الله ومحبه استوفيا مطالبتهما؛ لا شيء منهما أبطل. يظل الله عادلاً؛ ومع ذلك يوجد تبرير لكل من يؤمن بيسوع. يا لها من حكمة!!

١٥. كل هذه لكل من يؤمن بيسوع (عدد ٢٦). يوجد رجاء للخطاة الهالكين، لكنه رجاء واحد فقط. ما أضيّق الإنجيل، وما أرحبه في الوقت نفسه؛ لأن فوائده هي لكل من يؤمن. ما أعمق أفكار الإنجيل؛ لكنه في الوقت

نفسه مدهش في بساطته؛ فإن تبرير الله هذا يُقبل بالإيمان وبالإيمان فقط. هذا النص هو جوهر تعليم بولس الرسول عن الإنجيل. دعونا جميعاً نرى فيه أننا نحن الهاربين من خطايانا لجأنا إلى المخلص الذي عيّنه الله، وبالاتكال عليه – وحده دون سواه – دخلنا كل واحد منا شخصياً إلى ملء هذه البركات، التي نقرأها الآن.

مضمونان هامان

١. كل هذا يعني أنه لا مجال لتهنئة النفس (عدد ٢٧، ٢٨). إن نوع التفاخر المذكور في نهاية الأصحاح، لا مكان له. إننا لم نعمل شيئاً على الإطلاق، لنضمن هذا البر، وحقيقة أن هذا البر أصبح لنا بالإيمان، وليس بالإعمال، تحول دون هذا التفاخر. لا أحد يستطيع القول بأنه يستحق هذا البر. التبرير ليس له علاقة بأي شيء عملناه أو نأمل أن نعمله. إنه يأتينا عن طريق الإيمان فقط؛ وليس عن طريق أعمال الناموس.

٢. إن هذا يعني أيضاً، أن الله هو إله كل من اليهود والأمم (عدد ٢٩، ٣٠). إذا استطعنا أن نكون مرضيين عند الله بالناموس اليهودي؛ يكون الله حينئذ هو إله اليهود فقط، وليس إله الأمم؛ ولكن الأمر ليس هكذا، فكل من اليهود والأمم ساقطون. ويعلن الإنجيل عن طريق واحد فقط للبر؛ لكل من اليهود والأمم. الله يقبل كلا منهما على نفس الأساس. إنه إلههما؛ ولا يوجد اختلاف بين الطريقة التي يقبل بها كلا منهما (اليهود والأمم)، أكثر من الاختلاف بين التعبيرين (بالإيمان) و (بواسطة الإيمان)، هذا الاختلاف الذي لا يمكن لأحد أن يميزه. الفروق القديمة بين اليهود والأمم قد بطلت. يوجد الآن خط واحد فقط للتمييز، يمتد عبر الجنس البشري؛ ففي نظر الله، أنت لم تعد يهودياً أو أممياً، ولكنك في نظر الله إما خاطئ مخلص، أو هالك.

اعتراض أخير

كل ما سبق يُثير سؤالاً (عدد ٣١). إذا لم يمكن قبولنا من الله بالناموس؛ فهل معنى هذا أن الناموس بلا قيمة؟ حاشا – نحن لا نقلل من شأن الناموس؛ لكننا في الحقيقة ننبر على أهميته. كيف؟ لماذا نحتاج للتبرير؟ لماذا نحتاج أن نكون أبراراً في نظر الله؟ لأننا جميعاً تحت التزام الناموس؛ فهناك ما هو صواب وما هو خطأ. فإذا لم نكن أبراراً تماماً، أو لم يحسب لنا هذا البر؛ لا يمكن أن نكون مقبولين أمام الله.

ما ضرورة الصليب إذا؟ لأن متطلبات كسر الناموس لا يمكن التغاضي عنها ببساطة. مطالب عدالة الله يجب أن تُستوفى، وقد تم هذا عندما مات البديل – البريء – بدلاً من الخطاة الأثمة، أولئك الذين جاء ليخلصهم.

كلا – الإنجيل ليس عدوً للناموس. إنه الرسالة التي تؤيد البر وتدين الخطية، ومع ذلك فهو مختلف عن الناموس. الناموس يثبت أن كل إنسان مذنب، ويدين الجميع؛ ولا يبرر أحداً؛ لكن الإنجيل يوضح، كيف أن هؤلاء المذنبين – الخطاة المذنبين – يمكن أن يقبلوا من الله، الذي أغضبوه. ولأن الناموس موجود وملزم؛ لذلك فالإنجيل ضروري؛ لأنه إذا لم يكن أحد مداناً؛ فلن يكون هناك أحد محتاجاً إلى الخلاص. إذا لم يكن هناك ناموس؛ لم تكن لنا حاجة للإنجيل؛ لذا فالاثنتان – الناموس والإنجيل – لا يمكن أن يفصلا. لا شك أن هناك اختلافاً بينهما؛ لكن هناك أيضاً ترابطاً وتناغماً بينهما. هذه الحقيقة الهامة غالباً ما ننساها، ونحتاج أن نتعلمها مرة أخرى.

اقرأ الأصحاح الرابع من رسالة رومية

مثال من العهد القديم على التبرير بالإيمان

ما قدمه بولس من تعليم حتى الآن كان يمكن أن لا يثير اليهود، فما هو بالضبط السبب الذي من أجله كان اليهود يضطهدونه خلال خدمته؟ لقد كان هناك على وجه الخصوص ثلاثة أشياء قالها بولس الرسول؛ صدمت كل العقائد الراسخة في أذهانهم، وهي:-

١. لا يوجد خلاص عن طريق الناموس.
٢. ليس ضرورياً أن تكون مختوناً لكي تخلص.
٣. الخلاص يُمنَح للإنسان بالإيمان مستقلاً عن الناموس.

على أي حال فقد برهن بولس الرسول أن حقيقة التبرير بالإيمان، قد أعلنت بالناموس والأنبياء (٣: ٢١)، وها هو الآن يتَّجه إلى العهد القديم، الذي يبجله اليهود؛ ليؤكد ذلك. ويتابع إثبات ذلك من قصة حياة إبراهيم، مع إشارة مقتضبة إلى داود. دعونا نفند حجته آية بآية.

إبراهيم تبرر بالإيمان

عدد ١: يتفق اليهود على أنه ليس هناك من هو أعظم من إبراهيم، من بين كل الرجال الأبرار، في العهد القديم. فماذا عن إبراهيم إذن؟

عدد ٢ أ: إذا كانت الأعمال تبرر الإنسان أمام الله؛ فإن نجاح إبراهيم في ذلك يكون أقل كثيراً من معظم الباقيين.

عدد ٢ب - ٣: لم يكن هذا هو الطريق لتبرير إبراهيم. يسجل لنا الوحي المقدس: " فآمن (إبراهيم) بالرب، فحسبه له برًا" (تك ١٥ : ٦). لقد أعطى الله لإبراهيم وعدًا مستقبليًا، وكان من المستحيل - بحسب الفكر البشري - أن يتحقق هذا الوعد. ولكن - وعلى الرغم من ذلك - آمن إبراهيم بالله، والله حسب له ذلك برًا.

عدد ٤: هكذا كان إبراهيم مقبولا من الله. لم يكن قبوله على أساس الأعمال؛ بل بالإيمان. بره قد وُصف بأنه شيء أُعطي له بالإيمان. عندما يعمل الإنسان شيئًا، فإن ذلك الشيء يكون حقًا له، إنه شيء يمتلكه. لو كان إبراهيم يستحق برّه؛ لوصف البر على أنه بمثابة أجره أو حق له؛ وليس كهبة. ولم يكن من الممكن أن يستخدم الكتاب المقدس هذه اللغة على الإطلاق؛ لو أن برّ إبراهيم كان نتيجة عمله هو.

عدد ٥: وعندما لا يحصل الشخص على برّه بعمله هو، ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر؛ فإن ذلك الإيمان يمكن أن يُحسب له برًا - يعتبر له ذلك البر ويُنسب له.

عدد ٦ - ٨: وإبراهيم ليس هو المثال الوحيد على ذلك. هل تتذكر كلمات داود في مطلع المزمور الثاني والثلاثين؟ إنه يرى أن أعظم بركة يمكن تخيلها، أن خطيته لا تُحسب له. إن داود هنا لا يتحدث كإنسان واثق من أنه فعل حسنًا، لدرجة أن يعتبر من غير الممكن أن تُحسب له خطية؛ لكنه يتحدث كإنسان يعرف جيدًا أن الخطية لا بد وأن تُحسب عليه؛ لكنها لا تُحسب. إنه الإنسان المقبول من الله على أساس أمور أخرى غير الأعمال. ويتحدث داود في هذا المزمور عن احتساب البر؛ وليس استحقاق البر. (ودراسة هذا المزمور تُوضح أن أساس رجاء داود، أنه قد اعترف بخطيته لله، وبالإيمان ألقى بنفسه على رحمة الله طالبًا العفو.)

لذلك أعلن بولس الرسول أن تبرير رجال الله في العهد القديم لم يكن بأعمالهم؛ ولكن بالنعمة، ومن خلال الإيمان. واللغة اليونانية المستخدمة تُظهر بوضوح أن الإيمان لم يكن السبب في تبريرهم؛ لكنه كان الوسيلة التي بواسطتها حصلوا على تبرير الله.

ويجب أن ندرك أن هذا البر الذي نالوه، قد نُسب إليهم وحُسب لهم. هؤلاء الرجال لم يتمتعوا بالكمال الأخلاقي، ولم تكن حياتهم كاملة على الأرض. لقد نالوا شيئاً يمكن أن يحسب لهم شرعاً، والذي أعطى لهم وضعاً جديداً في نظر الله، وأعطى لهم أيضاً طبيعة جديدة مع هذا الوضع؛ وبالتالي فإن الأعمال الصالحة نبعث من هذه الطبيعة الجديدة. إن الفكرة الأساسية التي يريد بولس الرسول أن يوضحها هنا هي أن هؤلاء الرجال، وإبراهيم على وجه الخصوص، قد حُسبوا أبراراً في نظر الله، على أساس آخر غير الأعمال، وأن البر المقصود، حصلوا عليه بالإيمان.

لم يكن للختان دور في تبرير إبراهيم

عدد ٩: حسنٌ جداً – إن التبرير بالإيمان. إننا نستطيع أن ندرك ذلك، ولكن هذا المبدأ ينطبق فقط على إبراهيم نفسه، وعلى أولئك الذين قد اختتنوا من نسله – الذين يحملون في أجسادهم تلك العلامة الخارجية والمنظورة، على عهد الله مع جدّهم (إبراهيم).

هنا مكنن الخطر، إذ يوجد دائماً أولئك الذين يريدون أن يصدقوا أن التبرير بالإيمان بالإضافة إلى شيء آخر. هذه الفكرة كانت موجودة، حتى في أيام بولس الرسول، كما يوضحها سفر الأعمال والرسالة إلى أهل غلاطية. لكن الأمر ليس كذلك: فالتبرير هو بالإيمان فقط. انظر كيف يوضح الرسول بولس ذلك.

عدد ١٠: ما هي الحالة التي كان عليها إبراهيم، عندما حُسب له برًا؟ هل كان مختونًا أم لا في ذلك الوقت؟ لقد كان غير مختون. إنه لم يُختن إلا بعد ذلك بأربع عشرة سنة.

عدد ١١ أ: عندما خُتن إبراهيم؛ كان الختان هو العلامة الخارجية والختم على برّه أمام الله، هذا البر الذي تمتع به إبراهيم قبل الختان. وواضح تمامًا أن إبراهيم قد تبرر بالإيمان، دون أي علاقة بالختان على الإطلاق. هذه الحقائق التي ذكرت عن إبراهيم، تُظهر أنه لا علاقة للختان أو الغرلة بتبرير الشخص أمام الله. أي رجاء هذا للأمم! الله هو إله الأمم، كما أنه إله اليهود، كما رأينا.

عدد ١١ ب - ١٢: هل تستطيع أن تدرك معنى هذا؟ يقول اليهود إن إبراهيم أبوهم، ولا يتمتع أي شخص آخر بهذا الامتياز. إنهم مخطئون، فإبراهيم هو أبو المؤمنين غير المختونين؛ لأنه هو نفسه كان غير مختون عندما تبرر، كما أنه أبو المؤمنين المختونين، ليس لأنهم مختونون مثله؛ ولكن لأن لهم إيمانًا مثل إيمانه.

أولئك الذين تبرروا بالإيمان هم أبناء إبراهيم. هؤلاء هم نسله الحقيقي. إنه لمن الأهمية العظمى أن نفهم ذلك، وسوف نؤكد ذلك ثانية بعد قليل. إذا لم تدرك هذه الحقيقة، ستواجه صعوبات كثيرة، عندما تحاول أن تفسر الأصحاحات من التاسع وحتى الحادي عشر، من هذه الرسالة. إذًا، لم يقدم الختان شيئًا لتبرير إبراهيم، ولنواله البركات الملازمة لهذا التبرير، ولم يمكن للناموس أن يقدم هذا كما سنعرف الآن.

لم يكن للناموس دور في تبرير إبراهيم

عدد ١٣: هل تتذكر وعد الله لإبراهيم بأن فيه تتبارك جميع قبائل الأرض؟ حسنًا، من هم الذين دخلوا في هذا الوعد؟ من هم الذين نالوا هذا الامتياز الإلهي مثل إبراهيم؟ من هم الذين قبلهم الله كما قبل إبراهيم؟ من هم؟

الإجابة هي: ليس الذين يحفظون الناموس؛ لكن الذين تبرروا بواسطة الإيمان.

عدد ١٤: يمكن أن نرى ذلك بسهولة. لقد أعطى الله هذا الوعد لإبراهيم، قبل أن يُعطى الناموس بحوالي ٤٣٠ سنة (كما تشير رسالة غلاطية). إنك لا تستطيع أن تقدم وعدًا، ثم تقول إن إكمال الوعد سوف يعتمد على الناموس - الذي لم يكن له أي ذكر - عندما تُعطى هذا الوعد. إذا فعلت ذلك؛ فإن الوعد لن يكون بعد وعدًا، إنه سيكون بيانًا أو تصريحًا، يمكن أن يكون صحيحًا أو لا؛ فصحته تتوقف على حفظ الشروط التي لم تذكر بعد.

إن وعد الله هو وعد واضح، وبدون شروط. إنه تعهد أن يشترك نسل إبراهيم في بركة إبراهيم، والوعد لم يذكر الناموس، ولم يذكر أن تحقيق الوعد يتوقف على الناموس. من الواضح إذاً أنك لا تشترك في بركات إبراهيم عن طريق حفظ الناموس. إنك تشترك في هذه البركات عن طريق آخر. هذا الطريق هو الطريق الوحيد، الذي من خلاله دخل إبراهيم نفسه إلى هذه البركات. إنه الإيمان.

عدده ١٥: أولئك الذين يحاولون أن يحفظوا الناموس يفشلون. إنهم ينجحون فقط في استئصال غضب الله عليهم. الناموس يعرف ما هي الخطية؟ وحيث لا يوجد ناموس؛ لا يوجد انتهاك للناموس. وحيث لا يوجد تعريف للخطية؛ فلا يمكن أن نقول عن شيء إنه خطية. لكن عندما يوجد الناموس؛ يظهر أيضًا كسر الناموس. إن خطيتك ظاهرة، ومن الواضح تمامًا أنك لا يمكن أن تتبرر أمام الله عن طريق حفظ الناموس.

ترى هل نجحت في متابعة مناقشة بولس الرسول؟ إذا لم يكن الأمر كذلك فلا تقلق؛ لكن عليك أن تفهم فكرته الرئيسية. نسل إبراهيم الحقيقي هم أولئك الذين لهم إيمان إبراهيم، إنهم أولئك الذين وعدهم الله بالتبرير، والتساؤل عن حفظهم للناموس لا تأثير له.

نكرر، تبرير إبراهيم كان بالإيمان

عدد ١٦: تبرير إبراهيم، والبركات المصاحبة لهذا التبرير، كانت بركات دون استحقاق. لقد صارت له بالإيمان، وأعطيت له بنعمة الله، والطريقة التي تعامل الله بها مع إبراهيم، هي نفس الطريقة التي يتعامل بها مع كل أنسائه. هذه الأنسال ليست محدودة باليهود، الذين لهم الناموس. إن أنسال إبراهيم تشمل كل الذين لهم إيمان مثل إيمان إبراهيم. كل المؤمنين يمكن أن يعتبروا أنفسهم أنسال إبراهيم.

عدد ١٧ أ: يمكننا أن نفهم الآن ما كان يقصده الله، عندما دعا "أبرام" باسم "إبراهيم"، أي "أب لجمهور من الأمم". لأنه أب لجميع المؤمنين. اليهود والأمم على حد سواء.

عدد ١٧ ب: لكن تأمل في نوعية إيمان إبراهيم، لقد آمن بأن الله هو الذي يحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة.

عدد ١٨: لقد وعد الله إبراهيم أنه سيكون أباً لأمم كثيرة، وسيكون عدد نسله هائلاً جداً. وآمن إبراهيم بذلك الوعد؛ لأن الرب تكلم به، على الرغم من أنه بحسب الفكر البشري، لم يكن هناك أي رجاء بتحقيق هذا الوعد على الإطلاق.

عدد ١٩: في ذلك الوقت، لم يكن لدى إبراهيم أولاد، وكان قد تخطى العمر الذي يتوقع فيه أن يكون أباً، وكانت سارة زوجته مُسنّة جداً عن أن تكون أمّاً، علاوة على أنها كانت عاقراً.

عدد ٢٠ - ٢١: لم يخدع إبراهيم نفسه، فيما يتعلق بحقيقة الموقف، لقد درس ما قاله الله بعناية، ودرس كل العقبات الظاهرية، التي تحول دون حدوثه، ووصل إلى الاستنتاج بأن الله قادر أن يفعل ما تكلم به؛ على الرغم من كل العقبات التي ظهرت. والواقع أن الاستحالة الظاهرية لحدوث هذا الأمر، زادت

من ثقته؛ بدلاً من أن تسبب تردد تلك الثقة. لقد ألزم نفسه بتصديق ما قد قاله الله.

عدد ٢٢: هذا هو الإيمان! وبواسطة هذا الإيمان، حسب له الله برًا.

الوعد بالتبرير لا ينطبق على إبراهيم وحده

عدد ٢٣: إن المبدأ الذي تبرر إبراهيم على أساسه، لا ينطبق على إبراهيم وحده.

عدد ٢٤ - ٢٥: إنه يسري على كل المؤمنين. إنه يسري علينا "إن كنا نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات، الذي أسلم من أجل خطايانا، وأقيم لأجل تبريرنا".

إن حجة بولس الرسول تسير في دائرة كاملة، ولقد بدا أنها تقصد اليهود وحدهم؛ لكنها دارت لتعود إلينا. إن الرسالة إلى رومية تخبرنا عن حالتنا أمام الله، كما أنها تخبرنا عن بر الله. ونحن نعلم أن هذا البر يُحصل عليه بالإيمان، وكان كذلك دائمًا. وقبول بر الله لا يعتمد على الطقوس، ولا على حفظ الناموس، ولكن بالإيمان وحده، يمكن أن نحصل على هذا البر.

ويعلمنا الكتاب المقدس، أن الشخص يعتبر قد نال الإيمان المخلص، عندما يعرف الحق اللازم لخلاصه، ويصدق، ويعتمد عليه، ويثق به. ومن الضروري أن نمتحن أنفسنا، لنرى إن كان لنا مثل هذا الإيمان، والوقت الذي نقضيه في امتحان أنفسنا، لن يكون وقتًا ضائعًا.

اقرأ رومية ٥: ١ - ١١

بركات التبرير

مع التبرير تأتي كل أنواع البركات. ما هي هذه البركات؟ هذا ما سوف يشرحه لنا الآن بولس الرسول.

البركات الحالية

البركة الأولى هي "السلام مع الله برينا يسوع المسيح" (عدد ١). لقد كان الله غاضباً منا، وقد تجمّع غضبه ودينونته علينا. ونحن، مثلنا مثل جميع البشر كنا مذنبين أمام الله. هذا ما تعلمناه من الأصحاحات الثلاثة الأولى. لكن الآن، تم استرضاء الله من خلال ما عمله في المسيح (٣: ٢٥). الغضب والعقاب الذي كان من المفروض أن ينصب علينا، انصب على من هو بدلاً منا، وبواسطة الإيمان يُحسب لنا بر المسيح. لم يعد هناك عقاب لنحمله، فلا يجد الله فينا ما يستوجب الدينونة؛ بل بالعكس ننال استحسانه القلبي. لقد زال غضب الله تجاهنا. نحن الآن في سلام معه، برينا يسوع المسيح. والإشارة إلى السلام هنا، ليس المقصود بها - في المقام الأول - حالتنا العقلية أو المزاجية؛ ولكنها تحدد علاقتنا بالله.

البركة الثانية هي "الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون" (عدد ٢). إننا لسنا مجرد أناس رُفِع عنهم غضب الله، ولكن حُسب لنا البر الذي يمدحنا أمام الله. لقد انتهى غضب الله علينا، وبدلاً من الغضب؛ أصبح الله يُسر بنا ويقبلنا. لقد أحضرنا بالمسيح إلى مكان الحضرة الملكية، وإلى حالة رائعة من القبول الإلهي الكريم. لقد دخلنا إلى الحضرة الملكية؛ لأننا

نلبس الثياب الملكي. وفي هذه الحياة نستطيع أن نخاطب الله، وأن نسير معه، وأن نتمتع به. إنه لن يكون بعيداً عنا، إنه إلينا.

ويمكننا أيضاً أن "تفتخر على رجاء مجد الله" (عدد ٢). يمكننا أن نتمتع بالله في هذه الحياة. لكن عندما نموت هل سيرفضنا الله؟ كلا – ليس هناك سبب يدعوه لأن يفعل ذلك؛ ففي المسيح قبولنا لدى الله كامل وأبدي. إنه سوف يقبلنا في بيته المجيد. هذا مؤكد؛ لكنه لم يحدث بعد. هذا هو المعنى الكتابي لكلمة "رجاء" التي يستخدمها بولس الرسول هنا، والتي سوف يستخدمها أيضاً بعد ذلك في هذه الرسالة. إننا لا ننتظر انسكاب غضب الله؛ ولكننا ننتظر بالأحرى كشف النقاب عن مجده. إننا لسنا متجهين صوب أتون النار؛ ولكن إلى النهر الزجاجي الشبيه بالبلور. إن هذا الضمان هو أحد البركات الحالية المصاحبة للتبرير.

هل تقلل تجارب وصعوبات الحياة المسيحية من بركاتها؟

هذا سؤال جيد. إننا لسنا في السماء بعد. لقد وعدنا بالألم طوال فترة وجودنا على الأرض (انظر يو ١٦: ٣٣، أع ١٤: ٢٢، ٢ تيمو ٣: ١٢). لا يوجد من يطلق عليه مؤمن مستريح؛ لكن هل يستطيع هذا الضيق أن ينزع فرحنا؟ لن يستطيع على الإطلاق. إننا في الحقيقة نفرح في الضيق، نبتهج ونتهلل بالآلام؛ لأن هذه الضيق تنشئ ثباتاً، وهذا ينتج بالتبعية مؤمناً مسيحياً يتميز بالخبرة والنضوج. إن أولئك الذين لهم مثل هذا الثبات الروحي، لهم بالتأكيد الإيمان المتزايد؛ لأن الروحانية والرجاء مرتبطان معاً برباط وثيق (عدد ٣، ٤).

بهذه الطريقة، فإن كل ما نعاني منه على الأرض؛ يجعلنا نتطلع أكثر وأكثر إلى الميراث السماوي الذي ينتظرنا. هذا الرجاء هو رجاء أكيد. وإذا لم يتجسد هذا الرجاء، نكون في خزي مubin. لكن ليس هناك احتمال بأننا سنخزي

أو نُحْبِطُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّنَا كُلَّمَا نَمُوتُنَا فِي الرَّجَاءِ، أَزْدَدْنَا يَقِينًا - بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ الَّذِي يَعْمَلُ فِي قُلُوبِنَا - أَنْ اللَّهَ يُحِبُّنَا (عدد ٥)، وَهَذَا الْيَقِينُ يَكُونُ أَكْثَرَ وَضُوحًا فِي وَقْتِ الضِّيقِ عَنْهُ فِي وَقْتِ الرَّحْبِ.

يَا لَهُ مِنْ اخْتِبَارٍ عَجِيبٍ ذَلِكَ الْاِخْتِبَارُ الْمَسِيحِيُّ! فَإِنْ صَدَمَاتُ هَذَا الْعَالَمِ تَحْرُكُ رَجَاءَنَا، وَاشْتِيَاقَنَا إِلَى السَّمَاءِ، وَكُلَّمَا أَدَارَ الْعَالَمُ ظَهْرَهُ لَنَا؛ كُلَّمَا تَأَكَّدْنَا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّنَا. فَهَلْ يَفْشَلُ ذَاكَ الَّذِي يُحِبُّنَا كُلَّ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ فِي أَنْ يَحْضُرَنَا إِلَى بَيْتِهِ؟ هَلْ يَحْرُكُ رُوحَهُ الْقُدُّوسَ فِينَا رَجَاءً، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ؟

المحبة: أين تجد الدليل على أن الله يحبك؟

عدد ٦ - ٨: إِنَّنَا لَا نَجِدُهُ فِي الظُّرُوفِ الَّتِي نَمُرُّ بِهَا؛ وَلَكِنْ نَجِدُهُ فِي الْجَلْبُثَةِ. كُنَّا بَدُونَ قُوَّةٍ، وَعَاجِزِينَ عَنْ أَنْ نَخْلُصَ أَنْفُسَنَا. كُنَّا عَاجِزِينَ وَضَائِعِينَ، وَعِنْدَمَا كُنَّا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ؛ مَاتَ الْمَسِيحُ فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ مِنْ أَجْلِنَا، مَعَ أَنَّنَا كُنَّا أَشْرَارًا وَغَيْرَ مُسْتَحَقِّينَ وَتَحْتَ دِينَونَةِ اللَّهِ. تِلْكَ هِيَ الْمَحَبَّةُ! تِلْكَ هِيَ الْمَحَبَّةُ حَقًّا!!

إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَخِيلَ مَحَبَّةَ بَشَرِيَّةٍ يُمْكِنُهَا أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هَذَا. إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَعْتَادِ أَنْ يَقُومَ أَحَدٌ بِهَذِهِ التَّضْحِيَةِ الْعَظْمَى، وَمَعَ ذَلِكَ رُبَّمَا تَجِدُ شَخْصًا مَا يَمُوتُ لِيَخْلُصَ شَخْصًا رَائِعًا، لَكِنْ وَنَحْنُ بَعْدَ خَطَاةٍ (بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ الْكَلِمَةُ مِنْ مَعَانٍ) مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا. هَذَا هُوَ الْبَرَهَانُ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لَنَا وَمَقْدَارِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ. لَقَدْ كُنَّا أَثْمَةً، وَتَعَمَّدْنَا أَنْ نَكُونَ أَشْرَارًا وَكَانَ فَسَادُنَا دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا. كُنَّا أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا. إِنَّ الصَّلِيبَ هُوَ إِعْلَانُ مَحَبَّةٍ لَا مِثْلَ لَهَا وَلَا نَظِيرٍ. إِنَّهُ الْبَرَهَانُ الدَّامِغُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّنَا.

انظر: أي ضمان للمستقبل أعطي لنا في ذلك!!

عدد ٩ - ١١: إن سفك دم يسوع المسيح هو الذي ضمن تبريرنا، ويترتب على ذلك عدم وجود خطر علينا من الغضب الآتي. فإذا كان الرب قد بررنا بمثل هذا الثمن؛ فكيف يمكن أن يتركنا للدينونة؟ هذا مستحيل وغير معقول. ما أعظم رجاءنا!

عندما كنا بعيدين عن الله؛ قَرَّبنا بموت ابنه، والأكثر من ذلك، لأننا قريبون سنخلص بحياته. إذا كان اتضاعه قد خلَّصنا عندما كنا بعيدين؛ فكم وكم يخلصنا ارتفاعه ونحن قريبين. إذا كان قد صنع معنا كل هذا الصلاح ونحن خطاة وأعداء؛ فبالتأكيد سوف يصنع معنا صلاحًا أعظم الآن ونحن أصدقاء. إن كان موته يضمن لنا المصالحة؛ فكم وكم حياته تضمن لنا الخلاص النهائي.

إن الحياة المسيحية هي حياة فرح. إننا نفرح* على رجاء مجد الله (عدد ٢)، ونفرح في الضيقات (عدد ٣)، كما أننا نفتخر بالله برِّبنا يسوع المسيح (عدد ١١). إنه الأب المصالح الذي قَرَّبنا إليه في المسيح، وهذا يجعل قلوبنا تقفز فرحًا وتهللاً وابتهاجا وطربًا. إن الكفارة تمت والمصالحة تمت والخلاص هو حقيقة حاضرة؛ لذا تفيض قلوبنا بالفرح والامتنان والتقدير، وفوق الكل العبادة لله.

هذه إذن هي بعض البركات المصاحبة للتبرير، وقائمة البركات لم تنته بعد، وسوف يضيف إليها بولس الرسول الكثير من البركات، وهو يتقدم في سرد هذه الرسالة. لكنه قد عَرَّفنا ما يكفي لنتحقق أن إنجيل نعمة الله في المسيح، قد جعلنا أغنياء حقًا.

* لقد ترجمت الكلمة Rejoice إلى كلمة نفتخر في ترجمة فانديك وهي في الصيغة الدلالية أو في صيغة التمني (نفتخر أو ليكن افتخارنا)، لأنها في الأصل اليوناني تفيد معنى الافتخار.

بعض الأمور الأخرى التي يجب ملاحظتها

قبل أن نترك هذا النص المختصر والرائع، هناك بعض الأمور التي يجب أن نلاحظها.

يجب أن نلاحظ أن خلاص الخاطيء هو عمل الله ثلاثي الأقانيم، فما أروع هذا التوافق والانسجام الذي نراه بين أقانيم الثالوث في هذا النص! فالله الآب يحبنا، والبرهان على محبته ومقدارها يتضح من استعدادة لموت ابنه الوحيد (عدد ٨). إنها نفس محبة الله التي يسكبها الروح القدس في قلوبنا (عدد ٥). لكن هناك من يصوّرون الخلاص بشكل مختلف تماما؛ إنهم يصورون الله الآب وقد عقد العزم على أن يديننا؛ لكن المسيح - بموته البذلي حرّمه من هذا الامتياز - فيبدو الابن كما لو كان أكثر اهتمامًا من الآب بخلاص الخطاة. وفي الغالب لا يذكرون عمل الروح القدس في اختبار المؤمن، لكن الأمر مختلف مع بولس، فالنص الكامل يُظهر فهمه للتناغم المجيد والسرمدى بين أقانيم الثالوث، ويرى أن الخلاص هو عمل اللاهوت كله.

كما يجب أن نلاحظ وصف بولس للشخصية المسيحية. في غل ٥: ٢٢ يبدأ قائمة ثمر الروح بالمحبة والفرح والسلام وطول الأناة، وفي ١ كو ١٣: ١٣ يؤكد على الإيمان والرجاء والمحبة. هذا النص متوافق تمامًا مع هذه الأوصاف. ومع أننا لم نبدأ بعد في الأصحاحات ٦ - ٨ إلا أنه واضح بالفعل أن أولئك الذين تبرّروا، لهم أيضا حياة جديدة. ومن الواضح أيضا أن حقائق الإنجيل ليست فقط حقائق موضوعية تدرك بالعقل، لكن قوة هذه الحقائق يمكن أن تُختبر شخصيًا، وهذا بالطبع هو عمل الروح القدس. لكن في الحياة العملية عندما نتأمل في هذه الحقائق مقترنة مع صعوبات هذه الحياة الأرضية، فإن هذا يُغني اختبارنا المسيحي ويُثريه.

أخيرًا - علينا أن نلاحظ أن تبريرنا وسلامنا مع الله واقتربنا من حضرته الملكية - كل هذه لا علاقة لها بظروفنا . إن ضيقات هذه الحياة تنمي شخصيتنا المسيحية؛ لكن هذه الامتيازات الثلاثة تبقى راسخة لا تتغير ولا تقبل التغيير؛ فلن يوجد ذلك الوقت الذي يكون فيه تبريري - أو سلامي مع الله أو قبول الله لي - أمرًا تقريبيًا.

إن هذه الأمور تستند على عمل المسيح الذي أكمل، لذا فإن علاقتي بالله تبقى دائما ثابتة دون تغيير. أما الضيقات وتفاعلي معها؛ فتعني أن هناك أوقاتًا أكون فيها أقل قداسة من الأوقات الأخرى، وهناك أوقات تكون فيها طاعتي وروحانيتي أعظم من أوقات أخرى، لكن علاقتي مع الله تبقى ثابتة لا تتغير، وقبولي لدى الله كامل. هذه النقطة إذا لم تكن واضحة لنا فإننا نكون فقدنا ما يقوله الرسول بولس في هذه الأعداد.

اقرأ رومية ٥: ١٢ - ٢١

آدم الأول وآدم الأخير

يوجد الكثيرون في هذه الأيام الذين ينكرون أن آدم كان شخصية تاريخية حقيقية. في هذا النص تعتمد حجة بولس الرسول تمامًا على حقيقة أن كلا من آدم ويسوع كانا شخصين تاريخيين بنفس المفهوم؛ فهو يعتقد مقارنة بين الشخصين، وهذه المقارنة لا يمكن أن تعقد لو لم يكن لكل منهما وجود، فوجود آدم ضروري لهذه المناقشة تمامًا مثل وجود المسيح.

لو لم يكن لآدم وجود - كشخصية حقيقية تاريخية - كأب للجنس البشري؛ فإن كل الحجج التي يسوقها الرسول بولس تبطل. وإذا لم يكن سقوط الواحد لم يسقطنا جميعًا، فلا معنى من البرهان على أن طاعة الآخر تخلّصنا. إذا أنكرنا أن سبب هلاكنا يرجع إلى الشخص الذي كان يمثلنا فإن البرهان على أن خلاصنا قد تحقق بواسطة ممثل آخر لنا هو برهان باطل. وبكلمات أخرى، إذا رفضنا أن يكون آدم شخصية تاريخية، وأن السقوط كان أمرًا حقيقيًا، وإذا رفضنا مبدأ تمثيله لنا واتحادنا به؛ فإننا بذلك نرفض المسيحية من أساسها. إذا أنكرت أننا كنا هالكين طبقًا لمبدأ اتحادنا بآدم، فلا يمكن أن نبقى على حقيقة خلاصنا بمبدأ اتحادنا بالمسيح.

لقد حان الوقت لمواجهة الحقائق. لو أن آدم لم يوجد، ولم يسقط - كما قال الكتاب المقدس - فإن توقعنا الخلاص بآدم الثاني يكون مضیعة للوقت، ونكون غير مخلصين. لهذا السبب علينا أن نقاوم - بكل ما أوتينا من قوة - نظرية التطور العصرية. إن المسألة ليست تصديًا لآراء مغايرة - لكنها بنفس الدرجة من الصحة - لا، إنها مسألة تؤثر على خلاصنا. فلو كانت نظرية

التطور صحيحة، فإن الإنسان لا يكون هو الإنسان الذي تحدث عنه الكتاب المقدس، ولا المسيح هو المسيح الذي تحدث عنه الكتاب المقدس، داعياً إياه "آدم الأخير".

إننا لا نستطيع أن نؤمن بنظرية التطور، ونؤمن بالكتاب المقدس في نفس الوقت. إنك لا تستطيع أن تنكر ما جاء في الأصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين، وبعد ذلك تلجأ إلى مسيح الكتاب المقدس (الذي قد قِيلَ هذه الأصحاحات) لكي تخلص. إن الاعتقاد بنظرية التطور ليس أمراً اختيارياً، جدير بالقبول. لا، إنه خطية تستلزم التوبة.

وهذا لا يعني أن المسيحية الكتابية تدعو للتخلف. إننا لسنا مجموعة من النعام تدفن رؤوسها في الرمال، متعامين عن التقدم العصري في العلم والمعرفة. إن التطور ليس إلا نظرية، وهناك عدد كبير من العلماء الأمناء لا يقبلونها - فهم يرون أن الدلائل العلمية تستلزم موقفهم هذا.

وفي الحقيقة، فإن الكثيرين منهم، يعتبرون أن هذه النظرية يصعب الدفاع عنها في ضوء الاكتشافات والأبحاث الحديثة. وقد اعترف بعض الذين يعتقدون بنظرية التطور، بأن السبب الوحيد الذي يجعلهم يتمسكون بها، أنها البديل الوحيد للإيمان بالخلق. وبالطبع أنه بمجرد أن تؤمن بالخلق، يجب أن تؤمن بالخالق، وإذا آمنت بالخالق؛ فيجب أن تعترف أننا جميعاً خللقه، وأننا مسئولون أمام ذاك الذي خلقنا.

وللأسف، فهذا هو فكر لا يُريح الإنسان الذي لا يريد لحياته أن تتغير. إنه يفضل أن يواصل اعتقاده بنظرية تفتقر للبرهان والثقة، عن أن يسمح بدخول هذا الفكر الكتابي إلى عقله.

إن الإيمان بآدم التاريخي، لم يشكل عائقاً للرسول المُلهم، وها هو الرسول بولس يبدأ حجته بأن الهلاك الذي حل بنا جميعاً عن طريق آدم كان عظيماً، لكن الخلاص الذي أُعِدَّ لنا بواسطة المسيح أعظم. لذلك يناقش بولس

الرسول بركات الخلاص، وهذا هو ما يربط هذا النص بما قبله. لقد سبب آدم الهلاك الهائل لكل الذين هم فيه، ولقد أوجد المسيح الخلاص الأعظم لكل الذين هم فيه. دعونا نرى إذن كيف يوضح بولس الرسول هذا الأمر. إنه يوجهنا أولاً إلى:

الدمار الناتج عن السقوط

عدد ١٢ - ١٤: لقد كان الشيطان - وليس آدم - هو أصل الخطية، فقد اقتحمت الخطية العالم قادمة من موضع آخر (عدد ١٢)، لكنها وطدت أقدامها في العالم بواسطة آدم. فأدم أخذ وصية واضحة من الله، وكان لديه الحرية والقدرة على حفظها، لكنه لم يطعها، رغم أنه كان يعرف عاقبة ذلك معرفة كاملة، فماذا كانت النتيجة؟ الموت!

لقد جاء الموت من الخطية، ولم يكن الموت طبيعياً ضمن طبيعة تكوين الإنسان؛ ولهذا فإننا نخاف منه، فالموت كان يعني أن شركة آدم مع الله قد تحطمت. لقد طرد آدم من الجنة، وتبع ذلك حتما الموت الجسدي. لو لم يكن قد أخطأ؛ لكان بالإمكان ألا يموت.

هذه الخطية الواحدة، التي عملها إنسان واحد هي السبب في تسلط الموت على الجميع، وهذا ما يؤكد ليس فقط عدد ١٢، لكن أيضا الأعداد من ١٥ إلى ١٩. والنص اليوناني لهذا الجزء واضح: عندما أخطأ آدم أخطأ الجميع. إن بولس الرسول لا يبرهن هذا الأمر من منطلق أن آدم هو جدنا، لكن لأن آدم هو الجنس البشري. إنه الممثل والذي كان فيه كل الجنس البشري. توجد وحدة في الجنس. إننا وآدم أعضاء بعضنا لبعض مثل الجذر والأغصان. لقد رسم الله أن نكون في هذه العلاقة مع آدم، وعندما أخطأ آدم أخطانا نحن، أي اشتركنا في خطية آدم.

ليس حسناً أن نقول: "هذا ليس عدلاً" لأن هذه حقائق، ومن حماقة أن نعترض قائلين: "أنا ما كنت أفعل ما فعله آدم"؛ لأننا نحن أنفسنا نفعل ما فعله آدم كل يوم في حياتنا. ومن حماقة أن نقول: "إن ذلك ظلم"، لأن نفس المبدأ التمثيلي الذي شكّل منا خطاةً، هو نفس المبدأ الذي بواسطته الواحد يسوع المسيح يُخلص الخطاة.

عدد ١٢ يرينا إذاً أن الخطية دخلت إلى الجنس البشري عن طريق آدم، ومع الخطية دخل الموت. انظر إلى عددي ١٣، ١٤. لماذا مات الناس في الفترة ما بين آدم وموسى؟ هل بسبب تعذّياتهم؟ كلا، ليس كذلك. في ذلك الوقت لم يكن هناك ناموس ليتعدوه. لم يكن هناك مقياس يمكن على أساسه تحديد التعذّي. لم تكن هناك طريقة، يمكن على أساسها أن يوصف أي شخص بأنه مذنب، مع ذلك كان البشر يموتون، ولأن الخطاة فقط يموتون؛ فذلك يبرهن بوضوح أنهم كانوا خطاة، بالرغم من أنه لم يكن هناك ناموس. ما جعلهم خطاة ليس كسرهم للناموس، لأنه لم يكن هناك ناموس، كما أنهم لم يخطئوا بالبشاعة التي أخطأ بها آدم. لكن الحقيقة أن الجميع أخطأوا في آدم، وهذا كان السبب في موتهم.

لقد تأثروا بما فعله نائبهم. إن عمل الواحد أثر على الكل. خطية الواحد أهلكت الكثيرين، وأي هلاك! لم يكن هناك رجاء للجنس البشري إلا في ذاك الآتي، فإن آدم هذا لكونه ممثلاً لنا؛ كان هو الرمز والشبيه والنموذج للمسيح. إذاً المبدأ النيابي الذي تسبب في هلاكنا هو أيضاً الوسيلة لخلاصنا. من هذه الناحية يوجد تشابه بين آدم والمسيح، أحدهما صورة للآخر.

يوجد آدم الأول ويوجد آدم الأخير. يوجد الإنسان الأول ويوجد الإنسان الثاني، وتلك هي نعمة الله، أنه حتى فساد الإنسان يعلمنا عن المسيح مخلص الخطاة!

التباين بين آدم الأول وآدم الأخير

الأعداد ١٥ - ٢١: إذاً هناك تشابه بين آدم والمسيح، لكن هناك أيضاً اختلافات هامة. إن عطية الخلاص المجانية في المسيح، لا تتشابه مع السقوط في آدم. هذه هي النقطة الرئيسية التي نفهمها من عدد ١٥ وحتى نهاية الأصحاح. إن هلاكنا في آدم عظيم، لكن خلاصنا في المسيح أعظم؛ فبسبب خطية الواحد؛ مات الكثيرون (كما يُفهم من النص اليوناني لعدد ١٥)، لكن في المسيح هناك فيض عطية النعمة المجانية. والفيض هنا ليس في العدد، بالرغم من أن شعب المسيح يوصف في الأصل بأنه "الكثيرون"، لكنه أوفر الامتيازات والفوائد. إن قوة المسيح على الخلاص تفوق كثيراً قوة آدم على الهلاك؛ لذلك نحن نأخذ في المسيح بركات أكثر مما فقدنا بالسقوط.

ويوضح بولس الرسول هذا في عدد ١٦. توجد أوجه شبه بين آدم والمسيح، لكنها ضعيفة؛ فالهلاك الذي سببه الواحد الذي أخطأ لا يمكن أن يُقَارَن بالهبة التي جاءت بواسطة الآخر. بخطية آدم الواحدة وقع حكم الدينونة على الجنس البشري، لكن نعمة المسيح المجانية تفوق هذا كثيراً. وبالرغم من أن تلك الخطية قد تكررت كثيراً (من البشر)، فإن المسيح عكس الحكم، وجعل الكثيرين من الخطاة، يعودون إلى علاقة صحيحة مع الله.

بواسطة خطية واحدة لآدم، مَلَكَ الموت على الجميع (عدد ١٧)، لكن انظر إلى ما قدمه المسيح لنا - لقد غمرنا بعطفه الذي لا نستحقه، وَحَسَبَ لنا بَرَّهُ، ونحن نتشارك - وسوف نتشارك - معه في حياة القيامة والمجد.

انظر إلى عدد ١٨. بواسطة خطية آدم؛ وقعت الدينونة على جميع المتَّحدين به، وبواسطة بر المسيح؛ مُنح تبرير الحياة لكل المتَّحدين به. وقول بولس الرسول "جميع الناس" لا يقصد به إطلاقاً أن كل واحد من البشر سوف يخلص، فقد ذكر بوضوح في الأصحاحات السابقة، أن نسبة كبيرة من الجنس

البشري سوف يُدانون، لكنه هنا يناقش المبدأ النيابي. لقد أهلك آدم كل الذين كان يمثلهم، ويعطي المسيح تبرير الحياة لكل الذين يمثلهم.

عدد ١٨ يمكن أن يُترجم ليعني أنه كما أن الدينونة قد وقعت على الجميع بسبب خطية واحدة، فإن تبرير الحياة مضمون بسبب عمل بر واحد. في هذه الحالة يشير بولس الرسول إلى العمل العظيم للطاعة، والذي كان ذروة كل حياة الطاعة للمسيح، ألا وهو ضمانه لخلاصنا على الصليب. وإن ما يسعدنا هو أن المسيح لم يضمن فقط براءتنا؛ ولكنه ضمن براءاً لنا. إن لنا التبرير الذي يؤهلنا إلى الامتلاك العادل للحياة والتمتع بها.

لقد كان عصيان الواحد هو الذي جعلنا خطاة (عدد ١٩)، لكن المسيح أطاع، وهذا جعل الكثيرين أبراراً. لقد نُسب بر المسيح لنا، وحُسب لنا شرعاً. هذه الحقيقة المجيدة وحدها، هي أساس علاقتنا الجديدة مع الله.

وإعطاء الناموس لم يخفف من حالة الإنسان الهالك (عدد ٢٠). لقد وُجدت الخطية قبل الناموس، وكان دور الناموس إظهار الخطية على حقيقتها. لكن الناموس في الواقع زاد من كم الخطية في العالم، وليس هذا بسبب وجود أي شيء شرير في الناموس، فهو يمثل النقاء والبر معاً، لكن قلب الإنسان هو الشرير. وعندما يُواجه قلب الإنسان بالناموس؛ فإنه يُظهر تمرده، من خلال عصيانه للوصايا الإلهية. إن وصايا الله أصبحت واضحة بالناموس، لكن قلب الإنسان لم يتغير وكان فاسداً، لدرجة أنه عمل عكس ما أوصى الله به، فكان العالم بعد إعطاء الناموس أكثر سوءاً مما كان عليه من قبل، وكثرت الخطية جداً. أيضاً كان من الضروري أن يكون خلاص المسيح أعظم كثيراً من الإنهيار الأخلاقي؛ لأنه حيث كثرت الخطية، ازدادت النعمة جداً.

لقد ملكت الخطية (عدد ٢١)، والدليل على هذا أنه كان هناك موت روحي وموت مادي في كل مكان. لقد كان المشهد عبارة عن خراب وهلاك تام.

وأيضاً، كانت فوائد الفداء تتزايد كثيراً عن ذلك. وأخيراً جاء المسيح. يالها من
نعمة! لقد حَفِظَ الناموس واستنفد عقابه، حتى أن العدل لم يُبْطَل. أي بَرِّ هذا!
وعلى هذا الأساس فهو يعطي الآن الحياة الأبدية لشعبه.

لقد ملك الموت (عدد ١٤، ١٧)، وملك الخطية (عدد ٢١)، لكن بالنسبة
لنا، النعمة هي التي تملك (عدد ٢١). إنها تملك بربنا يسوع المسيح. ياله من
شخص عظيم! وياله من عمل عظيم!

الآن أمور مختلفة

(رومية ٦ – ١١)

اقرأ رومية ٦: ١ - ١٤

السيد القديم والسيد الجديد

سؤال

هناك أمران واضحان لكل من فهم الأصحاحات الخمسة الأولى من رسالة رومية. الأمر الأول هو أننا لم نخلص بواسطة حفظ ناموس الله، ولا بأي شيء آخر نعمله، والأمر الثاني هو أن نعمة الله تزداد جدا عندما تكون الخطية في أشنع صورها.

إذا استطعت أن تفهم هاتين الحقيقتين، فإن السؤال التالي قد يجول بخاطرك: "إذا كنت لا أخلص بحياة البر، فلماذا أنشغل الآن بحياة البر؟ إن ذلك لن يضيف شيئا في خلاصي حيث أنه كلما كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا؛ لذلك فكلما أخطأت أكثر، كلما اختبرت نعمة الله ورحمته بدرجة أوفر.

ربما لم تسأل نفسك هذا السؤال؛ لكن بولس الرسول سمعه كثيرا من الناس، وهو الآن يثير هذا السؤال في رسالته، لكي يجيب عليه.

ألا تظن أن بولس الرسول كان متعاطفا مع هذا السؤال بأي شكل من الاشكال؟ إن رد فعله عليه مرعب. إنه يقول: "حاشا" أي فكر فاسد. إنه يدحض هذا السؤال الخبيث بأن يسأل قائلًا: "نحن الذين متنا عن الخطية؛ كيف نعيش بعد فيها؟ إنك لا تستطيع أن تكون ميّتا عن الخطية وفي نفس الوقت تعيش فيها.

إن إجابة الرسول بولس موجزة وبسيطة، لكنها - وللأسف الشديد - غير مفهومة من الكثيرين من المؤمنين اليوم. لقد شرحها بأكثر وضوح في الأعداد

٣ - ١١، لكن قبل أن ندرس تلك الأعداد، دعنا نقدم توضيحًا بسيطًا يمكن أن يساعدنا على فهمها.

تعليم هام

حدث أن كان هناك عبدًا فقيرًا، وكان سجينًا في قلعة سيده المستبد. وكان على العبد أن ينفذ كل ما يأمر به سيده القاسي، وأصبح العبد يزداد بؤسًا يوميًا بعد يوم؛ لأن السيد المستبد كان يستغله، فجعل حياته مسلسلًا من الشقاء والكدر المتواصلين. وقد حاول العبد الهروب باستخدام سلم من عشر درجات، لكنه لم يستطع أن يصعد كثيرًا على السلم قبل أن يلحقه سيده ويشده لأسفل بعض درجات ويضربه حتى يقارب الموت. لم تكن هناك وسيلة للهروب من هذه المعاناة والعبودية القاسية.

وكان يعيش بالقرب من تلك القلعة ملك عظيم، وبدافع حب هذا الملك للعبد المسكين دبّر خطة عجيبة لإطلاقه. ولا نحتاج من التفاصيل سوى أن نقول أن الملك قتل العبد السجين بالصلب، وعندما جاء السيد المستبد ليرى عبده؛ وجد أنه قد مات، فأنزعج جدا؛ لأنه لن يستطيع أن يستفيد منه فيما بعد. إن كل حقوقه على العبد قد سقطت. إن علاقة العبد بالسيد، والتي استمرت لمدة طويلة، قد انتهت نهائية دائمة.

وعندما دُفن جسد العبد؛ جاء الملك العظيم بمفرده، وأقامه من الموت، وأخذه إلى بيته الخاص. لقد غمر ذلك العبد شعور بالامتنان لمن خلّصه من حالته الصعبة بهذه الطريقة العجيبة. وكان فرحه غامرا لأنه وجد نفسه في بيت سيد حكيم وكريم وقوي. لقد كان قلبه مملوءًا بالمحبة الخالصة، والتعلق الشديد بمخلصه، وقرر أن يخدمه - من الآن. إن العلاقة القديمة قد انتهت بموته، ومع ذلك فهو لا يزال حيًا. لقد أدرك الآن أن امتلاكه لهذه الحياة الجديدة يعني أنه يدرك أنه لا يوجد إلا شخص واحد يمكن أن يخدمه الآن. لقد

مات بالنسبة لسيده القديم، ولكنه حيّ لسيده الجديد. لقد مات عن الخطية ولكنه يعيش لله.

إذا كنت مؤمناً، فإنك تحتاج أن تفهم علاقتك بالخطية، إنها السيد القديم الذي كان يوماً ما يسود عليك. لقد اجتزت موتاً. اقرأ الأعداد ٢ - ٦ مرة أخرى ولاحظ كيف يعرض بولس الرسول هذه الفكرة. "لأنك قد مُت هذا الموت"، فالخطية لم تعد قادرة على التحكم في حياتك. ولكونك ميتاً، فأنت قد تحررت من الخطية (عدد ٧، ١١). لقد سادت عليك الخطية فيما مضى. لقد كانت سيدك المسيطر عليك، وكما فعل السيد المستبد؛ وضعتك في العبودية والشقاء. لكن هذه العلاقة قد انتهت تماماً؛ لأنك اجتزت موتاً - أنت الآن ميت بالنسبة للخطية.

وأنت الآن في علاقة مع سيد جديد، هو الله. بعد موتك بالنسبة للخطية، حدثت لك قيامة (عدد ٤، ٥). إنك الآن حيّ، ولا يمكن أن تموت مرة ثانية (عدد ٨، ٩). "احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا" (عدد ١١). سيد واحد - وواحد فقط - هو الذي له حق مساءلتك، وهذا السيد هو الله نفسه.

إذا اعتبرت أن المؤمن له سيدان، كل منهما يسود عليه في أوقات مختلفة فإنك لم تفهم ما يقوله بولس الرسول. لا توجد طبيعتان للمؤمن، إنه ليس فصامياً، أحياناً يكون خاضعاً لطبيعة بمقاييسها الخاصة، وفي أحيان أخرى يكون خاضعاً لطبيعة أخرى لها مقاييس مختلفة. إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً. قد بطل الإنسان العتيق، والعامل الآن هو الإنسان الجديد. هناك صعوبات في أن يحيا الإنسان حياة الإنسان الجديد - كما سنرى - ومع ذلك، لم يعد هناك سيدان للإنسان؛ فالمؤمن قد مات عن واحد ويحيا للآخر.

لكن متى حدث كل هذا؟ متى مت أنت شخصياً كمؤمن عن الخطية؟ ومتى قمت لتحيا لله؟

لكي نُجيب على هذا؛ علينا أن نأخذ دقائق قليلة في الحديث عن الاتحاد بالمسيح، الأمر الذي نتمتع به كمؤمنين. يصف العهد الجديد المؤمن بأنه "في المسيح"، إنكم قد اتحدتم بالمسيح حسب اختيار الله "الذي اختارنا في المسيح قبل تأسيس العالم" (أفسس ١: ٤). عندما عاش المسيح حياة كاملة على الأرض، فإن هذه الحياة حسبها الله حياتك، وهذا هو التبرير، الذي شرحناه في الأصحاحات ١ - ٥. وعندما مات المسيح، فإن موته قد حسبه الله موتك أنت؛ لذلك يعلن الله أنه لا موت عليك اجتيازه بسبب خطاياك. وهذا أيضا ما أخبرنا به بولس الرسول في الأصحاحات ١ - ٥. وبنفس الطريقة، عندما قام المسيح من الموت، حسب الله قيامته قيامتك (أف ٢: ٥). إن كل خلاصك يعتمد على حقيقة اتحادك بالمسيح.

بعد أن عرفت هذا، اقرأ الأعداد ٢ - ٦، ٨، ١٠، ١١ مرة ثانية. وهكذا قد أُجيب عن سؤالنا، فإنه عندما مات يسوع على الصليب، مت أنت عن الخطية. إنه لم يموت هو فقط من أجلك، (كما عرفنا في الأصحاحات ١ - ٥)، لكنك مت أنت معه. وفي حساب الله، فإنك كنت على الصليب عندما مات المسيح، وبنفس الطريقة حُسِبَت قيامتك بقيامته، فلأنك قد اتحدت مع المسيح بحسب قصد الله، فإنه حُسِبَ لك أنك قمت، عندما قام المسيح. لقد قمت عندما قام المسيح، ويوضح بولس الرسول هذا في الأعداد ٤ - ٥، ٨ - ٩. لقد قمت لا لكي تموت ثانية. المسيح يحيا لله وهكذا أنت أيضا. هذا هو السبب الذي لأجله تحسب نفسك حيا لله، بيسوع المسيح ربنا، كما هو مكتوب في عدد ١١. وهذا هو بالضبط الحق الذي ترمز إليه المعمودية المسيحية. ويحتكم بولس الرسول إلى هذه الفكرة لكي يوضح هذه الحقيقة الهامة لقرائه.

ممارسة هذه الحقيقة

لكن كيف يمكن للمؤمن أن يحيا - بشكل عملي - حياة تحررت من سلطان الخطية، وأصبحت تحت سلطان الله؟ هذا السؤال تُجيب عليه الأعداد ١٢ - ١٤، لكن دعونا نواصل القصة التوضيحية التي سبق أن بدأناها.

العبد الذي مات وقام ثانية، يعيش الآن خادماً للملك الذي أنقذه من سلطان السيد القديم. وبينما هو يخدم الملك، قابل سيده القديم، فحاول السيد القديم أن يُدخل الرعب إلى قلبه، وأن يعطيه الأوامر، كما كان يفعل من قبل، بل ويهدده بالضرب إن هو لم يُطع أوامره، فماذا يجب على ذلك العبد أن يعمل؟

أول كل شيء عليه أن يتذكر شيئاً، ويجب أن يتذكر أنه صحيح: عليه أن يتذكر أن السيد القديم لم يعد له عليه أي سلطان لكي يأمره، وليس له أي حقوق عليه أو سلطة ليفعل ما يقوله له؛ فالخطية لم تعد هي سيده، ورغم كل الادعاءات التي تقدمها. إن له سيذاً شرعياً واحداً فقط، هو السيد الجديد، وكل أمر يصدر من السيد القديم المستبد، يجب أن يقول له: "لا، لم يعد لك عليّ أي حق على الإطلاق. إنك مغتصب وتأمرني أن أفعل أموراً، لست ملزماً أن أفعلها. ليس لك عليّ سلطان البتة. لن استسلم لأوامرك، وليس هناك ما يمكن أن أعمله معك. إنني أرفض أوامرك".

لكن رفض العبد لخدمة السيد القديم ليس كافياً؛ عليه أن يكون منشغلاً بخدمة السيد الجديد، كحي من الأموات، يسير في جدّة الحياة (الحياة الجديدة). يجب أن يوظف كل طاقاته وقدراته لخدمة الله. عليه أن يسلك في الروح وهذا سوف يضمن له، ألا يكمل شهوات الجسد (غل ٥: ١٦).

إذا قرأت الآن الأعداد ١٢ - ١٤ مرة ثانية؛ فسوف تفهم المعنى. لكي يحيا المؤمن حياة مقدسة؛ عليه أن يتذكر أن علاقته بالخطية قد انتهت، وليس لها أي سلطان عليه. عليه أن يرفض أوامرها؛ وليس كافياً أبداً أن يقول

لها: "لا". عليه أن يخصص نفسه لله: "قدموا ذواتكم لله، كأحياء من الأموات؛ وأعضاءكم آلات بر لله" (عدد ١٣؛ انظر أيضا عدد ١٩). السيد القديم لا يستطيع أن يتحكم في حياتك فيما بعد. إنك لم تعد تحت الناموس، تحاول أن تهرب من الخطية، وكلما تحاول أكثر تُهزم أكثر، لكنك بفضل رحمة الله الغالبة، أصبحت متميزاً عند الله. إنك تحت النعمة.

هذا التعليم عملي جداً، فعلينا أن نسلك في هذه الحياة متجنبيين السيد القديم. وهذا هو معنى إماتة الجسد، فإذا وجدت أن كتاباً أو برنامجاً تليفزيونياً يحتثي على الخطية؛ فيجب أن أتركه فوراً. أي شيء غير ضروري يمكن أن يقودني إلى مواجهة مع السيد القديم، عليّ أن أتركه. إن السيد القديم أقوى كثيراً مما نظن، وسوف يعمل كل ما في وسعه ليجعلنا خاضعين له. إننا نحتاج أن نبتعد عنه، كما عن وباء؛ لأنه وباءٌ بالفعل.

لكننا متأكدون أننا سوف نقابله، مهما حاولنا أن نبتعد عنه، ومع ذلك فنحن نملك الآن القوة والسلطان لرفض أوامره، الأمر الذي لم نكن نملكه في حياتنا قبل التجديد. إننا لسنا خاضعين بعد للخطية؛ لم يعد لها سلطان علينا، فكل خطية تواجهنا - مهما كانت جاذبيتها - يمكن أن نقول لها: لا، وسوف نرى أنه برفضنا للخطية، نجني انتصاراً عظيماً.

ولكن لن يكون انتصارنا كاملاً، إذا لم نُخضع نفوسنا لله. من المهم أن نخضع قدراتنا ومواهبنا للسيد الجديد، وأن نقضي ساعاتنا وأيامنا عاملين كل ما يمكن عمله لنرضيه. كانت صلاة بولس الأولى كمسيحي هي: "يا رب، ماذا تُريد أن أفعل" (أع ٩: ٦)، وهذه يجب أن تكون صلاتنا اليومية. يجب أن نرى في كل يوم وفي كل ساعة فرصة لكي نخدمه، وأن نبحت عن عمل كل ما يمجّد الله (١ كو ١٠: ٣١). يجب أن تنشغل أيادينا بعمل الله، وأن ننظم وقتنا لنعمل أقصى ما تسمح به حياتنا البشرية. عندما نقضي كل وقتنا طالبين بسرور إرضاء سيدنا الجديد فلن نكون أبداً فريسة سهلة للسيد القديم.

يجب علينا قبل أن ننهي هذا الجزء، أن نشير إلى قوة صليب المسيح. إنه لم يُنصَب فقط من أجل تحريرنا من دينونة الخطية، لكنه حطم أيضا سلطان الخطية الذي كان يسود علينا. إننا لا نجرؤ على الابتعاد عن الصليب. عندما يختفي الشكر من صلواتنا الشخصية لأجل عمل الجلجثة، وعندما يفقد الصليب مركزيته في الوعظ الذي نسمعه، وعندما يكون تذكّار الصليب في عشاء الرب مجرد شيء إضافي غير ملزم، وعندما تخبو الجلجثة بكل ما فيها من عجائب عن أنظارنا؛ فإن ذلك سيكون هو الوقت الذي نفقد فيه حياة القداسة. "وأما من جهتي فحاشا لي أن أفخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم" (غل ٦ : ١٤).

اقرأ رومية ٦: ١٥ - ٧: ٦

العبودية والحرية

لا يوجد من خلّص عن طريق تنفيذ الوصايا العشر، ولا بأي شيء آخر قد عمله، لكنّ الإنسان يخلص لأن الله وخذّه ببسوع المسيح. إنه يملك كل الامتيازات التي استخلصها له المسيح، عندما اجتذبه الله للإيمان.

إذا لم يكن أحد قد خلّص عن طريق حفظ الناموس؛ إذا ما هو مكان الناموس في الحياة المسيحية؟ هذه هي القضية التي يعالجها الآن بولس الرسول. وهو يعالجها - كما فعل من قبل - من خلال أسئلة يسألها لقائه.

السؤال الأول في الأعداد ١٥ - ٢٣، والسؤال الثاني في الأصحاح السابع والأعداد ١ - ٦.

السؤال الأول

دعنا نصوغ السؤال الموجود في عدد ١٥ في كلمات آخر: "في ضوء ما قيل من حقائق، لماذا يجب على المؤمن ألا يحيا حياة الخطية؟ إذا كنا قد خلصنا حقا بنعمة الله، وليس عن طريق حفظ الوصايا العشر، فلماذا نحن مهتمون بأمر الوصايا العشر؟ لماذا لا نستمر في الخطية ونحيا كما لو كانت هذه الوصايا غير موجودة؟"

مرة أخرى يرد بولس "حاشا"، أو "يا له من فكر فاسد". إنه يسأل سؤالاً مشابهاً للسؤال السابق، ويعطي إجابة مشابهة. إنه مهتم بأن تكون هذه المشكلة واضحة تماماً في ذهن كل مؤمن.

ولكي يُجيب الرسول بولس على هذا السؤال، فإنه يدعونا أن نذهب معه إلى سوق العبيد. دعنا نذهب معه إلى أقرب عبد ونسأله: "مَنْ هو سيدك؟ إنه سوف يُجيب؛ ولكننا لا نعرف إذا ما كان يقول الحقيقة أم لا. كيف يمكن لنا أن نعرف إذا كانت إجابته صادقة أم كاذبة؟ علينا أن نلاحظه، لنرى لِمَنْ تكون طاعته. عندما يأتي إنسان ويطلب من العبد أن يفعل أمراً، فيطيعه في الحال، فلا بد أن يكون هذا الإنسان هو سيده. إنك تستطيع دائماً بهذه الطريقة أن تحدد انتماء أي شخص، "ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة، أنتم عبيد للذي تطيعونه...؟"

يخبرنا بولس الرسول أنه يوجد سيّدان، يطلبان نوعين مختلفين من الخدمة، ويُعطيان نوعين مختلفين من الأجرة. السيد الأول يُوصَف بأنه الخطية في الأعداد ١٦ - ١٨، ٢٠، ٢٢ - ٢٣، وبأنه النجاسة في عدد ١٩، والسيد الثاني يُوصَف في الأعداد ١٧ - ٢٠ بأنه البر، وفي الأعداد ٢٢ - ٢٣ بأنه الله.

هذان السيّدان يطلبان نوعين مختلفين من الخدمة. إذا كان سيدك هو الخطية والنجاسة؛ فإنك ستفعل الأشياء التي تتوافق مع طبيعة ذلك السيد. إنك ستخطئ وستعمل أعمالاً نجسه. إن سيدك سيطلب منك أن تفعل الخطية، وعندما تفعلها سيطلب منك أن تفعل خطايا أكثر (عدد ١٩). سيطلب منك أن تفعل أموراً مخزية (عدد ٢١). أما ما يطلبه السيد الآخر فمختلف تماماً. إن إله البر سيضمن لخدمته أن يفعلوا مشيئته المعلنة في تعاليم الكتاب المقدس (عدد ١٧، ٢٢). أولئك الذين لهم هذا السيد يعيشون حياة القداسة (عدد ١٩، ٢٢). إن هذين النوعين من الخدمة ليسا مختلفين فقط؛ ولكنهما متضادان تماماً.

كما أن السيدين يقدمان نوعين مختلفين من الأجرة. ما هي نتيجة خدمتك للسيد الأول؟ إنها الموت (عدد ١٦، ٢١، ٢٣)، والموت في الكتاب المقدس لا يعني فقط الموت الطبيعي؛ لكنه الانفصال عن الله والعقاب الأبدي. وما الذي يعطيه السيد الآخر؟ حياة! حياة أبدية (عدد ٢٢، ٢٣).

القضية هنا هي أن واحدًا من السيدين هو سيدك، وواحدة من هاتين الخدمتين هي خدمتك، وواحدة من هاتين النتيجتين هي ما سوف تحصدها. إذا كنت تحيا في الخطية والنجاسة متعمدًا، فإنه واضح جدا من هو سيدك وأين سيكون مصيرك. لكن أولئك الذين ينتمون إلى الله فلا يسلكون هكذا. لقد أعلن الرسول بولس بكل وضوح السبب الذي يجعل المؤمن الحقيقي لا يستطيع أن يحيا حياة الاستهتار والجموح. إن هذه الأعمال تثبت بوضوح أنه ليس مؤمنًا حقيقيًا على الإطلاق، ولا تزال الخطية هي سيده، رغم ادعاءاته أنه ليس كذلك. إنها بذلك تبرهن على أنه شخص هالك إلى الأبد. ومن ناحية أخرى، فإن المؤمن الحقيقي يحتاج بلا شك إلى الحث على أن يكون أكثر خضوعًا لسيدِهِ الجديد (عدد ١٩). إن للمؤمن الكثير من السقطات والضعفات - كما سنرى - لكنه لا يحيا حياة الإنفلات من ناموس الله.

هذا تعليم مقدس ودقيق جدا؛ فالدليل على أنك مؤمن حقيقي لا تثبته الكلمات بل طريقة الحياة التي تحياها. يعلم العهد الجديد بأن كل من يبرره الله يقدسه أيضا. كل من له سجل جديد في السماء، له أيضا حياة جديدة هنا على الأرض. هذا التعليم يختلف كثيرا عن كثير من التعاليم السائدة اليوم، والتي تنادي بأن كل الذين قرروا أن يقبلوا يسوع المسيح فإنهم بالتأكيد واثقون أنهم مسيحيون حقيقيون؛ حتى إن كانت حياتهم ليست مختلفة عن الآخرين. الكثيرون من هؤلاء قد يكون اهتمامهم بالوصايا العشر ضعيفا، وكذلك الحال بالنسبة لصورة العقيدة الموجودة في كلمة الله، ورغم ذلك تجد قادتهم الروحيين يؤكدون لهم - أنهم أبناء الله، والواقع ليس كذلك. فتعليم بولس الرسول يستبعد هؤلاء الناس، كذلك رب المجد، الذي أعلن: "ليس كل من يقول لي يا

رب يا رب، يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل مشيئة أبي الذي في السموات" (مت ٧: ٢١).

كما أن تعليم بولس الرسول يتعارض أيضًا مع مفهوم المسيحيين الجسدانيين، الشائع في هذه الأيام، حيث يعتقد الكثير من الناس أن سبب عدم حدوث تغيير حقيقي في حياة الكثيرين الذين أعلنوا إيمانهم بالمسيح، هو أنهم مؤمنون دون المستوى!! وأن مثل هؤلاء الناس يحتاجون إلى اختبار التكريس الكامل، أو "معمودية الروح القدس" أو أي شيء آخر يجعل هؤلاء الناس في الصورة التي يجب أن يكونوا عليها. ورغم أن الترجمات المختلفة لهذا التعليم تستخدم تعبيرات مختلفة؛ إلا أن أساس التعليم واحد. إنهم يعتقدون أنه من الممكن أن تكون مسيحيا حقيقيا؛ بالرغم من عدم تغيير حياتك، لكن تعليم بولس يدحض هذا التعليم تماما. إن كل مَنْ يعلن إيمانه بالمسيح، دون أن تتغير حياته؛ فهو ليس مؤمنا على الإطلاق. إن حاجة هؤلاء ليست إلى "اختبار آخر" ولا إلى نموذج لحياة أسمى، إنهم يحتاجون إلى الخلاص. إنهم بحاجة إلى من يرشدهم إلى الأصحاحات الخمسة الأولى من رسالة رومية، التي تشرح كيف يمكن للخاطئ الهالك أن يتصالح مع الله. إنهم بحاجة إلى من يحثهم على التوبة والإيمان بالإنجيل، وأن يعرفوا أنهم إن لم يتوبوا؛ فسوف يهلكون هلاكًا أبديًا.

السؤال الثاني

إن علاقة المؤمن بالناموس، يجب أن تكون علاقة واضحة؛ فالمؤمن قد تحرر من الناموس، بمعنى أنه لا يحتاج إلى حفظ الناموس لكي يخلص، ومع ذلك فهو لم يتحرر من الناموس؛ لأنه يحتاج إلى حفظ الناموس ليبهرن على أنه قد خلص. ولكن ليس من السهل على كل الناس أن تهضم هذا التعليم، لذلك يضيف بولس الرسول قليلا من الشرح في ٧: ١ - ٦ عن علاقة المؤمن بالناموس، وهو يشرح ذلك مستخدماً صورة توضيحية من الزواج.

يقول بولس الرسول: "أم تجهلون أيها الإخوة أن الناموس - أي ناموس - يسود على الإنسان مادام حيًا". كلنا نعرف هذه الحقيقة. عندما نموت، فإن ديوننا تموت معنا؛ فمن المستحيل أن تُقاضي إنسانًا وهو في القبر. ويريدنا بولس الرسول أن نتخيل زوجين. إنهما مرتبطان معًا بالناموس كزوج وزوجة طالما أن كلا منهما على قيد الحياة. إذا تزوج أحدهما شخصًا آخر؛ فإنه يكون زانيًا. لكن متى يُبطل هذا الناموس الذي يربط بينهما كزوج وزوجة؟ الإجابة: عندما يموت أحدهما؛ فالموت يكسر رباط الزوجية، وينتهي علاقة الشخص بالناموس. إن الموت يُنهي كل مطالب الناموس على أي شخص. يمكن تلخيص الأعداد ١ - ٣ في جملة واحدة: "إن الارتباط الشرعي ينتهي بالموت".

وأنت - كخلقة الله - ملتزم بأن تحفظ ناموس الله، لكن التزامك الشرعي بهذا الناموس ينتهي بالموت. إذا كنت مؤمنًا؛ فإنك قد مُتَّ عندما مات المسيح. هذا ما سبق أن تعلّمناه. إن المسيح قد أكمل كل متطلبات الناموس؛ وأنت الآن قد تحررت من متطلبات الناموس؛ لأنك مُتَّ عندما مات المسيح. هذا يشرحه بولس الرسول في عدد ٤. "أنتم أيضًا قد مُتُّم للناموس بجسد المسيح". إن العلاقة التي كانت تربطك بالناموس قد انتهت.

وبالرغم من أن هذا العقد قد انقضى وانتهى بالموت؛ إلا أن عقد زواج آخر قد عُقد بمجرد انتهاء الأول. هذه هي الفكرة الأساسية لهذا الجزء. في اللحظة التي مُتَّ فيها عن الناموس، دخلت في ارتباط آخر؛ فالمؤمن إذاً ليس في حلٍّ من أي عهد أو التزام، لكن في اللحظة التي مُتَّ فيها عن الناموس، فإنك ارتبطت بالذي أُقيم من الأموات. وهذا المُقام من الأموات هو نفسه الذي أعطى الناموس، وهو الذي استوفى كل متطلبات الناموس تمامًا.

ليس معنى هذا، أن تقول: أنا حر، أنا لست تحت التزام أو ارتباط شرعي بأي شخص، لأنك قد ارتبطت بالمسيح برباط زواج. إنك لست حراً من أي التزام، إنك تحت التزام آخر. لقد كنت مرتبطًا بمبادئ شرعية وضعتك في قيود، أما الآن فأنت مرتبط برباط زواج بالشخص المُعطي لهذه المبادئ والذي

حفظها، وأنت تعيش في طاعة الحب بكل سرور. إنك لا تسلك في العالم دون أي قيود؛ لكنك الآن مرتبط بآب الله المقام، "لكي تصيروا لآخر، للذي أُقيم من الأموات لنشمر لله".

اقرأ عدد ٥. ماذا كان يعني ارتباطك بقرينك السابق؟ لقد كنت في تلك الأيام في الجسد وكانت الخطية هي التي توجّهك وتسود عليك، وكلما حاولت أن تحفظ الوصايا العشر؛ كانت الخطية التي فيك تُثير فيك الأهواء بطريقة تؤدي إلى كسر الناموس، وتقودك للموت دائماً.

لكن عدد ٦ يخبرنا، أنك الآن ميت بالنسبة لذاك الذي كنت مُمسكاً فيه، وعندما نستخدم ترجمة الكتاب المقدس "Authorized Version" فإن الهامش في هذه الترجمة يقدم لنا الترجمة الصحيحة، ومؤداها: "إنك قد خلّصت من تلك العلاقة، وارتبطت بشريك زواج جديد، والنتيجة أنه بدلاً من أن تحاول حفظ مبادئ ميتة مكتوبة؛ فإنك الآن تحاول أن ترضي ذاك الحي إلى أبد الأبد". إنك لن تحاول أن تحيا بحسب مجرد قوانين موضوعة؛ لكنك ارتبطت بسرور بطاعة ذلك الذي قد أعطى هذه المبادئ وحفظها. "حتى نعبّد بجدّة الروح لا بعنق الحرف".

الخلاصة

دعنا نلخص ما قد تعلمناه فيما يلي:

- (١) لا شك أن المؤمن يُخطئ، لكن الخطية ليست صفة من صفات المؤمن الحقيقي أو رغبة من رغباته.
- (٢) إنك بواسطة الناموس تستطيع فقط أن تعرّف ما هي الخطية (انظر ١يو ٣: ٤)؛ لذلك يجب أن يكون المؤمن الحقيقي متميّزاً بحفظ الناموس.
- (٣) إن المؤمن يحفظ ناموس الله - ليس كمجرد قوانين يمارسها دون أي مشاعر - بل بالحي كما تخضع الزوجة المُطِيعَة لزوجها الذي تحبه،

محبة الطاعة بكل سرور. إنك قد ارتبطت برباط زواج بذاك الذي أكمل
الناموس تماما.

من المفروغ منه أن المؤمن ليس شريراً، لا يهتم بالناموس على
الإطلاق، ولا هو مناقض للمبادئ، يستخدم مبدأ الخلاص بالنعمة ليحيا كما
يحلوه، ولا هو مرتبط بمجموعة قوانين وضعية، ارتباطا ميتا، بل مسرته أن
يحفظ الناموس حفظاً قلبياً، ويسلك هكذا بدافع محبته للمسيح. لقد أجاب
بولس الرسول بكل وضوح على الأسئلة التي أثارها، كما أنه أوضح لنا إذا ما
كنا مؤمنين حقيقيين أم لا.

اقرأ رومية ٧: ٢٥ - ٧

ماضي المؤمن وحاضره

مثال آخر

قبل أن ندرس هذا النص، لنأخذ مثالاً آخر لمساعدتنا، وهذا بالطبع ليس مثالاً حقيقياً قد حدث بالفعل.

كان رجل أعزب يعيش بمفرده، فقرر أن يوظف مدبرة لمنزله، وعندما اتضح أنها لم تفهم ما هو مطلوب منها؛ وضع قائمة بتعليمات مفصلة على حائط المطبخ، وقد كانت التعليمات هكذا:

تعليمات هذا البيت

- تُقدم الوجبات في الساعة الثامنة والواحدة ظهراً والسادسة.
- يجب غسل الأطباق فوراً بعد كل وجبة.
- عدم إلقاء بقايا الشاي في البالوعة.
- يتم تغيير الفراش مرة أسبوعياً... وهكذا.

وعندما رأت مدبرة المنزل هذه التعليمات، استاءت منها، وكلما نظرت إليها ازداد استياءها، لكنها وجدت أنه يمكنها تنفيذ القليل من هذه التعليمات، لذا قررت أن تحاول تنفيذ هذه التعليمات. لكن هذا لم يقلل من غضبها ومرارتها، وفي كل مرة كانت ترى فيه هذه التعليمات؛ كانت تفكر في نفسها قائلة: "من هو هذا الذي يأمرني بما يجب أن أعمله".

إنها قصة طويلة، لكن يكفي أن نقول إنه في النهاية قد تزوجت مدبرة المنزل من صاحب المنزل، وتغيرت الأمور تماماً؛ لأنها أحبته. إنها الآن لن تكتفي بعمل ما يطلبه؛ بل تحاول تنفيذ أتفه رغباته، لذلك قام صاحب المنزل

بتمزيق قائمة التعليمات التي على حائط المطبخ. ولكن المرأة - لمعرفتها أن هذه الأمور ترضيه - استمرت في عملها، والأكثر من ذلك - أنها عملتها بكل حماس وسرور. لقد رغبت في أن تعمل هذه الأمور؛ لأنها كانت تحب زوجها كثيرا. لقد كان هناك اختلاف كبير بين اختبار الماضي الذي مرت به واختبار الحاضر الذي تعيشه.

هذا هو بالضبط الفرق بين حالتك قبل الإيمان وبعده، كما تشرحها الأعداد ٤ - ٦. قبل أن تتجدد كنت تستاء من وصايا الله العشر!! والآن - بعدما تجددت - تطلب أن تعملها وتجد سرورا في ذلك. هذا لأنك قد ارتبطت بالفعل بذاك الذي قد أعطى الناموس، ولأنك تخدمه، لا بعق الحرف، بل بجدة الروح.

مدبرة المنزل

ونحن نقرأ الأعداد ٣ - ١٣، دعونا نتحدث قليلاً عن الوقت الذي كانت فيه المرأة مدبرة للمنزل؛ لكي نطبق هذا على اختبارك مع ناموس الله قبل وبعد التجديد. لقد ظلت مدبرة المنزل وقتاً قليلاً قبل أن تظهر التعليمات المكتوبة، وبمجرد ظهور هذه التعليمات، أصبحت تدرك جيداً أنها لن تستطيع أن تفي بمتطلبات هذه الوظيفة. هذا هو التأثير الأول. لكن يوجد تأثير آخر. لم يحدث أبداً أنها ألفت بقايا الشاي في البالوعة. إنها لم تسمع عن أحد يفعل هكذا. لقد كان تأثير التعليمات عليها أن تفعل هذا الشيء الذي لم تفعله من قبل، لأنه أصبح هناك قانون ضد هذا العمل.

من المخطئ في هذا؟ هل العيب في التعليمات؟ كلا - على الإطلاق. العيب هو في المرأة، مع أنها لم تكن لتفعل ذلك لو لم تكن هناك تعليمات. إذا التعليمات كان لها تأثيران: الأول إنها أظهرت للمرأة أنها أضعف مما يجب أن تكون عليه، لذلك فهي فاشلة. كما أن التعليمات دفعتها لتفعل أموراً لم تكن تفكر فيها من قبل. لقد علمت أنها كانت مخدوعة أكثر مما كانت تتصور.

ويعترف بولس الرسول أن هذا كان اختباره في الماضي فيما يتعلق بناموس الله. عندما احتك بناموس الله، حدث له أمران: الأمر الأول أنه أدرك أنه عاجز، إذا ما قيس بمقاييس الله. لا يوجد عيب ما في الناموس، لكن الاحتكاك بالناموس، جعله يرى أن هناك خطأ ما في داخله. "لم أعرف الخطية إلا بالناموس". إنه لم يكن يعرف أنه من الخطأ أن يشتهي حتى ذلك الحين. كذلك لم يكن يدرك قبلا أنه مذنب بسبب ذلك. لقد أظهر له ناموس الله أنه خاطئ.

ويعترف بولس الرسول أيضا بأن الوصية كانت تُثيره ليفعل نفس الأمور التي ينهى عنها الناموس. لقد اكتشف أنه ارتكب خطية الشهوة، بل إن الوصية بأن لا يشتهي دفعته لمزيد من الشهوة. لقد وصل إلى أبعاد من الشهوة، لم يكن يعرفها من قبل. عندما كان غير مدرك للوصايا كان يعتقد أنه عائشا بحسب ما يُرضي الله، وأنه في سبيل الوصول إلى المستوى المطلوب، لكنه لما احتك بالوصية؛ عاشت الخطية الساكنة فيه. لقد كسر الوصايا فمات (عدد ٩).

إذاً - لماذا أعطى الله الوصايا؟ لقد أعطى الرجل التعليمات لمدبرة منزله، لكي تعرف ما هو مطلوب منها، وما الذي يرضيه. لقد أعطى الله الوصايا العشر لكي تعرف إرادته وتفعلها؛ فتحيا. لكن ولأن الناموس يحرك الخطية، فإن التأثير الحقيقي كان هو أنك مُت. الوصية التي وُضعت للحياة؛ وُجدت أنها تقود للموت. لا تُلق باللوم على الوصايا، لأنها مقدسة وعادلة وصالحة (عدد ١٢). وجّه اللوم إلى طبيعتك الخاطئة الفاسدة: "لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني".

إنك الآن مكروه من السيد، ومحكوم عليك بالموت، ولم يكن من الممكن أن تصل لهذه الحال، لو لم تُوجد الوصايا، ولم يكن ممكنا أن تتحرك الخطية بدون الوصايا. إذاً هل تذهب إلى رب البيت وتقول له: إنه خطأك، فلو لم تكن

قد أعطيتي هذه التعليمات لم يكن من الممكن أن أكسرها؟ حاشا، الوصايا مقدسة وعادلة وصالحة؛ فلا لوم عليها، لكن طبيعتك الفاسدة هي التي تخدعك بأن تُمسك بالشيء المقدس وبه تجعل الموت يعمل فيك. هذا يُظهر مدى شر تلك الطبيعة الفاسدة.

كل ذلك في صيغة الماضي. إنها الخبرة السابقة لمديرة المنزل في المثال السابق، وهي في الحقيقة خبرة المؤمن الماضية أيضاً؛ فقليل أن تتجدد كان الناموس يملأك استياءً، إذ يُظهر لك إثمك، ويحركك لتخطئ أكثر. لا يوجد شيء خطأ في الوصايا العشر. إن الخطأ يكمن في طبيعة البشر الفاسدة.

الزوجة

الآن دعنا نتحدث أكثر عن خبرة تلك المرأة بصفقتها زوجة. لقد كانت مديرة منزل - والأعداد ٧ - ١٣ هي في صيغة الماضي - وهي الآن زوجة، لذلك الأعداد ١٤ - ٢٥ هي في صيغة الحاضر. وسيبدأ بولس الرسول الحديث عن الخبرة الحاضرة للمؤمن.

إن مديرة المنزل سابقاً، والتي أصبحت الآن زوجة، ليس لديها رغبة أعظم من أن تسعد ذاك الذي أصبح زوجها الآن. هذا هو المبدأ الثابت والدائم لحياتها. إنها في أعماقها تبتهج بتعليمات (بناموس) زوجها، ومع ذلك فهناك شيء ما في داخلها، لا يدعها تكون كما تريد في أعماقها أن تكون. إن لسان حالها: أنا لا أعرف ماذا جرى لي؟ أنا أعرف ما الذي يريده زوجي، لكنني لا أفعله والذي لا يريدني أن أفعله هو الذي أفعله. كلما أحاول أن أرضيه، أفعل الأسوأ. لقد ازداد إدراكي بالفشل كزوجة. إنني لا أريد أن أكون هكذا، لكن هذا هو حالي. إنني واثقة أنني لست أنا الذي يفعل ذلك؛ فهذا لا يناسبني، فالذي يسكن في قلبي شيء والذي أفعله شيء آخر. آه... كيف أتخلص من هذا التناقض؟

عند تلك النقطة يبطل المثال التوضيحي، لأن بولس الرسول يتطلع إلى الوقت الذي يكون فيه مختلفا - إلى وقت القيامة، حيث لا يكون بعد موجودا في جسد هذا الموت. وهذا هو ملخص تعليم الأصحاح الثامن. الزوجة المسكنة في المثال التوضيحي لم يكن يمكنها التطلع إلى وقت كهذا.

إن المؤمن ثابت تماما في أعماقه، إذ أن مبدأً واحداً يتحكم في عواطفه ورغباته، ذلك أنه يريد أن يُرضي الله، وأن يحفظ ناموسه؛ لكنه يجد أن أعماله لا تتفق مع رغباته. إنه يجد نفسه يعمل الأمور التي هي ضد طبيعة المؤمن. ويلخص بولس الرسول قائلا: "إذا بذهني أنا نفسي أخدم ناموس الله؛ ولكن بالجسد ناموس الخطية".

دعونا نعيد صياغة الأعداد ١٤ - ٢٥، لنشرح بوضوح أكثر ما يعنيه بولس الرسول فيها. إنه يقول:

"كل ما سأكتبه إليكم، ليس هو ما ينطبق عليّ فحسب؛ بل ينطبق على كل المؤمنين. عندما قلت "أنا" سأكتب، كنت في الواقع أقصد "نحن". الآن أنا أعلم أن الناموس روحي وصالح، لكن كم أنا عاجز وناقص في موازين الله! ما أدنى حياتي، إنها حياة جسدانية. أنا لم أسلم نفسي للعبودية لكنني صرت أسيرا دون إرادتي. وأنا في هذا الوضع المرعب، لا أستطيع أن أكون وفق ما أريد. إنني أمثل تناقضا واضحا. إنني أقرر أن أعمل الصلاح، ولكنني لا أعمل شيئا".

"هذا التناقض هو بين ما أنا عليه داخليا، وما أنا عليه خارجيا. إنني لست من الداخل شخصين. إن المبدأ الثابت والدائم فيّ هو أنني أريد أن أفعل الصالح. أريد السير في طريق الله. ذلك هو الطريق الوحيد الذي أعرف أنه صالح".

"أما أعمال الخطية هذه، فهي ضد طبيعتي الحقيقية. هذا ليس أنا الحقيقي. إن حقيقة أنني لا زلت أملك طبيعة آدم تحبطني تماما. أنا أعرف ما

أريد أن أكون عليه، وليس هناك صعوبة في ذلك، لكن المشكلة تكمن في كيفية التنفيذ."

"في ذاتي الحقيقية يوجد غرض موحد، إنني محبط تمامًا بسبب بقاء الخطية في تكويني. إنني أقرر أن أعمل ما يرضي الله؛ لكن هذه الرغبة يُحبطها الشر الكامن فيّ. في أعماقي أنا أحب ناموس الله حبًا شديدًا، وأجد سرورا كبيرا في دراسته والتأمل فيه، لكن في كياني الذي ورثته من آدم، يعمل فيّ ناموس آخر، وينتهي الأمر بأن أعمل عكس ما هو في ذهني تماما. وليس هناك أمل في أن ينتهي هذا الحال، طالما أنني لازلت موجودًا في هذا الجسد. إنه جسد الموت. لكن في النهاية سوف أكون حرا، ولذلك أشكر الله بيسوع المسيح ربنا. أما في الوقت الحاضر فإن قلبي مهياٌ لعمل ناموس الله؛ على الرغم من أن أعمالي الخارجية، لا تتلاءم مع ذلك."

المسيحية الحقيقية

عندما نصل إلى هذه النقطة من الرسالة، نكون قد حصلنا على صورة واضحة جدا، لما يجب أن يكون عليه المؤمن. إنه ليس خاضعا للخطية (ص ٦)، ولا هو بدون خطية (ص ٧). إنه لم يعد يعرف شيئا عن سيادة الخطية (ص ٦)، ومع ذلك هو معذب من وجودها (ص ٧). إنه يختلف عن غير المتجدد؛ فغير المتجدد هو في سلام مع الخطية، ولكن المؤمن في حرب معها. إن غير المتجددين يعيشون في الخطية، ولكن المؤمن ليس كذلك (ص ٦) مع أن الخطية لا زالت حية فيه (ص ٧). إنه يتميز برغبات مقدسة؛ لكنه محبط بسبب الخطية التي في أعضائه. هذا هو حاضره، واختباره المستمر، إلى أن يتحرر من طبيعة آدم (١كو ١٥: ٤٧ - ٤٩). وحتى ذلك الحين فإنه يصيح: "ويحي أنا الإنسان الشقي"، وكلما ازداد في القداسة كلما ازداد صراخا.

إن المؤمن الحقيقي يشبه إنساناً يسير ليلاً في طريق ضيق مليء بالطين والوحل. إنه لا يدرك مدى القذارة التي هو فيها حتى يقترب من ضوء الشارع. وكلما ازداد اقتراباً من النور كلما ازداد إدراكه لقذارته، وكلما صعب عليه أن يتخلص منها. كلما اقترب المؤمن من الله، كلما ازداد إدراكه بأنه خاطئ ونجس، وكلما ازداد اهتمامه بأن يعمل شيئاً بشأن هذه الخطيئة المهيئة له. إنه يتوق بشدة إلى الطهارة، وهنا تصبح صرخته الدائمة: "ويحي أنا الإنسان الشقي". إنها صرخة الإنسان الذي يتقدم في طريق القداسة، أما الإنسان غير المقدس، فهو في سلام مع الخطيئة، ولا تشكل مشكلة له.

إن ما عرضته أمامك هو المفهوم التاريخي لهذا النص. لقد انتشر حديثاً تعليم آخر، يؤكد على أن الأصحاح السابع من رسالة رومية ليس هو الاختبار العادي للمؤمن؛ لذا فهو يدعونا إلى الخروج من الهزيمة والشقاء واختبار الدرجة الثانية في الأصحاح السابع والدخول إلى الانتصار في الأصحاح الثامن. إن الأصحاح السابع يشبه بالبرية، والأصحاح الثامن بكنعان، ويقول: دعونا نعبّر الأردن ولنترك خلفنا تيه الأصحاح السابع وصراعه، ولندخل إلى الإختبار الأسمى في الأصحاح الثامن.

هذا التعليم قد يبدو جذاباً، لكنه لا يقدم شرحاً أميناً لهذا النص. إننا نعرف عن الحياة الروحية لبولس الرسول، أكثر مما نعرف عن أي مؤمن آخر في العهد الجديد، كما أننا متأكدون أن بولس الرسول لم يكن له اختبار من الدرجة الثانية بأي شكل من الأشكال. فمن اللحظة التي سقطت فيها القشور من عينيه، امتلأ من الروح القدس. بالإضافة إلى هذا، لو أن بولس الرسول يكتب عن اختبار ماضٍ، فلماذا لم يستخدم صيغة الماضي في الكتابة، (مثلما فعل في بداية الأصحاح السابع)؟ إن الأعداد ١٤ - ٢٥ كلها في صيغة المضارع، وهذا معناه - وبكل تأكيد - أن بولس الرسول يكتب عن حاضره، وعن اختباره المستمر كمؤمن، وهذا تؤكدُه مقارنة هذه الأعداد بما جاء في غل: ٥: ١٦ - ٢٦.

إن روم ٧: ١٤ - ٢٥ هو الاختبار الطبيعي للحياة المسيحية. إنها حياة الصراع المكثف ضد الخطية، دون هوادة. إنها حياة الفزع الرهيب بسبب عدم الكمال، وليست حياة اِدِّعاء الانتصار. إنها حياة التشوُّق الجاد إلى المجد، وليست حياة الاكتفاء بما وصلت إليه. أما أولئك الذين لهم اختبار يومي مختلف؛ فلا يمكن أن يكون لهم الضمان بأنهم مؤمنون على الإطلاق.

اقرأ رومية ٨: ١ - ١٧

الحياة المسيحية الطبيعية

مثل المصنع

ونحن نحاول توضيح نهاية الأصحاح السابع توضيحا تاما، دعنا نستخدم مثل مصنع، نُقلت إدارته إلى مدير جديد، فليس هناك مديران بعد، المدير القديم قد مضى، والمصنع بالكامل أصبح تحت إدارة جديدة. لقد ابتداء عصر جديد. الآن أصبحت تسيطر على المكتب الرئيسي مبادئ مختلفة، وأصبحت تصدر عن هذا المكتب تعليمات مختلفة، ومع ذلك فالموظفون السابقون والآلات القديمة لا تزال موجودة. ورغم أن هناك مديراً جديداً، يعطي للمصنع اتجاهاً جديداً؛ فإن هذا المدير الجديد يُحَبِّط في أهدافه باستمرار من العمال الذين ظلوا فترة طويلة تحت حكم المدير القديم (آدم). هذه هي طبيعة الموقف الذي وُصِفَ كاختبار حاضر المؤمن في نهاية الأصحاح السابع من رسالة رومية.

في الأعداد ١ - ١٧، يواصل الرسول بولس نفس الفكرة عن حاضر المؤمن واختباره الطبيعي. إن الأصحاحين يتواصلان معا دون أي فاصل. إن التحديد إلى أصحاحات تحديد صناعي، وليس جزءاً مما أراد بولس الرسول أن يكتبه في الأصل؛ فالأصحاح الثامن من رسالة رومية مرتبط مع الأصحاح السابق بكلمة "إذا"، ويستمر في الكتابة بنفس الأسلوب وبنفس الزمن، ومن الواضح تماماً أنه يغطي نفس الموضوع.

إن نهاية الأصحاح السابع لا تذكر كل ما يلزم ذكره عن الحياة المسيحية الطبيعية، ولو كان الأمر كذلك؛ لكانت الصورة محبطة فعلاً. كنا سنعرف عن

الصراع الناشئ عن الخطية في أعضائنا؛ ولكننا كنا سنجهل الأمور الأخرى التي يخبرنا بها بولس الرسول. في الأعداد ١ - ٤، يلقي بولس الرسول مزيداً من الضوء على الاختبار الحاضر للمؤمن، ثم يتقدم إلى الأعداد ٥ - ١١ ليوضح التناقض بين المؤمن وغير المؤمن، مظهراً الاختلافات الكبيرة بينهما، أما الأعداد ١٢ - ١٧ فقد استخدمت في وصف واجبات المؤمن وامتنيازاته.

ما يمكن إضافته عن الاختبار الحاضر

في الأعداد ١ - ٤، يبدأ بولس الرسول في شرح وضعك الحاضر كمؤمن. أن تكون في المسيح يسوع، فهذا معناه أنك لم تعد في حالة دينونة. والكلمة "دينونة" التي يستخدمها هنا تفيد "العقاب بالأشغال الشاقة". لقد أخبرك الرسول بولس في الأصحاحات ١ - ٥ بأنك قد تحررت من جرم الخطية، وهو هنا يلخص ما قد غطاه في أصحاحي ٦، ٧، ويذكرك بأنك قد تحررت أيضاً من سلطان الخطية. إن السيد المستبد قد فقد سلطانه عليك. المدير القديم لم يعد يسيطر.

من هنا يبدأ الرسول بولس في شرح ما تكون عليه صفات شخص كهذا. إنك لا تسلك في الجسد؛ بل في الروح. لقد حل مدير جديد محل المدير القديم. في الماضي كان الذي يحركك ناموس الخطية والموت الذي فيك، لكنك الآن قد تحررت من ذلك، بواسطة ناموس روح الحياة في المسيح يسوع وهو ناموس في داخلك. المدير الفاسد القديم كان يحرضك على فعل الخطية، والأجرة التي كان يدفعها لك هي الموت، لكنه قد مضى، والمدير الجديد أرسى نظاماً من الحرية، وهو يدفع لك أجرة، والأجرة هي الحياة.

إن بولس الرسول لا يتحدث هنا عن خطية في أعضاء الجسد، فقد تحدّث عن ذلك باستفاضة في الأصحاح السابع، كما أنه لا يتحدث عن عمل في المصنع؛ لكنه يتحدث عن مَنْ يُدير. إنه يتحدث عن مَنْ يجلس في المكتب الرئيسي ويوجّه رؤساء العمال، ولا يتحدث عن الآلات والمواد التي

تُستخدم في العمل، وهو يستخدم كلمة (ناموس) هنا، بنفس معنى المبدأ الداخلي أو الدافع الداخلي.

ويوضح بولس في العدد الثالث أنه لم تكن هناك فرصة لأن يحيا حياة مقدسة في تلك الأيام السابقة لتجديده. إن ناموس الله يمكن أن يعرفه بما يجب أن يفعله، لكنه لا يعطيه القوة اللازمة لذلك. لكن الله قد غيّر كل هذا، عندما أرسل ابنه في شبه جسد الخطية. لقد جاء إلى العالم لكي يتعامل مع الخطية تحديدًا، وفي جسد ابن الله، نُفذت العقوبة على الخطية؛ لذلك فكل الذين اتحدوا بالمسيح؛ زال عنهم سلطان الخطية (أصحاح ٦). لقد باد سلطان المدير القديم إبادة تامة.

لماذا أزال الله سلطان المدير القديم من حياتك؟ وهل لا يوجد فرق في حياتك قبل وبعد زوال هذا السلطان؟ بلى، فهناك تغير سيظل للأبد. إن بر الناموس لا بد أنه استوفى فينا، نحن الذين لا يحكمنا المدير القديم - آدم - لكن المدير الجديد - روح المسيح الذي يسكن فينا.

هذا النص لا يعلم بأنك يمكن أن تصل إلى الطاعة الكاملة لله في هذه الحياة، وإلا كان يناقض ما جاء في الأصحاح السابع، ومع ذلك فهو يشدد على أن المؤمن مختلف. لقد تغيّر مبدأ حياته بجملته. لقد تقلد المدير الجديد منصبه، وصار كل المصنع يتغيّر باضطراد. لكن وأنت تستوعب هذا الحق الجديد، عليك ألا تنسى ما سبق وتعلمته أنك الآن قد تحررت من سيادة الخطية؛ لكن الخطية لا تزال تسكن فيك؛ لذلك فأنت لست شريراً كأهل العالم؛ كما أنك لست باراً كما ستكون يوم القيامة، وهذا يمثل مزيجاً من التوتر والمجد في حياة المؤمن.

المؤمن وغير المؤمن

يزداد وضوح ما ذكره بولس الرسول في النص السابق، عندما يقارن بين المؤمن وغير المؤمن؛ ففي الأعداد ٥ - ١١، لا يقارن الرسول بين نوعين مختلفين من المؤمنين، كما يعلم البعض، ولا يقارن بين شخص يعيش في مستوى روحي أعلى، وآخر يعيش في مستوى روحي أدنى؛ فهذا النص لا يقبل هذا التفسير، لكنه يقارن بين مسيحي حقيقي وآخر تحت اللعنة.

دعونا نعود إلى مثال المصنع الذي ذكرناه. في الحقيقة يوجد هنا مصنعان، إنهما في الظاهر متشابهان، وهما في نفس الشارع، تماما مثلما يوجد اختلاف ظاهر بين المؤمنين وغير المؤمنين، اللذين يعيشون في نفس العالم، ويذهبون إلى نفس المدارس والوظائف والمتاجر. ولكي تدرك الفرق بين المصنعين، عليك أن تذهب إلى المكتب الرئيسي لكل منهما. في أحد المكتبين - يوجد آدم - الأنانية، وفي الآخر يوجد روح الله. كل مدير يدون ملاحظاته ويتجمع العمال، ليعرفوا التعليمات. في مصنع آدم، تجد العمال موافقين بل وميالين لما يقرأونه من تعليمات، بينما في المصنع الآخر فهناك توتر، بين ما يُقدّم من تعليمات وما يحدث بالفعل. لكن بمرور السنين يتغير هذا، ويصبح للمدير الجديد سيطرة عملية أكثر وأكثر. ظاهريا يبدو أن المصنعين متماثلين؛ لكنهما في الحقيقة مختلفان تماما عن بعضهما، ويزداد وضوح هذا الاختلاف مع مرور الوقت.

الناموس المسيطر في حياة الشخص الذي لم تتغير حياته بعد هو الأنانية (عدد ٥أ)، بينما في حياة الشخص الذي تجدد فالناموس المسيطر هو روح الله (عدد ٥ب). بعض الناس جسديون، أفكارهم تهتم بأمور الجسد (حسب هامش الترجمة الإنجليزية AV)، وأجرة سيدهم هي الموت (عدد ٦أ) والبعض الآخر روجيهون، يهتمون بأمور الروح، وأجرة سيدهم هي الحياة والسلام (عدد ٦ب).

الفكر الجسدي هو أن يشغل الشخص فكره بأمر الجسد - وهو في عداوة مع الله. المصنع الأول قائم في مملكة، لكن الأمور التي تعمل هناك لا تسر الملك على الإطلاق. هناك بعض الأمور التي تُعمل تكون متوافقة مع كلمة الملك، مع أنها لا تُعمل لكونها كلمة الملك؛ فبعض الناس غير المتجددين لا يكذبون، وهذا يوافق وصايا الملك، ولكنهم لا يكذبون بسبب كلمة الملك بل هم لا يكذبون لأي سبب آخر. إن كل شيء يُعمل في مصنع آدم يتم بروح الفوضى. إنه مركز التمرد ضد الملك الشرعي. من المستحيل على غير المجتدين أن يرضوا الله. ما دام المدير القديم موجودًا، فلن يمكنهم أن يرضوا الملك.

لكن بولس الرسول يُصر على أن هذه ليست السمة المميزة للمؤمن الحقيقي، فالذي يحكم المصنع الثاني هو الروح، الذي أرسله الملك نفسه. كل من لا يقوده الروح، لا يكون مؤمنًا على الإطلاق، "لأنه إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له".

كل شخص يحيا على الأرض لابد أن يكون تحت سيطرة أحد المديرين؛ فالناموس الثابت في قلبه يكون إما الأنانية أو التقوى، فإذا لم تكن التقوى هي ناموس قلبك، فأنت لست مسيحيًا. كل مؤمن له نفس السيد، وعقله مثبت على نفس الهدف العظيم للتقوى. لا شك، أن الروح يسيطر على البعض بصورة أكثر من البعض الآخر، لأنه هناك نمو في النعمة، لكن الصفات التي أشرنا إليها لابد أن تكون موجودة في كل مؤمن، ولا يمكن أن يشترك فيها غير المؤمنين على الإطلاق.

لكن ما الذي يعنيه العدان ١٠، ١١؟ دعونا نضعهما في صيغة كهذه: المؤمن الحقيقي يحكمه المدير الجديد، ومع ذلك فالأعضاء القديمة تحبط رغباته العميقة. إن له جسد الموت هذا، الذي اشتكى منه الرسول في الأصحاح السابع. لكن على الرغم من أن الجسد ميت بسبب الخطية، فإن روحه تتذبذب وبها الحياة الجديدة الخالدة، والقوة من المدير الجديد. إن كلا

من المؤمن وغير المؤمن يرتكبان خطايا؛ لكن الأمر مختلف مع المؤمن الذي فيه علامات الحياة الروحية، كما يختلف المؤمن عن غير المؤمن في أنه يحزن لو سقط، ويشتاق إلى البر. إن جسده ميت بسبب الخطية، لكن روحه حياة بسبب البر.

ومن ناحية أخرى فلا يجب أن يظل المؤمن في وضع الحزن هذا؛ لأن روح الله في داخله هو نفس الروح الذي أقام المسيح من الأموات. إنه سيعمل في المؤمن ما سبق أن عمله للمسيح. إنه سوف يقيمه من الأموات، سوف يحيي جسده المائت؛ عند ذلك سينتهي حزنه وإحباطه إلى الأبد.

كما يمكن أن نصيغها هكذا: المدير الجديد بصدد أن يفك كل المصنع. لقد كان يحمل الصورة الأرضية، أما الآن فسوف يحمل الصورة السماوية. المباني القديمة والآلات القديمة سيتم التخلص منها، وسوف يكون هناك بناء غير مصنوع بالأيادي؛ فإنه لن يكون هناك اختلاف بين المؤمن وغير المؤمن أعظم من ذلك الذي سيكون في يوم القيامة عندما تقوم من الأموات، فإنك حينئذ لن تخطئ ولأبد.

واجبات وامتيازات

من الواضح إذاً أن المؤمن الحقيقي لا يمكن أن يحيا مثل الشخص غير المجدد. إنه لا يدين بأي ولاء للمدير القديم، فإذا أطاعه، فإنما يظهر بوضوح أنه لا ينتمي إلى المدير/الجديد، وأنه مازال تحت حكم الموت. هذا هو ما نتعلمه من عددي ١٢ ، ١٣ أ.

الطريق إلى الحياة هو هذا: أن تمت كل ما يعترض سيطرة روح الله على حياتك. كل ما يقاوم سلطان المدير الجديد ينبغي أن يموت. كل ما يثير الخطية في أعضائك يجب أن يُقطع، ونعرفنا بولس الرسول بصراحة أن هذه العملية المؤلمة ضرورية للحياة، وأن الروح القدس يمكن المؤمن من القيام بها.

ويبرز بولس الرسول حقيقة أنه لا يمكن لمؤمن حقيقي أن يكون في سلام مع الخطية. إن البرهان على أن لك صفات المؤمن هو أنك في حرب بلا هوادة مع الخطية، وأنتك تमित أعمال الجسد، لأن كل من يطع أوامر روح الله، فهو ابن لله (عدد ١٤).

إذا، فعلامة البنوية لله، هي أن يتعهد الشخص بإبادة كل ما يعوقه من أن يكون شخصاً مقدساً، وهذا يظهره كابين وليس كمصنع؛ وهنا يُبطل التشبيه السابق. إن المؤمن يُثبت بنويته لله عن طريق إصراره الدائم والثابت على أن يكون مقدساً مثل أبيه.

إن العلاقة التي يتمتع بها المؤمن مع الله، ليست هي علاقة الخادم بسيده - وهذه الحقيقة تبطل التشبيهات الأخرى التي استخدمناها. إنها العلاقة بين الابن وأبيه. إنها ليست علاقة خوف ولكنها علاقة الألفة العائلية؛ فالمؤمن يتحدث تلقائياً وطبيعياً إلى الله كأب، وهذا بسبب عمل روح الله في داخله. هذا هو الاختبار العادي، لكل مؤمن. إنه امتياز يتمتع به كل الذين أماتوا أعمال الجسد، كل الذين يطيعون الروح. كل الذين يضعون أنفسهم للإماتة والطاعة العملية يتوقعون أن يتزايد لديهم الوعي الداخلي بأنهم أولاد الله.

وإذا كانوا أولاداً، فهم ورثة، لهم نصيب في كل ثروات أبيهم. إن المؤمنين أبعد من أن يكونوا مصانع أو خدم. إنهم ورثة لله، ووارثون مع المسيح. غير أن اتحادهم بالمسيح لا يعني أنهم يهربون من الألم. كيف يهربون؟ إذا كان العالم يكره سيدهم فسوف يكرههم أيضاً. لكن المسيح الآن في المجد، وهم سوف يتحدون به هناك أيضاً. إن رجاء القيامة الذي ذكره بولس الرسول قبلاً هو رجاء أكيد.

اقرأ رومية ٨: ١٨ - ٣٩

الآلام الحاضرة - مقدمة للمجد

إن اختبارنا الحاضر كمسيحيين هو اختبار الألم. لقد عاش ربنا يسوع المسيح حياة الألم، عندما كان على الأرض، ونحن مرتبطون به. لكن الألم لن يستمر إلى الأبد؛ فالمسيح الآن في المجد، وفي المستقبل سوف نتمجد معه. إن كلا من الألم والمجد أمران مؤكدان. إن آلامنا الحاضرة تشبه رواق قبيح، يؤدي إلى باب قصر مجده يفوق الوصف.

إن عدد ١٨ يقرر هذه الحقيقة، أما باقي الأصحاح فيتوسع في شرحها. ويستعير بولس الرسول كلمة "أحسب" من علم المحاسبة، فالمحاسب يضيف البنود والأرقام في عامودين مختلفين، ثم يحسب مجموع كل منهما، ويقارن بين المجموعين. إن المجموع الكلي في العمود الذي عنوانه "آلام الزمان الحاضر"، لا يمكن أن يقارن بالعمود الآخر الذي عنوانه "المجد العتيد أن يستعلن فينا". إن أحد العمودين يفوق الآخر بما لا يقاس. الآلام الحاضرة يمكن أن تبدو عظيمة جداً، وآلام بولس الرسول كانت أعظم من آلام كثيرين (انظر ٢ كو ١١: ٢٣ - ٢٨)؛ لكن أمجاد المستقبل أعظم بما لا يقاس. ومن الجدير بالملاحظة أن "المجد العتيد أن يستعلن" هو "فينا". فالمجد ليس فقط مكاناً نذهب إليه، لكنه حالة نكون عليها في ذلك المكان. إن ما ينتظرنا هو تغيير أجسادنا، واكتمال صفاتنا للدرجة التي يُتَعَجَّب فيها من المسيح الذي فينا نحن المؤمنين (٢ تس ١: ١٠). سيسكن فينا بهاء يجعلنا نُعجب بالمسيح عندما نتطلع إلى بعضنا البعض. هذا المجد سوف يكون ملكاً لنا، عندما ينتهي النظام الحاضر.

ثلاث أنات

بقوله السابق يعطينا بولس الرسول ثلاثة أسباب تجعلنا متأكدين من أن النظام الحاضر لن يستمر إلى الأبد. هذه الأسباب هي: أن الخليقة تئن وأنا نحن نئن، وأن الروح القدس يئن.

في الأعداد من ١٩ - ٢٢ يخبرنا بولس الرسول أن *الخليقة تئن*. هذه الخليقة هي تحت اللعنة منذ سقوط الإنسان. إنها تنتظر الخلاص من تلك اللعنة، وستخلص في الوقت الذي يُستعلن فيه أبناء الله.

عند نهاية العالم ستكون هناك قيامة للأبرار والأشرار. كيف ستعرف هؤلاء من أولئك؟ إن أجساد المؤمنين سوف تتغير إلى شبه جسد المسيح الممجّد، عندما يتقابلون معه في الهواء (١ تس ٤: ١٣ - ١٨، في ٣: ٢٠ - ٢١)، وحينئذ سوف يكون واضحاً تماماً من هم أبناء الله. سيتضح الأمر تماماً. وحتى ذلك الوقت لن يمكننا التأكد بشأن من هو ابنُ الله ومن هو ليس ابناً لله؛ لأنه يوجد الكثير من الزيف والارتداد في العالم، لكن حينئذ سوف يكون الأمر واضحاً تماماً. إن الخليقة تتوق إلى ذلك اليوم. إن أعناقها اشرأبت مثل شخص في الزحام، يتوق أن يرى بوضوح من هم أولاد الله.

إن سقوط الإنسان كان له أثر مفجع على الخليقة. لقد أصبح كل شيء في الخليقة مُختلاً، والله قد أخضع الخليقة لذلك؛ فهي لم تصل إلى هذا الوضع من تلقاء نفسها. لقد قضى الله بأن يكون وضع الخليقة مرتبطاً بوضع رأس الخليقة - الإنسان. عندما عصى الإنسان تأثرت الخليقة بذلك، ورغم ذلك فقد أخضع الله الخليقة على رجاء. لقد حدد الله أن الحالة الحاضرة للخليقة، لن تكون هي حالتها الدائمة. إنها لن تستمر دائماً مشوشة، خربة بالخطية، وفاسدة بفساد الإنسان.

وعندما يكتمل الفداء، ولا تعود هناك لعنة بعد، فإن الخليقة سوف تشارك في هناء ذلك اليوم، كما شاركت في لعنة السقوط. سوف يكون هناك سماء

جديدة وأرض جديدة لأن السماء الحاضرة والأرض الحاضرة سوف تزولان، ويُعاد خلقهما من جديد بدون أي أثر للفساد. لن يفسد شيء في الخليقة الجديدة على الإطلاق. إنها سوف تتألق إشراقاً، معلنة عن مجد الله بصورة تفوق كثيراً إعلان الخليقة الحاضرة.

إن الخليقة تتوق إلى هذا اليوم. إنها في حالتها الحاضرة، ليس لأنها تريد ذلك، ولكن لأن هذا هو تدبير الله. إنها تتوق لأن تتحرر، مثل امرأة في المخاض تتطلع إلى ولادة طفلها. وأنين الخليقة يبرهن على أن النظام الحاضر لن يبقى إلى الأبد، وأن أموراً أفضل تنتظرها. تلك هي الفكرة الرئيسية التي يشير إليها بولس الرسول.

وليست الخليقة فقط هي التي تئن، لكننا نحن أيضاً نئن. هذا ما نتعلمه من الأعداد ٢٣-٢٥. إننا نئن لننتحر من جسد الموت هذا، ونتوق إلى يوم القيامة، كما سبق الشرح في ٧: ٢٤ ، ٨: ١٠ - ١١. وفي هذه الأثناء نحن لنا باكورة الروح، والباكورة تعني ضماناً لحصاد في المستقبل. والخطية في أعضائنا تجعلنا نئن، متطلعين إلى ذلك اليوم الذي تكون فيه الأمور مختلفة. وفوق ذلك، فإن دخول الروح كمدير هو الضمان بأن المصنع سوف يُهدم في النهاية. والروح هو استطعام السماء، والاستطعام يجعلنا نتوق إلى الوليمة! لكن الاستطعام في حد ذاته هو خير ضمان على أن الوليمة قادمة لا محالة.

دعونا نعيد ما سبق بكلمات أُخر. لقد عرفنا أن الروح في داخلنا يؤكد لنا بنوينا لله، وسكنى الروح القدس فينا يجعلنا نتشوق إلى اليوم الذي تُستعلن فيه هذه البنوة. وسوف يحدث هذا عندما يتم فداء أجسادنا، كما عرفنا. إن أشواقنا الداخلية النابعة من الروح القدس هي الضامن بأن ذلك اليوم سوف يأتي بكل تأكيد.

لم يأت هذا اليوم بعد، لكنه سيأتي! إن كلمة "رجاء" في العهد الجديد لا تعني "رغبة عزيزة"، لكنها تعني التأكيد المطلق؛ فبالرجاء خلصنا، ورغم أن خلاصنا النهائي والكامل لم يتحقق بعد، لكنه آتٍ لا محالة! إن التأثير الحالي لمثل هذا الرجاء هو أننا ننتظره بالصبر، وكل هذه يستخدمها الرسول بولس ليرينا أن النظام الحاضر لن يستمر إلى الأبد، وأن المستقبل المجيد سوف يتبع معاناتنا الحالية.

وبجانب هذا، فإن الروح يَكُن. هذه الفكرة نجدها في عددي ٢٦، ٢٧. إننا - كمؤمنين - ننهزم من كل أنواع النقائص، فلولا قوة الروح الساكن فينا، لسحقنا هذه الضعفات والعيوب. إننا ضعفاء في الصلاة بصفة خاصة. إننا لا نعرف ما نصلي لأجله ولا كيف نقدم طلباتنا لله، "لكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها". إننا كمؤمنين نئن في داخلنا، ونشتاق إلى التبني والقيامة، وإلى السموات الجديدة والأرض الجديدة. إننا نئن في داخلنا متطلعين إلى الخروج من هذا العالم، والذهاب إلى المكان الذي ننتمي إليه. من الذي يحرك فينا هذه الرغبات؟ إنه الروح القدس! ومن الذي يوصل هذه الرغبات إلى الله؟ إنه الروح القدس. "ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين".

هذه الأتات الداخلية، لا يمكن أن تعبر عنها الكلمات، لكن لها معنى يدركه الله ويميزه. إنها صلوات حسب مشيئة الله، بعمل الروح القدس. كل الصلوات والطلبات التي تُطلب بحسب مشيئته تُسمع وتستجاب (١ يوحنا ٥: ١٤). هذا يعني أن أشواقنا الداخلية سوف تصبح حقيقة. التبني والقيامة والسماء الجديدة والأرض الجديدة، كل هذه سوف تكون لنا. هذه الأتات الداخلية فينا التي يخلقها فينا روح الله، هي ضمان آخر بأن الوضع الحاضر لن يستمر إلى الأبد، وأن آلامنا الحاضرة سوف يحل محلها المجد في النهاية.

سنة أسباب للفرح

بالرغم أنه من المؤكد أن هذا النظام الحاضر لن يستمر إلى الأبد، إلا أنه يوجد ستة أسباب، على الأقل، تدعونا للفرح في الوقت الحاضر، يقدمها الرسول بولس في الأعداد ٢٨ - ٣٩.

السبب الأول هو أن كل الأشياء تعمل لخيرنا. في التحليل النهائي للأمور، سوف نجد أنه ليس هناك شيء قد عمل لصالح الأشرار. كل الأشياء - بدون استثناء - تعمل معًا لخير شعب الله. هذه حقيقة، حتى بالنسبة لخطايانا، ومع ذلك، فلا يجب أن نستنتج من هذا، أننا يمكن بالتالي أن نخطئ عمدًا؛ لأن ذلك واضح في الأصحابين السادس والسابع. كل الذين يحبون الله يشملهم هذا الوعد. إنهم يحبونه لأنه دعاهم، وهو قد دعاهم لأنه قصد أن يدعوهم. ومقاصده تعمل في كل حال وفي كل حدث، حتى يؤول كل شيء لخير أولاده. هذه هي التعزية العظمى للمؤمنين، عندما يحتملون الآلام في هذا العالم، متطلعين للذهاب إلى السماء.

السبب الثاني هو أن الله سوف يمجّدنا بكل تأكيد. كل واحد سبق وعرفه الله، سبق الله وعيّنهُ ليكون مشابهًا لصورة ابنه. هل معنى هذا أن كل واحد من البشر سيكون مشابهًا لصورة المسيح؟ كلا، فليس كل واحد سبق الله وعرفه. يستخدم بولس الرسول كلمة "عرف" في معناها العبري، وليس بالمعنى الذي نستخدمه اليوم. أن تعرف معناها أن تحب محبة حميمة، كما في العلاقة الزوجية. هناك شعب معين سبق وأحبه الله محبة حميمة، وكل واحد من هذا الشعب سيكون مشابهًا لصورة ابنه، ليكون الابن - المسيح - هو البكر بين هؤلاء الأبناء. سيكون الأخ الأكبر في تلك العائلة العظيمة المكونة من أبناء الله.

إن كل شخص قد سبق الله فعينه، دعاه الله بواسطة الإنجيل، وتبرّر وتمجّد. كل الأفعال هي في صيغة الماضي، لأنها مؤكدة الحدوث. ليس هناك

أحد من أولئك الذين غمرتهم محبة الله، سوف يفشل في الوصول إلى السماء (انظر يوحنا ٦: ٣٧ - ٣٩). ومهما كثرت آلامنا الحاضرة، ومهما كانت كثيفة، فيمكننا أن نفرح لأننا متأكدون أننا سنصل إلى وطننا السماوي.

السبب الثالث للفرح هو أن الله لنا . هل يوجد إله آخر؟ هل هناك أي كيان أبدي آخر؟ هل يوجد آخر كلي القدرة؟ هل يوجد آخر يستطيع أن يشغل كل الأشياء حسب رأي مشيئته؟ كلا! إذاً لا شيء يمكن أن ينتصر على مخطط الله، أو يعارض مقاصده. إن مقاصده لنا سوف تتم بالتأكيد، ولا يمكن لآلام الزمان الحاضر أن تغيرها.

السبب الرابع هو أن الله لن يمسك شيئاً عنا . لقد بذل ابنه الوحيد من أجلنا. تلك كانت أعظم عطايه، فهل بعد هذا يمكن أن يمسك عنا العطايا الأقل؟ هل يمسك عنا السماء؟ أو النعمة أو الشجاعة أو القوة التي تساعدنا على الحياة وسط التجارب الحاضرة؟ كلا، إنه سوف يمنحنا كل الأشياء مجاناً.

السبب الخامس هو أننا غير مدنين . من يستطيع أن يشتكي علينا، إن كان إله النعمة هو القاضي وقد أعلن براءتنا؟ من ذا الذي يستطيع أن يديننا، إن كان ابن الله الذي مات من أجل خطايانا قد قام ثانية لأجل تبريرنا، الذي هو عن يمين الله يشفع فينا في نفس هذه اللحظة؟ من المضحك أن نفكر بأن أحداً يمكنه أن يشتكي ضد شعب الله، في الوقت الذي قام فيه الله نفسه، وظهر ذلك الشعب بالكامل من جرم الخطية وعقابها بواسطة ابنه. هذه هي التعزية غير المحدودة للمؤمن، وهو يجاهد ضد الخطية، ويعاني في حياته الحاضرة.

والسبب السادس للفرح هو في الحقيقة يجمع كل الأسباب الأخرى. إنها محبة الله العظيمة لشعبه . إنها محبة إلهية، فهي محبة لا تقهر. لا شيء يمكن أن يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا.

إن الحقيقة التي يوضحها لنا الوحي، أن شعب الله أينما وجدوا فإنهم يعانون. لقد حُسبوا مثل غنم للذبح. إن الحياة والموت والمخاوف والقوى الشيطانية، والتجارب الأخرى التي لا تحصى - كل هذه تهاجمنا بضراوة؛ لكنها لا تستطيع أن تفصلنا عن محبة الله، أو أن توقف تقدمنا نحو السماء. لا شيء يمكن أن يحرمننا من مخلصنا. إن كل صعوبة تواجهنا، إنما هي درجة أخرى نرتقيها نحو السماء؛ ولذلك فنحن منتصرون عليها كلها. إن الذي أحبنا وضعها لتكون هكذا (اقرأ عدد ٢٨ ثانية). لقد أظهر مدى محبته لنا وقوته، بما فعله لأجلنا في المسيح. ليس هناك مخلوق يغير الخالق؛ لقد أحبنا الله محبة أبدية. إنه يحبنا الآن وسيحبنا إلى الأبد. هذه هي الحقائق العظمى التي تحمي قلوبنا، ونحن نطلب أن نحيا الحياة المسيحية في العالم الحاضر.

اقرأ رومية ٩ : ١ - ٢٩

إسرائيل الله

تعتبر نهاية الأصحاح الثامن من رسالة رومية، أحد أهم نصوص الانتصار في الكتاب المقدس، لكن لا يجب أن نظن بأن الفرح هو العاطفة الوحيدة التي نختبرها كمسيحيين. إن لنا حزنًا عظيمًا ووجعًا لا ينقطع في قلوبنا؛ وسبب ذلك أننا محاطون بأناس هالكين لا يعرفون شيئًا عن القوة المخلصة للإنجيل. هذا الوجع يكون قاسيًا إذا فشل أولئك القريبون منا في قبول خلاص الله.

لقد اختبر بولس الرسول أعمق درجات هذا النوع من الألم، عندما فكر في رفقاءه اليهود. لقد أحبهم كثيرًا، على الرغم من أنهم أظهروا له الكثير من الكراهية. لقد رفضوا الإنجيل تمامًا، وهذا ما أحزنه حزنًا يفوق الوصف. لقد استخدم الرسول بولس مثل إبراهيم ليوضح حقيقة التبرير بالإيمان، ومع ذلك فإن الجزء الأكبر من نسل إبراهيم كانوا غرباء عن هذا التبرير.

ما الذي يمكن قوله عن هذا؟ لقد وعد الله بأن يبارك العالم من خلال إسرائيل، ومع ذلك فإن الأمة لم تؤمن. ومن خلال إسرائيل جاءت الكتب المقدسة التي أعلنت نفس الإنجيل الذي بشر به بولس الرسول؛ ومع ذلك فإن الأمة لم تؤمن بتلك الكتب المقدسة، ولم تستطع أن تميز المسيح المعلن بوضوح في تلك الكتب.

يا له من لغز! في الأصحاحات ٩-١١ يفكر بولس الرسول بتمعن في مشكلة عدم إيمان إسرائيل. إنه يبدأ بنفسه في فحص تلك المشكلة، وأثناء فحصه يكشف لنا عن أمجد تعليم. ولا يجب علينا أن نغض الطرف عن هذه

الأصحاحات - كما يفعل البعض - باعتبارها جملة اعتراضيه، أو شيء جانبي، لا يهتم به إلا أولئك الذين يحبون اليهود. إن هذه الأصحاحات هي جزء من ذلك التفسير لإنجيل الله كما أعلنته رسالة رومية. إذا أردنا فهم الإنجيل فهمًا كاملاً فيجب علينا أن نلتفت باهتمام شديد إلى ما صرح به الإنجيل عن إسرائيل الله الحقيقي، والذي سنتابعه الآن.

حزن بولس الرسول على اليهود

يبدأ بولس الرسول الأصحاح بخمسة أعداد مكثفة، يعبر فيها عن ما يعانيه في روحه من وجع وحزن وغم لا يوصف.

أرجو ألا تسخر من الرسول! فهناك من يقولون إن الأصحاح الحادي عشر - أي بعد دقائق قليلة مما نقرأه هنا - يعد اليهود بمستقبل مجيد، ويفسرون هذه الأعداد بأنها تتحدث عن استعادة إسرائيل، وعن البركات العظيمة لإسرائيل، والتي تفوق بكثير كل البركات التي سبقتها في تاريخ الكنيسة طوال تاريخها، بما في ذلك يوم الخمسين. لقد كان ألم ووجع بولس الرسول شديداً إلى درجة أنه كان مستعداً أن يتنازل عن رجائه في الخلاص؛ إذا كان ذلك سيؤدي إلى خلاص بني جنسه. هذا يجعلنا نقول إنه إذا كان بولس الرسول يعرف أنه بعد دقائق من وصف حزنه سوف يذكر لنا أن كل شعب إسرائيل الأرضي سوف يخلص، فهذا يعني أن حزنه غير صادق، ورغبته أن يحرم من أجلهم كانت رياء، وصراعه لم يكن إلا مع خيال أو شبح.

إن حقيقة اجتياز بولس الرسول في هذا الألم، توضح بجلاء أنه لن تكون هناك استعادة لإسرائيل. لقد كان ألمه ذا طبيعة نبوية، ولا يقبل أي تفسير آخر. إن إسرائيل، كأمة أرضية، لم تعد ضمن مقاصد الله، لذا ترك لهم بيتهم خراباً (مت ٢٣ : ٣٨)، وقد أدركهم الغضب إلى النهاية (١٦ : ٢٣) وقد نزع منهم ملكوت الله وأعطى للأمم (مت ٢١ : ٤٣). إذا لم يكن هذا هو الواقع فإن كلام بولس الرسول يكون بلا معنى.

انظر إلى وصف أَلَمه في الأعداد ١ - ٥ ، فبعد أن يؤكد لنا في عبارات قوية أنه يقول الحق، نجده يقول: "إني أختبر أَلَمًا لا ينقطع"، إن عليَّ حِمْلًا دائمًا وحقيقيًا. إذا أمكن أن يخلص رفقائي اليهود بعذابي الأبدي كنت سأتمنى ذلك. لاحظ الامتيازات التي كانت لهم: كانوا نسل ذاك الذي هو أمير الله. لقد انقطعوا عن العبادات الوثنية المحيطة بهم بواسطة رحمة الله الأبوية لهم، وكان مجد الشكينة [الإعلان المنظور لمجد الله] يُعرض بينهم. لقد دخل الله في عهد معهم، وجدد هذا العهد مرات عديدة. لقد أعطاهم ناموسه المقدس، كذلك خيمة الاجتماع والذبائح التي كانت تقدم فيها، والهيكل وكل ما به. لقد كانت الأمة التي قبلت المواعيد المتعلقة بالمسيا الآتي، ومنهم الآباء العظام، والأنبياء الذين أعلن الله لهم عن نفسه، ومن هذه الأمة جاء المسيح نفسه، الكائن على الكل إلهاً مباركاً.

هؤلاء هم الناس الذين يُظهر بولس الرسول حزنه الذي لا ينقطع عليهم. البعض منهم آمن بالإنجيل - كما سنرى، لكن إسرائيل - كأمة - كانت خارج دائرة الخلاص بالرغم من الامتيازات المذكورة. هذا هو السبب في حزن بولس الرسول. إذا نسينا حقيقة وعمق هذا الحزن، فإننا سنجد صعوبة في فهم بقية الأصحاحات من ٩ - ١١.

إسرائيلان

لقد أعطى الله على مدى السنين كل أنواع الوعود لإسرائيل، ومع هذا فإن الأمة قد رفضت الله ورفضت من الله، فهل هذا يعني أن كل هذه الوعود لم تُسفر عن شيء؟ هل أعطى الله وعوداً ثم نقضها بعد ذلك؟ هل سقطت كلمة الله؟

حاشا! - إن كلمة الله لا يمكن أن تنقض. إنها جديرة بالثقة إلى أقصى درجة، وكمالها فوق كل شك؛ فالوعود التي أعطيت لإسرائيل سوف تُحترم. لكن هناك نقطة حيوية علينا أن نفهمها، وهي أن إسرائيل الحقيقي وإسرائيل

الأرضي ليسا كيانًا واحدًا. ليس كل عضو في إسرائيل الأرضي هو بالضرورة عضو في إسرائيل الله. هذا هو المفتاح الذي يفتح لنا هذه الأصحاحات الثلاثة، وكل ما يحاول بولس الرسول أن يثبته تم تلخيصه في الجزء الثاني من العدد السادس: "لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون".

لقد أعطى الله وعودًا لإسرائيل؛ لكن يجب ألا نخلط بين أمة إسرائيل وبين إسرائيل الذي أعطى الله له الوعود؛ فإسرائيل الأرضي هو فقط صورة لإسرائيل الحقيقي، الذي أُعطيت له الوعود.

وبولس الرسول هنا لا يحدثنا عن شيء جديد. لقد سبق أن قدم لنا تعليمًا في الأصحاح الرابع، حيث شرح أن نسل إبراهيم الحقيقي هم المؤمنون بالإنجيل، وليس مجرد النسل الطبيعي الذي تربطه بإبراهيم صلة الدم. هذا التعليم مهم جدًا في الواقع، ويجب علينا ألا نجرّب بتجاهله إذا بدا لنا أنه صعب. إن التعليم بأن مختاري الله من اليهود والأمم هم إسرائيل الله الحقيقي، هو أساس الفهم الصحيح للإنجيل.

عدد ٧: يقول بولس الرسول: "دعني أوضح أكثر". إن حقيقة كونك من نسل إبراهيم لن تجعلك تلقائيًا أحد أبناء إبراهيم الذين لهم الامتيازات. ماذا كان الوعد؟ كان الوعد بأن نسل إسحاق فقط هم الذين يُحسبون نسل إبراهيم الحقيقي.

العددان ٨ ، ٩: "كان لإبراهيم أبناء آخرون من هاجر، الذين لم يحسبوا نسله، فإن ما يحدد أبناء إبراهيم هو الوعد؛ وليس التناسل. إسحاق هو الذي وُلد بحسب الوعد الإلهي فقط، أما إسماعيل فلا يمكن اعتباره ابنًا لإبراهيم، لأنه ليست هناك وعود أُعطيت بشأنه؛ فإن كل الوعود قد أُعطيت لإسحاق. إنه الابن الحقيقي لإبراهيم ويمثل جزءًا من مقاصد الله."

الأعداد ١٠ - ١٣: "في الوقت الذي كان لإسحاق ابنان، فهل اعتبر كلا منهما عضوًا في شعب الله؟ كلا، لقد اختار الله أحد التوأمين ورفض الآخر،

وقد كان هذا حسب اختيار الله الحر، ولم يكن مشروطاً بصفات في أحد الولدين. لقد ظهر هذا عندما أعلن الله قبوله لأحدهما ورفضه للآخر، حتى قبل أن يولدا.

لذلك، ما الذي يجعل شخصاً ما عضواً في شعب الله؟ هل هي الولادة الطبيعية؟ أم التناسل؟ لا هذا ولا ذاك. إنه اختيار الله.

والمثلان اللذان قدمهما بولس يوضحان هذا؛ فهناك قطاع عريض وهام من نسل إبراهيم قد حُرِّموا من الميراث، بالرغم من أنهم ينحدرون بالطبيعة من إبراهيم، تماماً مثل الذين قد اختارهم الله. لقد تحدد نسل إبراهيم الحقيقي بواسطة المسرة الحرة لاختيار الله المقدس. لقد تعلمنا من ٨: ٢٨ - ٣٠ أن كل الذين اختارهم الله، هم بالتالي قد دُعوا بواسطة الإنجيل، وتبرروا في المسيح. إن أبناء إبراهيم الحقيقيين هم المؤمنون من الرجال والنساء الذين يكونون الكنيسة المسيحية. دعونا نتوقف هنا ونتأمل في الآيات رو ٢: ٢٨ - ٢٩؛ ٤: ١١ - ١٣؛ ٤: ٢٢ - ٢٥؛ غل ٦: ١٤ - ١٦؛ في ٣: ٣؛ عب ١٢: ٢٢.

اختيار الله ورفضه هما مفتاح التاريخ

هل تفهم ما يعمل الله؟ إنه يختار من يشاء ويرفض من يشاء.

عدد ١٤: "هل هذا يجعل الله غير عادل؟ هذه فكرة لا يمكن تصديقها!"

عدد ١٥: "إذا كنت تدّعي حقك في الرحمة فإن الرحمة لا تصبح بعد رحمة. على الجانب الآخر، إذا حُجبت الرحمة فلن يكون أحد مظلوماً؛ ولهذا، فإن الله حر في أن يرحم ويتألف على الذين يسر بهم، والله يمارس هذه الحرية، كما هو واضح من كلماته لموسى."

عدد ١٦: "إِذَا، إِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ اسْتَحْسَنَكَ، فَهَذَا لَيْسَ بِسَبَبٍ نِيَّةٍ دَاخِلِيَّةٍ فِيكَ وَلَا بِسَبَبٍ اجْتِهَادٍ خَارِجِيٍّ. لَا تَوْجِدُ ذَرَّةً وَاحِدَةً مِنَ الْمَدِيحِ يُمْكِنُ أَنْ تَعُودَ إِلَيْكَ. إِنْ الْكُلُّ سَبَبُهُ أَنْ اللَّهَ قَدْ أَظْهَرَ لَكَ الرَّحْمَةَ. لَا يَوْجِدُ مَنْ يَسْتَحْسِنُهُ اللَّهُ، إِلَّا عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، وَشَعْبُ اللَّهِ يَتَأَلَّفُ فَقَطْ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ قَدْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ."

عدد ١٧: "حَقًّا، إِنْ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ لِمَاذَا! فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ نَقَرْنَا أَنَّ فِرْعَوْنَ قَاوَمَ اللَّهَ بَعْنَادٍ. تَرَى مَا سَبَبُ ذَلِكَ؟ السَّبَبُ هُوَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَقَامَ فِرْعَوْنَ لِكَيْ يَظْهَرَ فِيهِ قُوَّتُهُ، وَلِيَمْتَدَّ مَجْدُ اسْمِهِ."

عدد ١٨: "هَلْ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْرِكَ مَا يَعْمَلُهُ اللَّهُ؟ إِنَّهُ يَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْسِي مَنْ يَشَاءُ"، وَهَذَا مُتَنَاغِمٌ تَمَامًا مَعَ نَظَرَةِ بُولُسَ السَّامِيَّةِ لِلَّهِ. إِنْ بُولُسُ الرَّسُولِ يَعلنُ أَنَّهُ مَجْرَدُ إِنْسَانٍ، لَا يَتَصَدَّى لِلدِّفَاعِ عَنِ اللَّهِ. إِنَّهُ بِبَسَاطَةٍ مُقْتَنِعٌ بِأَنْ يَعلنَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ وَيَخْتَارُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَكْرَهُ وَيَرْفُضُ مَنْ يَشَاءُ. إِنَّهُ الْعَظِيمُ السَّامِي الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَكَّمَ فِيهِ أَحَدٌ، وَتَحْكُمُهُ فَقَطْ صِفَاتُهُ الْمُقَدَّسَةُ. إِنْ الْكُلُّ مُسْئُولٌ أَمَامَهُ أَمَا هُوَ فَلَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَهُ."

عندما نتأمل هذا الرأي السامي عن الله، في فكر بولس الرسول، فلن نندهش من رفضه لفكرة أن كلمة الله يمكن أن تسقط. كل ما يريد الله أن يفعله، فإنه يفعله، ومن المستحيل أن يعطي الله وعدًا يعجز عن تحقيقه.

عندما يسمع الشخص غير المجدد هذا التعليم السامي، فإن قلبه الشرير يستاء منه، ويدفع بكل أنواع الاعتراضات؛ لذا يلزم التأكيد على أن عقيدة الاختيار تُقبل فقط من المؤمنين. عندما نقرأ في الكتاب المقدس أن الله صالح في كل أعماله، فإننا نؤمن بذلك، وعندما نقرأ أيضًا أن الله يقبل البعض ويرفض البعض الآخر - حسب مسرة مشيئته - فإننا نؤمن بذلك أيضًا. إننا لا نستطيع أن نرى كيف ترتبط هاتين الحقيقتين معًا (صالح الله واختيار الله)، لكننا لا ننسى أننا أناس ساقطون وجهلاء. إن الكتاب المقدس هو بالحقيقة

كلمة الله المعصومة، ونحن نؤمن بكل ما يقول. إننا نؤمن به حتى إذا علمنا عقيدتين قد يبدو لعقولنا أنهما غير منسجمتين.

هذا يفسر سبب رفض الشخص غير المجدد لعقيدة الاختيار، لأنه لا يؤمن بصدق كلمة الله. وغالباً ما يرفض المؤمن الضعيف أيضاً هذه العقيدة، وهذا يرجع إلى أنه على الرغم من أنه يعطي مكاناً لكلمة الله في تفكيره إلا أنه لم يَر بعد مدى خطأ فهمه. إنه لا يزال يثق في عقله الطبيعي أكثر مما يثق في كلمة الله. أما بالنسبة للمؤمن الناضج، فإن عقيدة الاختيار لا تمثل له أي مشكلة. إنه يؤمن بما قاله الله، وفي الحقيقة هو يرى أن هذه العقيدة مصدر تعزية لا توصف.

مع ذلك، فأينما زاد التأكيد على عقيدة الاختيار غير المشروط لابد وأن تُقابل بالاعتراضات، ويركز بولس الرسول الآن على أحد هذه الاعتراضات:

عدد ١٩: "إذا كان الله هو صاحب السلطان المطلق، فكيف يكون الإنسان مسؤولاً؟ وإذا لم يكن هناك من يستطيع أن يقاوم مشيئة الله فكيف يمكن لله أن يدين أحداً؟"

إن الإنسان الخاطئ يحاول دائماً أن يتملص من أي نوع من المسؤولية الشخصية، مع أنه يعرف تماماً أنه مسئول عن أعماله، وأنه سيُسأل عنها في الدينونة (الأصحاح الأول). إن ذروة شره، أنه يجعل من اختيار الله المستقل سبباً في عدم مسؤوليته عن أعماله، مع أن الله قد أوضح في كلمته - بنفس التأكيد - أن كل إنسان مسئول عن كل ما يفكر فيه أو يقوله أو يفعله.

عدد ٢٠: "من أنت أيها الإنسان - حتى تشكك في صلاح أعمال الله؟ إنك مجرد إنسان، وهو الله. أنت المخلوق، وهو الخالق. من أنت لتدين من قد صنعك؟"

إن الاعتراض على عقيدة الاختيار يبدو أنه قمة درجات التمرد الروحي. إن المكابرة الأثيمة فقط هي التي تعترض على عقيدة الاختيار، بالتشكيك في كمال الذات الإلهية.

عدد ٢١: "كلا، فإن الله هو العظيم الذي لا يُسأل. إن له السلطان في أن يفعل ما يسره. إن للخزاف الحق الكامل في أن يصنع آنيتين مختلفتين من نفس قطعة الطين، إذا أراد ذلك."

عدد ٢٢: "البعض يجهزهم الله حسب أمره الأزلي - للهلاك. إنه يحتملهم بصبر كثير، قبل أن يحضرهم إلى دينونته العادلة الغاضبة."

عدد ٢٣: "أما الآخرون فقد اختارهم لبيّن رحمته العجيبة، ويعدهم مقدّمًا للمجد."

عدد ٢٤: "من هم هؤلاء الذين لهم الامتيازات، الذين اختيروا للمجد وتلقوا رحمة الله؟ إنهم أفراد؛ فالنص كله يتحدث عن اختيار أفراد ورفض أفراد. إنهم أولئك الأفراد الذين قد دُعوا إلى الاتحاد بالمسيح بواسطة الإنجيل (وقد استخدم بولس الرسول كلمة "دُعوا" بهذا المعنى في الرسالة من قبل). المختارون قد دُعوا (أصحاح ٨: ٢٩ - ٣٠). إن شعب الله المختار يتألف من أولئك الذين دُعوا بواسطة الإنجيل، وكل من اليهود والأمم شملهم هذا الامتياز. إن المؤمنين - مهما كان جنسهم - هم الذين يشكّلون شعب الله."

يا لعظمة الله! لقد اختار إنسانًا واحدًا، هو إبراهيم؛ ليتمم فيه قصده، وقد اختار وميّز بين نسله بحسب مسرته الصالحة. لقد قَبِلَ فرعًا واحدًا من نسله، ورفض الآخر، دون أن يكون مسئولاً عن ذلك أمام أحد. لقد رحم من أراد وقسّى من أراد. من نفس الكتلة شكّل آنية للكرامة وآنية للهوان، دون أن يعطي حساباً لأحد. لقد رفض جميع أجيال الإسرائيليين، ولو لم يبق لنفسه في لطفه بقية مختارة من الأمة؛ لرفضت كل الأمة وطرحت كسديم وعمورة

الشريرتين. إلى هذه النقطة الأخيرة بالتحديد يصل بولس الرسول في الأعداد الباقية.

ما يحدث يحقق نبوءة العهد القديم

عدد ٢٥، ٢٦: "إن رفض اليهود الحاضر، وقبول المؤمنين من الأمم، هو بالضبط ما سبق أن تنبأ به هوشع؛ فقد تنبأ هوشع بأن الميراث سوف يؤخذ من إسرائيل الأرضي، ويُعطى لأولئك الذين لم يكونوا في ذلك الوقت من شعب الله. إن أولئك الذين كانوا في ذلك الوقت خارج مجال نعمة الله، سوف يصبحون أبناء الله."

الأعداد ٢٧ - ٢٩: "وتحدث إشعياء في نفس الموضوع، فقد شرح كيف أن إسرائيل سترفض كأمة، وكيف أن البقية فقط سوف تخلص، وبدلاً من ذلك فإن الأمم سوف يسمح لها بالتمتع بالخلاص الذي وُعد به إبراهيم. وأوضح إشعياء كيف أن الله سيقطع المرثيين، وأن البقية فقط سوف تُرحم، ولو لم يترك الله هذه البقية، فإن الأمة كلها كانت ستهلك، كما هلك سدوم وعمورة."

من المهم أن نكون قد فهمنا ما قصده بولس الرسول. إنه يخبرنا أن اليهود - مثلهم مثل الأمم - قد رُفضوا من الله، لكن هذا لا يعني أن وعود الله لإسرائيل قد بطلت؛ فإن شعب الله الحقيقي قد تكوّن - ليس من نسل إبراهيم - بل من مختاري الله، وهذا الاختيار هو مفتاح التاريخ. إن المختارين - كما تظهر دعوتهم - مكوّنون من اليهود والأمم. هذا هو بالضبط ما سبق أن وعد به العهد القديم، أن الله سيتخذ عروساً جديدة. البقية فقط من اليهود سوف تكون من ضمن الشعب الجديد، الذي سيكون مكوناً في أغلبيه من الأمم، وهذا هو إسرائيل الله الحقيقي.

يجب أن يكون واضحاً، أن بولس الرسول لا يكتب فقرة اعتراضية في مناقشته الرئيسية. إنه لا يزال يكتب عن امتيازات المؤمنين؛ فمعظم المسيحيين

في روما كانوا من الأمم، وكذلك أغلب المؤمنين الذين يقرأون الرسالة اليوم. إنهم لا يجب أن يحسبوا أنفسهم "مؤمنين درجة ثانية" أقل شأنًا من المؤمنين اليهود. إن المؤمنين من اليهود والأمم معًا يكونون إسرائيل الله، وكل ما وعد الله به إسرائيل هو لهم. كل الوعود لهم - دائما. ليس هناك شعب على الأرض له امتياز أكثر من شعب الله الجديد، الذي يتكوّن من المسيحيين المؤمنين.

ويجب علينا أن نرفض كل التعاليم التي تناقض هذا التعليم الإنجيلي الأساسي. إن هذا النص لابد وأن يقودنا إلى عبادة الله من أجل عظّمته وسلطانه، ومن أجل طرقه التي سبق أن أعدّها. إن رحمة الله لنا ودعوته لنا بواسطة الإنجيل، فهي أعجوبة الأعاجيب!! إن كل الأبدية لن تكفي لأن نحمده على رحمته التي لا نستحقّها، والتي أظهرها لخطاة متغطرسين ومتمرّدين مثلنا.

اقرأ رومية ٩: ٣٠ - ١٠: ٢١

إعلان الخلاص الحقيقي

خلاصة الأمر

في نهاية الأصحاح التاسع يسأل بولس الرسول نفسه كيف يمكنه أن يُلَخِّصَ قوله هذا، ويعبر عن ذلك في الأعداد التالية:

عدد ٣٠: "إن الأمم الذين لم يسعوا من قبل أن يتبرروا أمام الله، هم الآن الذين تبرروا بالفعل، والبر الذي نالوه هو الذي أكتب عنه الآن. إنه بر الله الذي يُعطى للخطاة بالإيمان."

عدد ٣١: "من الناحية الأخرى، فقد حاول اليهود باستمرار أن يتبرروا أمام الله، والطريق الذي حاولوا أن يتبرروا به هو طريق الناموس. لقد حاول إسرائيل أن يجني البر، بأن يكون صالحاً إلى أكبر درجة، لكنه لم ينجح. لقد فشل في حفظ الناموس بالدرجة المطلوبة."

عدد ٣٢ ، ٣٣: "لماذا سلك إسرائيل مثل هذا السلوك؟ لأنه اعتقد أن يتبرر أمام الله بأعماله هو. إن نفس فكرة التبرير الذي يقدم مجاناً للمؤمنين، هي حجر عثرة ضخم بالنسبة لإسرائيل. المسيح هو الفاصل الأعظم، إما أن يكون حجر صدمة يُتَعَثَّرُ منه، أو أن يكون صخرة يُبْنَى عليها. بشكل عام، هو حجر صدمة لليهود بينما للأمم هو صخرة يُبْنَى عليها. أولئك الذين يحاولون أن يتبرروا أمام الله، عن طريق حفظ الناموس، سوف يفشلون ويحبطون بدرجة لا توصف، وهذا ما لن يختبره المؤمنون الذين هم في المسيح."

الطريق الخاطئ والطريق الصحيح

وهكذا يتوصل بولس الرسول إلى هذه الحقيقة: أن الأمم قد بحثوا عن الله بطريقة معينة ووجدوه، بينما بحث اليهود عنه بطريقة أخرى ولم يجدوه. والآن يتناول بولس الرسول هذا الموضوع، ويتوسع فيه قليلاً، من بداية الأصحاح العاشر.

عدد ١: "في ضوء ما قد قلته يجب ألا تظن أنني أحمل أي مشاعر عدوانية تجاه إسرائيل، بل بالعكس، فإن أشواقي العميقة وصلاتي المستديمة لله هي أن يخلص إسرائيل."

من خلال هذا التصريح، يعلمنا بولس الرسول درساً هاماً: لقد عرف وعلم أنه لن تكون هناك عودة واسعة من اليهود إلى الله، ولكن مشاعره الخاصة لم تكن تحكمها مقاصد الله السرية. إنه يرغب بصدق وبكل جذية في خلاص إسرائيل، وهذه يجب أن تكون مشاعرنا أيضاً؛ فمع أننا نعلم أنه ليس كل البشر مختارين، فإن الصواب هو أن نتمنى بكل صدق خلاص جميع الناس.

عدد ٢: "تأمل في غيرتهم الدينية. المأساة هي أنها غيرة وجهت توجيهها خاطئاً. لا يوجد نظير لليهود في غيرتهم، والتي يظهرونها في محاولاتهم أن يتبرروا أمام الله، لكنهم يسيرون في الاتجاه الخاطئ."

عدد ٣: "ومجمل القول إن اليهود يجهلون الطريق الوحيد للتبرير أمام الله. إنهم يحاولون أن ينالوا رضى الله بطريقتهم، باكتسابه من خلال حفظ الناموس، وهكذا فهم لا يخضعون للطريقة التي قد أعلنها الله."

عدد ٤: "إن المسيح يشكل نهاية محاولة التبرير أمام الله عن طريق حفظ الناموس، وعن طريق الأعمال، والجهد الذاتي، أو عن طريق أي شكل من أشكال الاستحقاق أو الإنجاز الشخصي. الطريق الذي قد فتحه المسيح هو طريق الإيمان - كما سبق أن شرحت."

عدد ٥: "الطريق الخطأ للتبرير أمام الله، هو الطريق الذي حاول اليهود أن يسلكوه ولم ينجحوا، ويمكن أن يلخص في كلمات سفر اللاويين ١٨: ٥، "تحتفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحيا بها. أنا الرب." والكلمة المفتاحية هنا هي "فعلها". إنها طريق محاولة التبرير أمام الله، بفعل شيء يستحق المكافأة."

عدد ٦: "الطريق الذي عيَّنه الله للتبرير أمام الله، يمكن أن توضحه الكلمات التي جاءت في سفر التثنية ٣٠: ١١ - ١٤. إنك لا تحتاج إلى القيام بأعمال مستحيلة، فتصعد إلى السموات لتنال هذا التبرير، لأن المسيح قد نزل بهذا التبرير إليك."

عدد ٧: "ولا تحتاج إلى أن تفعل المستحيل وتغوص في الأعماق لتحصل عليه؛ لأن المسيح قد قام من الأموات لينجز لنا هذا التبرير."

عدد ٨: "كلا، إن هذا البر قريب منا، موجود هنا. هذا البر في متناول أيدينا. إنه ليس شيئاً بعيداً أو صعب المنال. إنك لا تحتاج أن تبحث عنه، ولا أن تجتهد لاكتسابه. إنك تحتاج فقط إلى قبوله بالإيمان القلبي. إنه البرّ بالإيمان الذي نعظ به في الإنجيل."

عدد ٩، ١٠: "ما الذي يجب أن يؤمن به القلب الداخلي حتى نحصل على البر؟ يجب أن يؤمن بألوهية المسيح وخلاصه، وأنه حي إلى الأبد لكي يخلص؛ فقد أقامه الله من الأموات، وهذا الإيمان يجب أن يكون حياً، وحقيقاً بالدرجة التي تكفي لأن تقود الشخص المعني للاعتراف العلني."

عدد ١١: "أولئك الذين يؤمنون هكذا يعدهم الكتاب المقدس، باستحالة أن يخيب أملهم. على العكس من ذلك اليهودي - المجاهد لكي يتبرر أمام الله بمجهوده الذاتي - فإنهم لن يفسلوا أبداً. إن أولئك الذين يؤمنون، هم بالتأكيد مخلصون."

عدد ١٢، ١٣: "الخلاص متاح هكذا للجميع، لليهودي والأممي؛ فلا يوجد فرق بين اليهودي والأممي في موقفهما أمام الله (أصحا ٣). كما أنه لا يوجد فرق في الطريقة التي يخلص بها كلا منهما؛ فالبر الذي أعده الله هو للجميع بدون تمييز، ورحمة الله المخلصة، مقدمة بسخاء للخطاة دون تحيز أو محاباة. كل من يصرخ طالباً الخلاص - سواء كان يهودياً أو أممياً - فإن الرب يسمعه ويخلصه."

يا له من إنجيل عجيب، ذاك الذي يبشّر به بولس الرسول! لا يحتاج أحد أن يصل إلى درجة عالية من الصلاح لكي يخلص. الله هو الملك الغني الرحيم العطوف؛ فالفقراء يمكن أن يأتوا إليه، ويطلبوا منه غنى الخلاص. كل ما يحتاجون إليه لخلاصهم هو أن يطلبوا، ولن يطلب أحد الرب ويقابله الرب بالرفض والطرده.

من الجدير بالملاحظة هنا أن بولس الرسول يتمسك بكل من عقيدة الاختيار وعقيدة عطية الإنجيل المجانية، ولا يجد ارتباكاً في تمسكه هذا، ويجب أن نكون نحن أيضاً هكذا، فلسنا أحراراً أن نستبعد إحداهما أو الأخرى. إذا فعلنا ذلك، فإننا نحرف ما أعلنته كلمة الله، لا شيء إلا لتبسيط الأشياء لعقولنا المحدودة، أو لتتفادى غضب أولئك الذين يكرهون التوازن الكتابي. لكننا يجب أن نبتهج بكل من العقيدتين معاً، وأن نسر بهما بنفس الدرجة. علينا ألا نسعى لمحاولة إثبات صحة كل منهما، بل أن نتمسك بما قد أعلنه الله، وعلينا ألا نتعامل مع هذه الحقائق كمتضادات، ولكن كأمر متوافقة تكمل بعضها بعضاً.

دعونا نعود إلى مناقشة بولس الرسول. إنه يؤكد على أن جميع الذين يدعون الرب سيخلصون؛ فالإنجيل - في الحقيقة - هو "الجميع"، ودعوته لا تستبعد أحداً. نتيجة لذلك فإن الإنجيل يجب أن يُعلن لكل شخص. لا بد أن ينادى بالإنجيل في كل أنحاء العالم. عند هذه النقطة يتحوّل الرسول إلى موضوع آخر.

الإنجيل لكل العالم

عدد ١٤: "إذا لم يصدق الفقير بأن الملك يستجيب للفقراء؛ فكيف يمكن لهذا الفقير أن يسأل الملك أن يجعله غنيًا؟ وكيف يمكن أن يصدق هذا؛ إذا لم يكن قد سمع على الإطلاق شيئًا عن هذا الملك؟ وكيف يمكن أن يسمع إذا لم يخبره أحد؟"

عدد ١٥: "وكيف يمكن لأحد أن يخبره، إذا لم يكن قد أرسل ليخبره؟"

لكي نفهم هذا السؤال الأخير، نحتاج أن ندرك أن العهد الجديد يعلم بأن المهمة الرئيسية لانتشار الإنجيل يقوم بها البشر، المكلفون بصفة خاصة لأن يقوموا بذلك، وهذا لا يقلل من مسئولية كل المؤمنين بأن يشهدوا للمسيح، فالله يدعو هؤلاء الناس إلى عمله، مزودًا إياهم بمواهب ونعم ليكونوا متميزين في الكنائس، والمقصود بهذه المواهب تكليف الله لهم بأن يعملوا العمل الذي دعاهم بكل وضوح ليعملونه. ليس لأحد الحق في أن يذهب، ما لم يكن قد أرسل بهذه الطريقة. الوعاظ المستقلون الذين لم يرسلهم أحد، وغير خاضعين لمساءلة أحد، أساءوا فهم العهد الجديد بخصوص عمل الكرازة بالإنجيل، ويستشهد بولس الرسول بما جاء في إش ٥٢: ٧ ليعطي صورة حياة تبين مدى البهجة التي يسببها عمل المبشرين المكلفين بالتكليف الصحيح.

عدد ١٦: "ومع ذلك، فلا يجب أن نظن أن كل من يسمع الإنجيل سيؤمن. لو كان الأمر كذلك، لما قال إشعياء النبي: "من صدق خبرنا؟" (إش ٥٣: ١)."

عدد ١٧: "على الجانب الآخر، يجب أن يكون واضحًا لنا، أنه لن يؤمن أحد إن لم يسمع، فالإيمان يأتي بالاستماع لكلمة الله."

هذا التعليم يجب أن يكون له تأثير عميق علينا، "فالوثني يهلك إذا لم يسمع الكرازة بالإنجيل، غير أن المبشرين بالإنجيل لا يمكن أن يكرزوا إذا لم يرسلوا بدقة بواسطة الكنائس؛ لذا يجب على الكنائس أن تصلي بجدية ليقوم

الله مثل هؤلاء الناس، لكي يذهبوا للهالكين. ويجب على الكنيسة أن تفحص حياة هؤلاء الناس ومواهبهم حتى تميز من يريدهم رأس الكنيسة - المسيح - ليكونوا سفراءه. بالإضافة إلى هذا، علينا جميعًا أن ننشغل تمامًا بالشهادة للهالكين، من الرجال والنساء والأطفال المحيطين بنا، وأن نشجع كنائسنا أن تشرع في مبادرات كرازية جديدة باستمرار. لا أحد يمكن أن يؤمن بدون أن يسمع كلمة الله. إن الله الذي يختار والذي عيّن من الذي يجب أن يخلص، هو أيضًا الذي حكم بأنه لا خلاص بدون البشارة بالإنجيل، وعلى ذلك فإن إدراك سيادة الله يصبح هو الباعث الأساسي الذي يقود كل مساعي الكرازة الحقيقية.

عدد ١٨: "لكن، ربما لم يستمع كل إسرائيل إلى الرسالة، وقد يكون هذا هو السبب في عدم إيمان إسرائيل. وليست الأسباب التي ذكرتها الآن."

من ناحية أخرى، فعلى الرغم من أن بولس الرسول قد بيّن لنا مسئولياتنا في التأكد من أن يسمع كل الهالكين الإنجيل، إلّا أنه لن يسمح لنا - على الإطلاق - أن نقدم أعذارًا عن أي شخص غير مؤمن. وهو يقتبس مز ١٩: ٤، ليذكرنا بالحقيقة التي قد سبق أن أوضحها في الأصحاح الأول، ألا وهي: أنه توجد شهادة كافية عن الله في الخليقة، حتى أنه لا عذر لأحد في عدم إيمانه على الإطلاق؛ وهذا يعني أن إسرائيل أيضًا ليس له عذر.

عدد ١٩: "حسنًا، ربما تكون المشكلة أنهم لم يفهموا؟ كلا، فالوضع هو كما يصفه موسى في تث ٣٢: ٢١. لقد أغار إسرائيل الله بعباداتهم للآلهة المزيفة، والتي هي في الحقيقة ليست آلهة؛ لذلك وعد أن يغيرهم بمن هم ليسوا شعبًا، بأمة غبية."

وما يقصده بولس الرسول من هذا، هو أنه علينا أن نثابر لتوصيل الإنجيل إلى أنحاء العالم، وعلينا ألا نعذر اليهود إذا هم لم يؤمنوا، وعلينا أيضًا ألا نتوقع الكثير من اليهود؛ فقد تحوّل الله عنهم، وصار أغلب إيثاره الآن للأمم.

عدد ٢٠، ٢١: "الموقف إذًا، هو كما وصفه إشعياء النبي (إش ٦٥: ١)، فالأمم - على الرغم من أنهم كانوا قبلاً خارجاً - فإنهم يدخلون الآن إلى جميع امتيازات عهد الله، واليهود أيضًا مدعوون مثل الأمم للمشاركة في هذه الامتيازات؛ لكنهم لا يزالون عصاة متمردين. إن الله يحتمل كالأب الرحيم المنتظر، ويداه ممدودة لاستقبالهم، وهم بحقد يرفضون حضنه، وهكذا يحرمون أنفسهم مما يقدمه لهم."

ملخص هذا الجزء

عندما نصل إلى نهاية هذا الجزء، فمن المهم أن نبرز النقاط الرئيسية التي علّمها لنا الرسول بولس. لقد أوضح لنا أن اختيار الله هو الذي حدد مَنْ الذي سيخلص، وأولئك الذين قد اختارهم الله هم شعبه، أبناء إبراهيم الحقيقيون، وإسرائيل الله. إنهم أمم على وجه العموم، مع بعض اليهود. بصفة عامة، فإن الأمم هم الذين يتبررون أمام الله، بالطريقة التي حددها الله، بعكس اليهود، وعلى الرغم من ذلك فإن الإنجيل قد قُدم مجاناً لكل منهما، وكل الذين يطلبون الرب؛ يخلصون. والإيمان المخلص هو دائماً نتيجة لسماع كلمة الله؛ ولذلك يتحتم على الكنائس أن تركز بلا هوادة. واليهودي عادة يظل غير مبال، فلا نلتمس له عذراً في ذلك، ولا نتجاهله في الكرازة، كما لا يجب أن نندهش من عدم استجابته؛ لأنه على الرغم من أن الإنجيل يقدم مجاناً؛ فإن كل الأمور تسير، كما حدد الله لها، وكما سبق الكتاب المقدس وتنبأ عنها.

إنه سيكون من المشجع أن نرى عودة إلى هذه الاهتمامات في هذه الأيام، وهذا سيؤدي إلى إعلان الإنجيل بصورة أكثر اتساعاً وإسراعاً عما كان عليه من قبل. على المؤمنين أن يتذكروا دائماً أن خلاصهم بجملته هو نتيجة نعمة الله، وأن الإنسان ليس لديه أي استحقاق على الإطلاق. إن إدراك هذا، يمكن أن يُؤدّ فينا مزيداً من الاتضاع.

إِقْرَأْ رومية ١: ١ - ١٦

هل أغنى الله علاقته باليهود؟ (١)

إن تعاليم بولس الرسول في الأصحاح العاشر، لا بد وأن تثير أسئلة هامة في ذهنك مثل: هل أغنى الله علاقته باليهود؟ وهل اليهودي الآن ليس عنده أي تصور آخر عن تدابير الله ومقاصده؟ هل قبول الله لإسرائيل الحقيقي يعني أنه قد غسل يديه تماما من إسرائيل الطبيعي؟ وهذا هو السؤال الذي سوف يجيب عليه بولس الرسول الآن.

البقية المختارة

عدد ١: "هل أدار الله ظهره لشعبه تمامًا؟ حاشا! إذا كان الأمر كذلك فكيف لي أنا اليهودي من اليهود، أن أتجدد؟ لو أن الأمة قد رُفِضت *بأكمل*، لكنت أنا قد رُفِضت معها."

لم يكن هناك أحد أكثر يهوديةً من بولس الرسول، فلو كان كل اليهود قد رُفِضوا؛ لكان هو بالأولى من المرفوضين، لكن خلاصه كشخص، يبرهن حقيقة ما سيقوله في العدد التالي.

عدد ٢: "لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه".

لقد استخدم بولس الرسول من قبل التعبير "سبق فعرفه" في الآية ٨: ٢٩ بمعنى "المحبة الحميمة المسبقة"، حيث أوضح أن كل الذين أحبهم الله محبة حميمة أبدية، سيمجدّهم دون شك. وهذا يوضح ما يقوله الرسول هنا: "يوجد ضمن شعب إسرائيل أناس معيّنون، قد أحبهم الله محبة أبدية واختارهم ليخلصهم. أما الأمة كأمة فقد رُفِضت، كما أوضح من قبل. لكن لأنه يوجد

أفراد مختارون داخل الأمة اليهودية؛ فلا يمكن أن يُقال إن الأمة قد رُفضت بالكامل. الله لم يرفض الشعب الذي سبق معرفه".

عدد ٢ب - ٤: "هل تتذكر الأيام المظلمة التي عاصرها إيليا النبي، عندما بدا أن كل إسرائيل الأرضي قد تحول عن الله؟ لقد زعم النبي إيليا أنه وحده دون سواه الذي بقي ليعبد الله. لقد كان متأكدًا أن الأشرار سيقتلونه، ومع ذلك، ورغم هذا العصر المحيط، يؤكد له الله أنه يوجد سبعة آلاف لا يزالون مخلصين لله".

في أكثر الأوقات شرًا وعدم إيمان، تظل هناك بقية من الأشخاص الذين قد اختارهم الرب وحفظهم.

عدد ٥: "هذا هو الحال الآن أيضًا. حتى في هذا الوقت الحاضر توجد بقية من الذين لا يشاركون إسرائيل في عدم الإيمان العام؛ وهذا لأنهم بالنعمة قد اختيروا من الله".

عدد ٦: "إن الله لم يختَر هؤلاء، لأن فيهم شيئًا قد أعجبه. لو كان الأمر كذلك، لكان اختيار الله مبنياً على أعمالهم وليس على نعمته، ولكن اختيار الله هو اختيار النعمة كلية، وليس موقوفاً على أعمال الذين اختارهم".

لا يمكن أن يفوتنا ما يقوله بولس الرسول، ألا وهو إن إسرائيل - كأمة - قد رُفضت، لكن الشعب الذي لم يرفضه الله هو شعب المختارين، إسرائيل الله الروحي، وبعض هذا الشعب هم أعضاء أيضًا في إسرائيل الأرضي. إن كل ما يُذكر عن اليهود هو أن إسرائيل الحقيقي بينهم كان ويكون بقية فقط، ولم يتكون من كل الأمة على الإطلاق. هذا هو بالتحديد ما سيتحدث عنه بولس الرسول.

عدد ٧: "إن إسرائيل كأمة لم تجد البر والخلاص الذي كانت تبحث عنه، لكن البقية المختارة فقط، هي التي وجدت ذلك؛ وأما الباقون فتقسّوا. لقد كانت أمة

اليهود - ولا تزال - مكونة من أولئك المختارين للمجد، ومن أولئك المرفوضين الذين قد أعميت عيونهم."

حتى الآن لا يوجد ذكر عن التجديد الروحي لإسرائيل (كأمة). على النقيض من ذلك يوجد تأكيد على ما ذكر الآن في اقتباسين بالعهد القديم: الأول في العدد الثامن، حيث يستشهد بولس الرسول بما جاء في إش ٢٩: ١٠، وهذا يؤكد أن الله قد أصاب الأمة بالسبات، حتى أنهم لم يستطيعوا أن يروا أو أن يسمعوا؛ لذلك لم يستفيدوا من امتيازاتهم الروحية. فالظروف التي سادت في ذلك الوقت، هي نفس الظروف التي تسود الآن، كما يعلن الرسول، وعلمنا أن نتذكر أن موضوع نبوءة إشعياء النبي كان أن الله سيرفض إسرائيل بسبب خطيتها وأن بقية فقط من الأمة سوف تخلص. عوضًا عن ذلك، فإن الأمم ستدخل إلى الخلاص الذي وُعد به إبراهيم. إذًا، فإن اقتباس بولس الرسول من هذا السفر له دلالة خاصة، وهو يشرح الوضع الحاضر لإسرائيل. لقد كان تعليم بولس الرسول متوافقًا تمامًا مع تعليم الأنبياء القدامى.

الاقتباس الثاني لبولس الرسول هو في الأعداد ٩، ١٠، وهو مقتبس من مزمور ٦٩: ٢٢، ٢٣. يفسر بولس الرسول هذا الاقتباس بأنه يُشير إلى أن امتيازات اليهود وشرائعهم والوعود التي كانت لهم قد صارت فُخًا لهم. نفس الأمور التي قصد الله منها خيرهم قد أصبحت حجر عثرة روحية لهم، وأبعدتهم عن الخلاص. وينتهي الاقتباس من داود بالقول "دائمًا" أو "في كل حين" بمعنى إلى الأبد، ليُظهر أن هذه هي الحالة الدائمة للأمة اليهودية، ولا يجب أن نتوقع شيئًا خلاف ذلك.

القصد الإلهي

عدد ١١: "وهكذا فقد عثر اليهود. ولكن هل كانت عثرتهم هي مجرد سقوط دون أي قصد إلهي؟ حاشا! فنتيجة سقوطهم، صار غنى لكل العالم، فإذا لم يعد لليهود الآن امتيازاتهم الخاصة، فقد فُتحت أبواب الخلاص لكل العالم؛

وبهذه الطريقة أنجز الله الوعد، الذي اقتبس في الأصحاح العاشر (١٠: ١٩ - ٢١). لقد أغاروا الله بعبادة ما ليست آلهة، وسوف يغيرهم الرب بقبول ما ليس أمة!"

عدد ١٢: "والآن، إذا كان رفض الأمة اليهودية صار بركات عظيمة للعالم كله، فكم يكون القبول المطرد من التيار الجارف من اليهود المتجددين - الذين يشكلون اليهود المخلصين - بالنسبة للعالم؟ إذا كان رفضهم له هذا التأثير العجيب، فكم سيكون تأثير البقية المختارة بالنعمة على العالم."

لا شك أن بعض القراء سوف يدهشون من التفسير الذي وضعته هنا لكلمات بولس الرسول؛ لأنه ليس التفسير المألوف، لكنه التفسير الصحيح، كما سنرى عندما نصل إلى عدد ٢٥. إن تفسير كلمة (ملء) في ذلك العدد يعني "العدد الكلي للمختارين"، ولا أدري لماذا لا تفهم هذه الكلمة هنا بنفس المعنى الذي وردت به في عدد ٢٥؛ فالأعداد التالية تبرهن صحة هذا التفسير. ويواصل بولس الرسول الحديث، ليس عن شيء سيحدث في المستقبل، ولكن عن شيء يحدث، *وقت كتابة الرسالة*. إذا كانت كلمة "ملء" تشير إلى إعادة كيان أمة اليهود مستقبلاً - كما يعتقد الكثيرون - فلماذا يستخدم بولس الرسول هذه الكلمة ليدخل نفسه في مناقشة مستمرة للوضع *الحاضر*؟ وكيف يسبب الملء المستقبلي أن يمجّد الرسول بولس امتياز كونه رسول الأمم، كما في عدد ١٣؟ يبدو من المعقول أن نفكر بأن بولس الرسول يرى نفسه كواحد من ذلك "الملء" الذي ذكره، والذي سيكون بركة للعالم بشكل لم يسبق له مثيل؛ لذا فأنا أعتبر أنه يمكن إعادة صياغة ما قاله بولس الرسول، بالطريقة الآتية:

عدد ١٣، ١٤: "أنا واحد من ذلك الملء. انظروا إلى البركات التي جاءت بالفعل إلى العالم من خلال يهودي واحد! إن سقوط اليهود قد أغنى الأمم؛ لكن البقية المختارة - الملء - قد أغنت الأمم أكثر كثيرًا. هذه هي النقطة التي أريد أن أوضحها لكم. والحقيقة هي في هذا السؤال: مَنْ هو رسول الأمم؟ إنه يهودي مختار!"

"وهذا ما يجعلني أقدر كثيرا المهمة التي منحها الرب لي، ورجائي أنه عندما يرى اليهود أن الكثيرين من الأمم يخلصون من خلال خدمة يهودي واحد، فإن ذلك يثير فيهم الغيرة. إنني آمل من خلال هذا أن أقود بعضهم إلى الخلاص".

من الجدير بالملاحظة، أن رجاء بولس الرسول، ليس في خلاص كل الأمة. لقد كان رفض الأمة هو السبب في حزنه العميق، لكن عنده رجاء أن يكون هو أداة لخلاص بعض اليهود.

عدد ١٥: "فإنه إذا كان رفض الأمة يعني مصالحة العالم؛ فماذا يعني خلاص بعض اليهود؟ إنه يعني حياة من الأموات!"

يجب علينا أن نلاحظ بعناية أن بولس لم يذكر شيئاً عن المستقبل، ولا مرة واحدة؛ فكل مناقشته تدور حول تقسي الأمة واختيار النعمة داخل هذه الأمة. إن تقسي الأمة قد تسبب في فتح باب الخلاص أمام الأمم، أي جاء بالبركة والمصالحة إلى العالم، لكن البقية المختارة من اليهود هي مصدر لبركات أعظم، كما يوضح لنا مثال بولس الرسول نفسه.

إن "الرفض" و"القبول" هما الشيطان اللذان كانا يسيران جنباً إلى جنب آنذاك ولا يزالان حتى الآن هكذا، غير أنه ليس هناك ذكر على أنهما مرحلتان متتاليتان من التاريخ. إن الشخص الذي يأتي إلى هذا النص بأفكار مسبقة، هو فقط الذي يمكنه أن يقتنع بوجود مرحلتين من التاريخ، لكن أن يخلص البعض - باختيار النعمة - من الخراب المطبق لإسرائيل، فلا بد أن يكون هذا هو المقصود بالقول "حياة من الأموات!".

ويصرّح الرسول بولس بنفس الشيء بكلمات مختلفة:

عدد ١٦: "لا تفهموا كلامي بمعنى أن رفض الأمة يعني رفض كل شخص فيها. ليس هذا جزءاً من تعليمي على الإطلاق. لقد كانت الباكورة

(إبراهيم.....الخ) مقدسة وكذلك الحصاد. الجذر مقدس، وكذلك الأغصان أيضًا.

لكن ذلك الحصاد وتلك الأغصان تتكون من أشخاص وليس الأمة ككل، كما سنكتشف بعد قليل، فاليهود المؤمنون هم أغصان مقدسة من أصل مقدس، أما اليهود غير المؤمنين فقد نُزِعوا من هذا الأصل، وطُعِمَ مكانهم المؤمنون من الأمم.

إن قصد الرسول هو أننا يمكن أن نتوقع أن نرى استمرار بقية النعمة من خلال الأصول اليهودية للنبات، فالنبات القديم لم يخلو تمامًا من الحياة، لكن الحياة التي فيه، تتكون من أولئك اليهود الذين سيؤمنون بالإنجيل.

بعض الاعتبارات الهامة

يمكن أن يكون هناك تحفظ لدى بعض القراء، بشأن التفسير الذي قدمته لهذه الأعداد. لكن هؤلاء عليهم أن يدركوا أن الرسول يكتب لكنيسة أممية، فهل من المعقول أن يصرف بولس الرسول أكثر من خمس هذه الرسالة، في شرح أمر ليس له أية علاقة حيوية بقرائه – ألا وهو إعادة كيان اليهود؟

بمجرد أن نفهم الأصحاحات بالطريقة التي قد أوجزناها؛ فإنها تصبح وثيقة الصلة بالموضوع؛ فالرسول يشرح أن الأمم ليسوا مؤمنين من الدرجة الثانية، بل هم أعضاء وشركاء في شعب الله، الذي لن يُرفض على الإطلاق. ولكن مؤمني الأمم مدينون للمؤمن اليهودي، لكنهم ليسوا أقل رتبة منه بأي شكل. إن مؤمني الأمم ليسوا بعد غرباء عن عهود الموعد؛ لكنهم شركاء اليهود المؤمنين في الماضي وفي الحاضر أيضًا، وأهل بيت الله (أفسس ٢: ١١ - ٢٢).

عندما يقرأ المؤمنون الأمميون هذه الرسالة، سيتمكنون أن يروا أنفسهم في مركز مقاصد الله؛ وليس مجرد شيء ثانوي لا قيمة له، وسيكون تقديرهم لنعمة الله التي اتجهت نحوهم أكثر من ذي قبل.

إن الذين ليسوا شعباً لله، قد أصبحوا شعب الله الخاص! والذين ليست لهم الامتيازات، أصبحوا مشمولين بكل الامتيازات المحفوظة لشعب الله المختار. المسيحيون المؤمنون - سواء كانوا من اليهود أم من الأمم - هم حذقة عين الله. إن الله لا يحقق قصده في أمة أرضية لكن في الكنيسة، وقد تركزت اهتمامات المؤمنين في هذه النقطة.

إن المفهوم الخاطئ لهذا النص، أدى إلى أن تشغل أذهان العديد من المسيحيين انشغالا زائداً بالسؤال عن مستقبل اليهود، الأمر الذي أدى بالتالي إلى مشاعر مفرطة بالنسبة للدولة الأرضية التي تحمل في الوقت الحاضر اسم "إسرائيل"، وأصبح من المسلم به غالباً أن كل الذين يؤمنون بالإنجيل، ينبغي أن يساندوا إسرائيل سياسياً؛ وهذا عائق خطير أمام الكرازة في المنطقة العربية.

ليكن كل منا مخلصاً للسلطات الخاصة التي وضعتها عناية الله علينا. هذه النقطة سوف نتحدث عنها في الفصل الثالث عشر. ليكن اهتمامنا بدولة إسرائيل الحديثة، لا أكثر ولا أقل من اهتمامنا بالدول الأخرى، وبتقدم الإنجيل فيها. لا شك أن هناك نسبة عالية جداً من اليهود، بين سكان إسرائيل الحالية، وعلينا أن نعمل ونصلي لدعوة الله للبقية المختارة من اليهود والأمم، وعلينا أيضاً أن نعمل ونصلي من أجل اليهود والأمم من جيراننا، وأن نشجعهم أن يطلبوا الامتيازات، التي صارت لنا - نحن المؤمنين - كإسرائيل الحقيقي.

اقرأ رومية ١١ : ١٧ - ٣٦

هل أنهى الله علاقته باليهود؟ (٢)

تؤكد الأعداد التالية التفسير الذي سبق اقتراحه، وتؤكد على وجه الخصوص حقيقة أن بولس لا يناقش ما إذا كان إسرائيل كأمة سوف تعود إلى دائرة امتيازات الله؛ لكنه بالأحرى يقدم تعليمًا عن خلاص أفراد. هذا ما سيوضحه الآن من خلال مثله عن شجرة الزيتون.

التمثيل بشجرة الزيتون

لابد أن هذا المثل كان مفهومًا للقراء الأصليين، بصورة أفضل كثيرًا مما يمكن أن نفهمه بها اليوم. إن زراع الفاكهة في الوقت الحاضر، لا يطعمون غصلا مقطوعة من شجرة برية في شجرة (طبيعية) غير برية، لكن الممارسة في أراضي حوض البحر الأبيض المتوسط كانت مختلفة أحيانًا؛ فأحيانًا كانت تُطعم غصلة مقطوعة من شجرة زيتون برية، في شجرة زيتون قد توقفت عن الإثمار. لقد كان هذا الإجراء يؤدي إلى تنشيط الشجرة، علاوة على أن الغصلة المقطوعة من شجرة برية تثمر، مستمدة حياتها من السائل الذي يجري في أوعية الشجرة الأصلية. إن هذه الممارسة كانت في فكر بولس الرسول. الشجرة الطبيعية تمثل أمة إسرائيل، والزيتونة البرية ترمز إلى الأمم.

عدد ١٧: "ليس كل إسرائيل الأرضي قد رُفض؛ لكن أغصانا فردية من الشجرة قد نُزعت (بسبب عدم الإيمان، عدد ٢٠). هل أنت مؤمن من أصل أممي؟ إنك مثل غصلة من زيتونة برية، قد طُعمت في المكان الخالي. لقد أصبحت الآن (بالإيمان، عدد ٢٠)، في وضع لم تكن عليه بالطبيعة، عضوًا في إسرائيل، وابتنا إبراهيم".

من المشكوك فيه ما إذا كان بولس الرسول يمكنه أن يشرح بأكثر وضوح أن إسرائيل الله الحقيقي، مكون من أفراد مؤمنين؛ وليس من أمة. أولئك الذين لا يزالون في شك من هذا الأمر، عليهم أن يتأملوا ما جاء في أف ٢: ١١ - ٢٢.

من المؤكد أن بولس يعلم بأن نسل إبراهيم وإسرائيل الوحيد الذي عرفه الله، هو جماعة من أفراد مؤمنين. إنه يتكون من اليهود والأمم الذين التحقوا بهذه الجماعة المفدية - بالإيمان الشخصي - في ربنا يسوع المسيح. ليس هناك شخص غير مؤمن - مهما كانت جنسيته - يمكن أن يكون جزءًا من شجرة الزيتون التي أصلها إبراهيم. المؤمنون فقط هم الذين يكونون إسرائيل الله، وهذا يوضح لنا السبب، الذي جعل الرسل يفسرون النبوات التي ترتبط ظاهرياً بأمة إسرائيل، على أنها تحققت في الكنيسة المسيحية (على سبيل المثال: انظر أع ٢: ١٦ - ٢١، ١٥: ١٣ - ١٨).

في الأعداد من ١٨ - ٢٤، يتابع بولس الرسول مثل الزيتون، ويطبقه بصفة خاصة على المؤمنين من الأمم، والذين يشكّلون غالبية قرائه الأصليين. والنقطة الرئيسية هنا، هي أن هؤلاء يجب ألا يشمتوا كثيرا في رفض إسرائيل، ويقول لهم إن ثباتهم هو بالإيمان فقط، وإذا لم يثبت أن إيمانكم حقيقي، فسوف تلاقوا نفس المصير، مثلما حدث لليهود، ولكن إذا رجع اليهودي عن عدم إيمانه، فإنه سيُطعم ثانية. أما أنت فإذا لم تثبت في الإيمان؛ فإنك ستقطع.

من المهم أن نلاحظ هنا أن الرسول لا يتحدث عن تطعيم أمم بأسرها أو قطع أمم بأسرها. إنه يتحدث عن أفراد، إما في داخل زيتونة الله، أو خارجها، على أساس إيمانهم الشخصي أو عدم إيمانهم الشخصي. لا توجد هنا كلمة واحدة عن خلاص قومي، ولا توجد كلمة تشير إلى التنبؤ باستعادة روحية

مستقبلية لليهود. هذه النقطة يجب أن تثبت جيدا في أذهاننا، ونحن نقرب أكثر من العدد ٢٦.

عدد ٢٥: "لا تكونوا متكبرين أو مزهوين؛ فلم تُرفض كل الأمة أبداً. إن عماها هو عمى جزئي فقط، وحالتهم هذه سوف تستمر إلى أن يكتمل عدد المختارين من الأمم."

ويكرر بولس الرسول أيضاً؛ بأن هناك ما يعتبر منوالاً للعصور، بحيث أن كل الذين يخلصون سيكون معظمهم من الأمم؛ لكن سيكون ضمنهم أيضاً بعض اليهود. لكن لا يجب أن يتفاخر الأمم كما لو كانوا أفضل بحال من الأحوال، فإنهم طعموا في شيء لا ينتمون إليه بالطبيعة؛ أما هؤلاء - اليهود - فإنهم مُطعمون في زيتونتهم الخاصة. ولا يمكن الحكم بأن المؤمنين من الأمم أسمى من المؤمنين من اليهود بأي شكل من الاشكال (عدد ٢٤).

يُحتمل البعض كلمة (إلى أن) - في الجزء الثاني من عدد ٢٥ - أكثر مما تحتمل. إنهم يفسرون هذا العدد على أنه يعني أن العمى الجزئي لليهود سوف يستمر إلى أن يدخل ملء الأمم؛ وبعد ذلك سوف يزول العمى كليةً. هذا الأمر جعلهم يتوقعون عودة روحية غير عادية لليهود في المستقبل، وفسروا الجزء الأول من عدد ٢٦ على هذا الأساس.

لكن هذا ما لم يقصده بولس! فهو لم يتحدث في هذه الأصحاحات مطلقاً عن خلاص قومي - لكل الأمة - ومن غير المحتمل أن يبدأ في الحديث عنه الآن. إن موضوع الحديث كان خلاص الأشخاص، ومن الأحكم والأضمن أن نفترض أنه لا يزال يكتب في نفس الموضوع.

قد يكون من المفيد أن نستشهد بما جاء في مزمور ١١٠: ١ عند هذه النقطة. إنه يخبرنا أن المسيح سوف يجلس عن يمين الله، حتى يضع أعداءه موطناً لقدميه؟ فهل يعني هذا أن المسيح لن يملك بعد أن يضع أعداءه موطناً لقدميه؟ قطعاً لا. إن كلمة (إلى أن، حتى) تشير إلى حالة دائمة ومستمرة، وقد

اعتاد اليهود على استخدام هذه الكلمة بهذا المعنى. وهناك ما يبرّر الاعتقاد بأن الكلمة استخدمت بطريقة مطابقة هنا في عدد ٢٥.

هكذا يقول الرسول إن العمى الجزئي لليهود، هو حالة دائمة ومستمرة، وسوف تبقى هذه الحالة إلى أن يدخل المختارون من الأمم، (الأمر الذي يتطابق مع نهاية العالم بحسب إيماننا).

دراسة الجزء الثاني من عدد ٢٦

لقد أخبرنا بولس الرسول، كيف دخل مختاروا الله. إن اكتمال إسرائيل الله الحقيقي يقترب أكثر فأكثر وهو يتكون من بعض اليهود؛ لكن غالبية من الأمم، وقد اندمجوا معاً في الجسد المفدي بالإيمان. هذا هو الطريق الذي سيخلص به كل إسرائيل.

إن بولس لا يقول: "عندئذٍ سيخلص كل إسرائيل"، لكنه قال: *وهكذا* سيخلص كل إسرائيل". فالجملة هنا ببساطة، هي ملخص للمناقشة السابقة، وكأن الرسول يقول: "إن ما رسمته لكم هو المثال لكل العصور، هذا هو الطريق الذي يدخل منه مختاروا الله، الطريق الذي سيُحضّر إسرائيل الله إلى الخلاص".

من الصعوبة بمكان أن نرى تفسيراً آخر لهذا الجزء. هل من المعقول أن الرسول بولس، كان يُشير هنا إلى أمة أرضية؟ هل المناقشة السابقة يمكن أن تُوحي - ولو للحظة واحدة - أن كل يهودي مهما كان سوف يخلص؟ إنها تتحدث عن أمر مختلف تماماً. إنها تؤكد لنا أن كل المؤمنين المسيحيين سوف يخلصون، وأن هؤلاء - وهؤلاء فقط - هم أبناء إبراهيم الحقيقيين، وشجرة الزيتون الإلهية المحبوبة. هؤلاء فقط هم إسرائيل الذي يعرفه الله؛ ولهذا السبب نحن نتمسك بوجهة نظرنا بأن عدد ٢٦ أ، هو ملخص لكل المناقشة السابقة التي عولجت بكل تدقيق.

ولكن العديد من المسيحيين المخلصين، يطبقون هذا الوعد على إسرائيل الأرضي، ويتخيلون أنه أثناء مُلك ألفي في مستقبل تاريخ العالم؛ سوف يرجع اليهود إلى المسيح بأعداد هائلة. لكن وجهة النظر هذه ليست عادلة بالنسبة لاستخدام بولس الرسول لكلمة "جميع" إلا إذا كان المفترض أن كل اليهود الذين ماتوا في عدم الإيمان سوف يقومون في العصر الألفي، وأن كل واحد منهم سوف يغتنم الفرصة الثانية التي ستعطى له ليتوب ويؤمن بالإنجيل.

وللإجابة على ذلك، يصر الكثيرون على أن كلمة "جميع" لا تعني بالضرورة كل واحد، ولكنها يمكن بشكل أو آخر أن تعني الغالبية أو الغالبية العظمى. علينا أن نتذكر أن كل مناقشة بولس كانت تدور حول خلاص الأشخاص، ومن الصعب تصوّر أي معنى أقل لكلمة "جميع".

ويعتقد البعض الآخر بتدبير يؤدي إلى أن يدخل الأمم إلى الخلاص بأعداد كبيرة أثناء فترة العمى الجزئي لإسرائيل، لكن عندما يكتمل عدد الداخلين إلى الإيمان من الأمم؛ فإن عمى إسرائيل سوف ينتهي؛ وعندئذ يرجع اليهود إلى المسيح على نطاق عالمي واسع. ويعتقدون أن هذا الحدث سيؤدي بدوره إلى بركات أعظم بين الأمم.

يفهم أنصار هذا الرأي كلمة "زلة" في عدد ١٢ على أنها تشير إلى الوضع الحاضر لإسرائيل، وأن كلمة "ملء" في نفس العدد على أنها تشير إلى استعادة إسرائيل المستقبلية المتوقعة، وأن الرفض الحاضر يؤدي إلى مصالحة للعالم (خلاص الأمم)، أما القبول المستقبلي؛ فسوف يأتي ببركات أعظم بما لا يُقاس، بحيث وُصف في عدد ١٥ بأنه "حياة من الأموات".

مع ذلك، لا يوجد دليل على أن هذه الألفاظ، يمكن أن تُفهم على أنها تُشير إلى مراحل تاريخية متعاقبة، وقد قدمنا بالفعل الأسباب التي تجعلنا نفهمها على أنها أحداث تسير جنبًا إلى جنب، وفي نفس الزمن. ولقد رأينا كيف يستخلص بولس الرسول من هذه الأعداد ما يخص خدمته الحاضرة،

ومن الصعب أن نرى كيف أن هذا التفسير المذكور يجعل بولس الرسول يمجّد خدمته، كما يذكر في عدد ١٣، أو كيف يمكن أن يكون لهذا التفسير أهمية خاصة لقرائه من الأمم.

لكن هناك اعتراض قوي مؤداه: "إذا كان خلاص ملء الأمم سوف يؤدي إلى انتهاء العمى اليهودي؛ فكيف يمكن أن يؤدي هذا - بالتالي - إلى بركات أعظم بين الأمم؟ لأننا يلزم أن نفترض أن الملء ليس هو ملء؛ لأن هناك ما سيُضاف إليه فيما بعد. أعتقد شخصياً أن هذه صعوبات كؤود، وأنه من الحكمة أن نأخذ بالتفسير المقدم في هذا الكتاب.

عندما سبق واستخدم بولس الرسول الألفاظ "كل النسل"، "جميع إسرائيل" في هذه الرسالة فإلى من كان يشير؟ إنه لم يشر إلى أمة اليهود؛ لكن إلى البقية المختارة داخلها، وإلى المختارين بوجه عام. يبدو أنه من الأفضل الاعتقاد بأنه يقصد هنا نفس الشيء؛ فإشارة الرسول إلى "جميع إسرائيل" هي عبارة موجزة تشير إلى منوال العصور من حيث كيفية دخول المختارين إلى شعب الله. والرسول يكتب إلى المؤمنين من الأمم، ليظهر الامتيازات المجيدة التي صارت لهم، وليعلن لهم عن الاستجابة التي يتوقعونها عندما ينشغلوا بنشر الإنجيل.

ختام الجدل

هذا المفهوم للجزء الأول من عدد ٢٦، تثبته الأعداد التالية. إن بقية عدد ٢٦ مع عدد ٢٧ هما اقتباس من سفر إشعياء ٥٩: ٢٠ - ٢١. عما يتحدث ذلك الأصحاح من سفر إشعياء؟ لقد اقتبس بولس الرسول منه قبل في الأصحاح الثالث؛ لكي يبرهن على خطية العالم. في ذلك الأصحاح يعلن إشعياء أن إسرائيل الأرضي فاشل بسبب خطاياها، وأنه شعب غير تائب؛ الأمر الذي أصاب النبي إشعياء بالذهول؛ لذلك يضع الرب على عاتقه مهمة تأسيس

ملكوت يشمل جميع أنحاء العالم. سيدخل العدو كنهر، لكن الرب سيقم راية ضده، وهذه الراهية هي المسيح، والمسيح سيأتي من الأمة الأرضية؛ لكنه لن يأتي بالخالص إلى تلك الأمة المرفوضة (مع أن إشعيا يعلم بأن البقية سوف تخلص) بل إلى الأمم.

هذه الجزء من الكتاب المقدس هو الذي يوجهنا بولس إليه، عندما يريد أن يبرز مفهومه عن "جميع إسرائيل سوف يخلص".

علينا أن نتذكر أن كُتِبَ العهد الجديد، عندما يقتبسون من العهد القديم؛ فإنهم لا يقصدون أن يبنوا فكرتهم على نص مفرد؛ ولكنهم يلفتون الانتباه إلى كل القرينة، التي أخذ منها هذا النص. والنص الذي يشير إليه بولس الرسول بقوله: "إن جميع إسرائيل سوف يخلص" هو النص الذي يقدم وعدًا بالخالص لكل العالم؛ لذا فمن الأصوب أن نفسر هذه العبارة بالطريقة التي فسرنا بها من قبل. لقد فهمنا جدل بولس الرسول السابق بطريقة متسقة بكل دقة مع نبوءات إشعيا، ويبدو أنه من المستحيل أن نفهم الجزء الأول من عدد ٢٦ على أنه يشير إلى رجوع اليهود في المستقبل، فكيف يمكن للنص المقتبس من إشعيا أن يدعم هذا الفكر؟ إن بولس الرسول لا يتحدث عن المستقبل؛ ولكن عن نموذج للأمور الحاضرة والمستمرة، وهذا تبرهن مما قاله بعد ذلك في عدد ٢٨. إنه لا ينهي الجدل ليظهر ما سيحدث بعد زمن بعيد؛ لكنه يتحدث بكل رزانة إلى قرائه، عن حقيقة الوضع الحاضر ملخصًا تعاليمه السابقة.

عدد ٢٨: "إن أمة إسرائيل ككل هي ضدكم؛ من جهة الإنجيل، ولكن داخل هذه الأمة يوجد مختارون. إنهم أقرباء جدا إليكم. إنهم النسل الحقيقي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، الذي فيه قد طُعِمْتُمْ أَنْتُمْ الْآنَ".

عدد ٢٩: "لقد وعدهم الله كنسل، ولا يمكن لله أن يتراجع في هباته أو في دعوته".

إن المؤمنين الذين يقرأون رسالة بولس الرسول، هم أنفسهم تحقيق للوعود التي أعطيت للآباء. لقد وعدهم الله بنسل يفوق عدده نجوم السماء ورمل البحر. وقد علمنا بولس الرسول أن نسل إبراهيم الحقيقي، ليسوا شعباً أرضياً؛ لكنهم أناس اتحدوا بالمسيح بالإيمان، وهذا يفسر لنا لماذا ينتقل بولس مباشرة من السؤال عن "سيخلص جميع إسرائيل"، إلى حقيقة أن هبات الله ودعوته لا يمكن أن تُبطل. ويمضي بعد ذلك مباشرة في توجيه خطاب شخصي إلى قرائه من الأمم.

عدد ٣٠: "أيها المؤمنون الأمميون - انظروا إلى أنفسكم. لقد كنتم في وقت ما مرفوضين من الله، لكن رفض اليهود أدى إلى خلاصكم. إن عدم إيمانهم قد جعلهم يُقطعون، وأنتم بالإيمان شغلتم مكانهم."

عدد ٣١: "الآن، فكروا في المختارين من إسرائيل الأرضي؛ لقد كانوا هم أيضاً في وقت ما غير مؤمنين، فما الذي أتى بهم إلى الإيمان؟ إنه منظرهم أيها الأمم وأنتم تأتون إلى الخلاص، الذي فشلوا هم أنفسهم في الدخول فيه." (وهذا هو بالضبط المفهوم الذي قدمه بولس الرسول في عددي ١٣ - ١٤).

هكذا يوجد داخل الجماعة المفدية كيانان، كلا منهما مدين بشيء ما للآخر، وهما معاً يكونان شجرة واحدة.

عدد ٣٢: "قصد به إظهار أنه لا توجد أفضلية للغالبية المخلصة من الأمم، ولا للأقلية المخلصة من اليهود، بأي شكل من الأشكال. ماذا كان تقييم الله لكل منهما؟ لقد كانوا جميعاً في عدم إيمان. كيف خلص الله كلا منهما؟ بالرحمة فقط."

تمجيد

الأعداد ٣٣ - ٣٦: "تأمل في طرق الله العجيبة! إنها أبعد من أن تُكتشف. لا يستطيع أحد أن يؤاخذَه، وهو لا يعتمد على أحد. إنه ينفذ إرادته حسب مسرته."

فكر في هذا! لقد كنت يوماً غير مؤمن، وقد أحضرك الله إلى كل امتيازات شعبه. وأولئك الذين قد اختارهم الله من اليهود والأمم، سيستمر دخولهم بالطريقة التي حددها، إلى نهاية الزمن، وهذا ليس بسبب أي استحقاق فيهم. لقد كانوا جميعاً في عدم إيمان، والتفسير الوحيد لذلك هو الرحمة - الرحمة وحدها.

اجعل تسبيحة الأعداد ٣٣ - ٣٦ هي استجابتك لما عمله الله من أجلك، وصمّم أن تحيا حياتك بالطريقة التي تُرضي ذاك الذي أظهر لك هذه الرحمة العظيمة التي لا تستحقها. أما بقية الرسالة فتشمل التعاليم العملية لهذا الموضوع.

الحياة المسيحية

(رومية ١٢ – ١٦)

إرادة الله

يالها من حقائق، تلك التي قد علمنا إياها الرسول بولس، في الأصحاحات السابقة، والتي تشكل الجزء العقائدي من رسالته، وما أمد تفسيره للإنجيل! وما أعظم غنانا بالمسيح! وكم هو عجيب تعامل الله مع خطاة غير مستحقين!

لكن كل هذا يثير سؤالاً صعباً: "كيف أجاوب أنا مع مثل هذه المحبة؟ بعدما قبلت مثل هذه المراحم من الله؛ ما هو رد فعلي الذي يُظهر امتناني له؟ إنني لا أستطيع أن آتي بتقديم شكر، كما كان يحدث في زمن العهد القديم؛ لأن كل تلك الذبائح قد بطلت. طبعاً إنني سأسبح الله بشفتي؛ ولكن هذا يبدو غير كافٍ. ترى ماذا أفعل؟"

التكريس

عدد ١: "إن حل مشكلتك يكمن في كلمة واحدة - التكريس؛ فبدلاً من أن تقدم ذبيحة، كن أنت ذبيحة! كما كانت تلك الحيوانات تُقدم ذبيحة بدون تحفظ، هكذا قدموا أجسادكم تحت تصرف الله. دعوا الأجساد - التي كانت قبلاً في خدمة الخطية - أن تخدم الله. لتكن إستجابتك: "أنا لست أسلم حياتي؛ بل أحيي حياتي لله." كرس نفسك لحياة مقدسة، ولرضى الله. هذه هي عبادتك الروحية، في مقابل طريقة تقديم الذبائح في العهد القديم."

عدد ٢: "والحقيقة هي إن مراحم الله قد جعلتكم شعب الله، لذلك لا تعيشوا كما لو لم تكونوا شعبه. بكلمات أخر، لا تعيشوا مثل الآخرين. لا تدعوا الناس الذين من حولكم يضغطون عليكم لتكونوا مثلهم، ولكن عوضاً عن ذلك اجتهدوا أن تكونوا مرضيين أمام الله."

هذا لا يمكن أن يتم بمجرد الإلتزام بممارسات خارجية معينة. إنه يتطلب تغيير ذهنك. إنه يتطلب أن تكون مختلفًا في أسلوب تفكيرك؛ حتى تكون مختلفًا من الخارج. اعط نفسك بجملتها في سبيل رضى الله، وليكن هذا هو المبدأ الثابت في ذهنك، واختبر إرادة الله بهذه الطريقة، وسوف يثبت لك أنها صالحة ومرضية وكاملة.

وهكذا فإن أول ما يتبع تعليم بولس العقائدي، هي الدعوة إلى التكريس والانفصال، الأمر الذي سيؤدي بالتالي - وبكل تأكيد - إلى حياة الكمال والرضى والبركة. إنها دعوة للحياة لله، والخضوع له كلياً. هذه هي الاستجابة - الوحيدة المعقولة - لمراحم الله، التي سكبها علينا بواسطة الإنجيل، وعندئذ لا يجب أن نستمع للشيطان عندما يؤكد لنا، أن الحياة في طريق الله سوف تكثّر حياتنا، بل على العكس تمامًا، فإن طاعتنا لإرادة الله سوف تغني حياتنا إلى درجة تفوق الوصف. لقد ضنعنا لأجله وهذا هو بالضبط ما يجب أن نتوقعه.

علينا أن نلاحظ، أن الرسول بولس يدعونا أن نقدم أنفسنا . عندما نقدم لله أشياء مادية فقط فهذا نوع من التكريس بالنيابة، وهذا النوع من التكريس لا يهتم به الله كثيرا، لكن عندما نضع أنفسنا بالكامل تحت تصرف الله، تكون هذه - وهذه فقط - هي الاستجابة المناسبة لما عمله الله لنا في المسيح.

ويصوغ C.T. Studd هذه الفكرة في صورة مناسبة قائلا: "أنا قد عرفت عن موت يسوع من أجلي؛ لكني لم أفهم مطلقاً أنه إذا كان يسوع قد مات لأجلي، فأنا إذا لم أعد ملكاً لنفسى. إن الفداء يعني إعادة الشراء؛ لذلك فإذا كنت ملكاً لله، فإما أن أكون سارقاً وأحتفظ بما ليس لي، أو أن أخصص كل شيء لله. عندما أرى أن يسوع قد مات من أجلي؛ فلا يبدو صعباً أن أخصص له".

فالمبدأ العام إذاً واضح جداً، لكن كيف أستطيع أن أقدم نفسي لإرضاء الله؛ إذا لم أكن أعرف ما يريده الله؟ ولتذليل هذه الصعوبة، يخبرنا بولس الرسول ما هي إرادة الله لنا في عدة مجالات.

إرادة الله لكم في الكنيسة: استخدام المواهب

الأعداد ٣ - ٨: "إن أول ما عمله المؤمن في العهد الجديد لم يكن تعلم أن يصرف وقتاً "للخلوة الشخصية"، ولدراسة الكتاب المقدس (مع أن هذه عادة ممتازة، ولا يجب أن تتوقف لحظة واحدة). إن أول ما كان يعمل هو أن يعتمد وأن ينضم إلى كنيسة. هذا يفسّر لنا لماذا يعالج بولس الرسول موضوع إرادة الله للمؤمن في الكنيسة أولاً، قبل أن ينتقل لمناقشة إرادة الله للمؤمن كشخص."

إننا نحتاج أن نتخلى عن الآراء المُبْهَمة عن التكريس. إن المكان الأول الذي فيه يَظهر التكريس هو في الطريقة التي يحيا ويتصرف بها المؤمن في جسد المسيح. إذا أردت أن تُظهر امتنانك لله من أجل مراحمة؛ عليك أن تبدأ من هنا. عليك أن تخضع لما قد أعلنه الله بشأن الكنيسة. إن أولئك الذين يظهرون أنهم مسيحيون أقوياء؛ لكنهم لا يطيعون الرب في هذا المجال، هم ليسوا مسيحيين أقوياء على الإطلاق. هؤلاء لم يضعوا أنفسهم تحت تصرف الله، في المجال الذي يتوقع الله منهم فيه الطاعة أولاً. إذا لم تُوضع الأمور الأولى أولاً؛ فكيف يمكن أن يكون أي شيء آخر صحيحاً؟.

عدد ٣: "بداية يجب أن تكون لديكم نظرة واقعية للمواهب التي وهبكم الرب إياها. هذه هي النقطة التي أريد - كرسول للمسيح - أن أركز عليها أولاً، والتي أريد أن أضعها في بؤرة اهتمام كل واحد منكم. إنكم تُجربون بأن تظنوا في أنفسكم أكثر مما يجب. قاوموا هذا الإغراء، وعوضاً عن ذلك؛ اطلبوا أن تكونوا معتدلين وواقعيين ومترنين في تقدير مواهبكم. ترى ما هي الوسائل التي أهلكم بها الله، لتكونوا نافعين لجسد المسيح؟"

عدد ٤، ٥: "إن كل كنيسة من كنائس المسيح مثل جسد الإنسان. المسيح هو الرأس، وكل فرد في الكنيسة هو عضو في الجسد، وهو مرتبط ليس فقط بالرأس، بل أيضًا بكل الأعضاء الأخرى. توجد أعضاء كثيرة مختلفة، كل منها له وظيفة مختلفة، ومع ذلك يوجد جسد واحد فقط. النموذج هنا هو تعددية في وحدة. كل واحد منا لديه مواهبه لكن ليس لدينا جميعًا نفس المواهب. توجد اختلافات حقيقية وهامة بيننا في هذا المجال؛ ولكن هذا لا يهدد وحدة الجسد بأي حال من الأحوال. كل عضو يعمل بطريقة مختلفة؛ ومع ذلك فكل عضو له نفس الهدف، ألا وهو خير الجسد ككل."

عدد ٦: "تختلف المواهب حسب النعمة التي تعطي هذه المواهب، ومع ذلك فإنها نفس النعمة التي تعطي كل المواهب."

هذا يعني بالطبع أن كل المواهب نافعة، وكلها هامة، وكلها ضرورية. لا يوجد شخص في كنيسة المسيح، يمكنه أن يقول: "ليس هناك شيء يمكن أن أعمله" أو: "أنا لا أستطيع أن أفعل شيئًا". مثل هذا الكلام يناقض تمامًا ما قالته كلمة الله بأن كل عضو له مواهب معينة. وبولس الرسول لا يقيم وزناً لمثل هذه الاعتراضات، التي - وللأسف - كثيرًا ما نسمعها اليوم. بعد أن شجعنا الرسول على أن نكتشف مواهبنا، يتقدم خطوة تالية إذ يحثنا أن نستخدمها.

عدد ٦ب: "هل لديك موهبة إعلان فكر الله للشعب؟ إذا فعل ذلك، لا أكثر ولا أقل. تصرف بمقدار ما لديك من إيمان."

عدد ٧: "إذا كان لديك موهبة خدمة شعب الكنيسة، استمر في هذه الخدمة. إذا كانت موهبتك تعليم شعب الله، فعليك أن تستمر في هذه المهمة."

عدد ٨: "ربما تكون موهوبًا بصفة خاصة في مخاطبة ضمائر الناس، وحثهم على القيام بواجباتهم. ضع نفسك للقيام بهذا الدور. إذا كان العطاء هو الجانب القوي لديك؛ فافعل ذلك بسخاء دون ضجّة. إذا كانت موهبتك هي

التدبير؛ فاحرص أن تقوم بها بكل اجتهاد ودون تقصير، وإذا كانت موهبتك هي مساعدة أولئك الذين يجتازون محنة؛ فافعل ذلك بروح مسرور.

بكلمات آخر، فإن بولس الرسول يطلب من كل واحد من قرائه أن يكتشف ما يُجيّده، وأن يسأل نفسه: "بأي طريقة يمكن أن ينفع الجماعة، التي هي جسد المسيح مخلصه؟" إنه لا يتوقع أن يمتلك الآخرون نفس الموهبة التي لديه، ولا شيء - مهما كان - يمكن أن يمنعه من استخدام الموهبة التي لديه. على كل واحد أن يفعل كل ما يستطيع أن يعمل لفائدة الجسد الذي ينتمي إليه، والمكوّن من جماعة المؤمنين؛ وهكذا ينبغي أن يبدأ المؤمن، عندما يريد أن يشكر الرب على مراحمه له. إنه يقدم نفسه بلا قيد من أجل حياة وخدمة جسد المسيح، الذي هو نفسه جزء منه، وألا يثنيه شيء عن التزامه بالكنيسة المحلية المكوّنة من الرجال والنساء الذين خلصوا بواسطة إنجيل المسيح كما خلّص هو أيضا.

إرادة الله لك كشخص: النمو في النعمة

من ناحية أخرى، لا يكفي أن تعمل المفروض أن تعمله في الكنيسة؛ فالمؤمن الشاكر يجب أن يكون شخصاً له صفات خاصة؛ ولهذا السبب يُتبع بولس الرسول ذلك، بسلسلة من الجمل القصيرة في موضوع السلوك الشخصي، فالشخص المكرس هو الشخص الذي يستخدم مواهبه في الكنيسة، ويسعى في نفس الوقت من أجل نمو النعمة الروحية في حياته الشخصية. ليس أمامه أن يختار واحداً من الاثنين؛ لكنه يعملهما معاً.

دعونا نعيد صياغة هذه السلسلة من الوصايا القصيرة؛ وسوف نكتشف بسرعة أنه لا أحد منا عنده أي سبب يدعو إلى تهنئة الذات. وأرجو أننا نتأثر من ذلك ونصرخ إلى الله طالبين منه أن يكون سلوكنا أكثر إرضاءً له في المستقبل عما كان عليه في الماضي.

عدد ٩: "لتكن محبتكم للآخرين محبة حقيقية، وليست مظهرية أو مصطنعة، ولترفضوا كل ما هو شر - أو مشكوك فيه أن يكون شراً - رفضاً تاماً، ولا تخلجوا من محبتكم للخير والطهارة وكل ما هو حق".

عدد ١٠: "لتكن الروح التي تسود في الكنيسة، هي روح الأسرة الواحدة من مشاعر ومودة. هذا الأمر لا يمكن أن يتحقق إلا عندما نفكر في الآخرين أكثر مما نفكر في أنفسنا".

عدد ١١: "ابتعدوا تماماً عن الكسل وإضاعة الوقت والملل. بدلاً من ذلك كونوا حازين في الروح، وامتلئوا بالغيرة الروحية، وكونوا مكرسين أنفسكم لخدمة الرب".

عدد ١٢: "فكروا كثيراً في الميراث العظيم الذي ينتظركم، وافرحوا، وفي نفس الوقت احتملوا الضيق التي تجتازون فيها بصبر. ولا تفقدوا اتصالكم بالسماء ولو للحظة واحدة".

عدد ١٣: "إن الكثير من إخوتكم المؤمنين من هم في احتياج، سدّدوا احتياجاتهم بحسب طاقتكم. ابحثوا عن المناسبات التي تستخدمون فيها بيوّتكم، في استضافة الغرباء بصفة مستمرة".

عدد ١٤: "الاضطهاد هو جزء من الحياة المسيحية؛ لكن عليكم بالحدّز في كيفية رد فعلكم عليه، لئلا تخطئوا؛ ومع ذلك باركوا أولئك الذين يقاومونكم. لا تردوا على ذمهم بكلمات الذم؛ بل بكلمات المحبة".

عدد ١٥: "لا تكن منعزلاً عن أفراح الناس وأحزانهم، لكن شاركهم فيها مشاركة تامة. تعامل مع أفراحهم وأحزانهم كما لو كانت أفراحك أنت وأحزانك أنت، فالواقع هو أننا أعضاء بعضنا لبعض".

عدد ١٦: "حافظوا على وحدانية الكنيسة، وتجنبوا كل أشكال المحاباة والتمييز، وتجنبوا على وجه الخصوص أن تبالغوا في تقديركم لنفوسكم. ولكي تتجنبوا

هذا اتخذوا من الناس العاديين أصدقاء حميمين لكم. لا تصلوا إلى النقطة التي تعتقدون عندها أنكم أفضل جداً من بعض الناس (أم ٣: ٧).

عدد ١٧: "لا تنتقموا عندما يُخطئ إليكم الآخرون، أيا كان مَنْ ارتكب الخطأ. لتكن حياتكم خالية من كل نقد مبرر."

عدد ١٨: "اعملوا كل ما في وسعكم لتعيشوا في سلام مع الآخرين". بالطبع، ليس من الممكن أن نحيا دائماً في سلام مع الآخرين، في عالم شرير؛ وهذا يفسر لماذا يستخدم الرسول هذه الكلمات للتعبير عن توجيهاته. على سبيل المثال، عندما يتعرض الحق للضياع؛ يمكن للمؤمن أن يقوم بدور يجعله غير محبوب أو مكروهاً. في مثل هذه الحالات يكون من المستحيل على المؤمن أن يحيا في سلام مع الآخرين، ومع ذلك فإن الرسول بولس يوضح أن المؤمن لا يجب أن يكون لديه ميل للنزاع. إنه يفعل كل ما في وسعه ليحيا في سلام مع الآخرين.

عدد ١٩: "لا تنتقموا لأنفسكم، فتسلبوا ما هو حق الله. أفسحوا المجال لله ليعمل، فإنه حق الله - لا حكم - أن يجازي بالعدل، وقد وعد أنه سيفعل ذلك (تث ٣٢: ٣٥)."

عدد ٢٠، ٢١: "في الحقيقة، يجب أن تجازي الشر، بكل ما يمكن تخيله من إحسان. من الأفضل أن يتألم الإنسان بما يمكن أن يُخلجه في الوقت الحاضر، عن أن يعاني من عقاب الجحيم بعد ذلك. إدفع الذين يقاومونك للخضوع، اغلبهم، ليس بالانتقام، لكن باللطف الحقيقي. لا تسمح للشر أن ينتصر عليك، كما يمكن أن يحدث إذا تبذرت وسائل الانتقام. اغلب الشر بالخير."

عند هذه النقطة يمكن أن تتبلور في أذهاننا صورة المؤمن الشاكر، التي قد رسمها لنا الرسول بولس في هذا الأصحاح. إنه الشخص الذي ليس له هدف سوى أن يُرضي مخلصه الرحيم. إنه الشخص الذي وضع نفسه وكل ما له

تحت تصرف هذا المخلص. إنه الشخص الذي ينادي دائما: "لتكن مشيئتك" مهما كانت نتيجة هذه المشيئة.

وعندما يطيع المؤمن مشيئة الله المُعلنة، فإنه يدخل في اتحاد قوي مع الجسد المكون من المؤمنين، والذي يسعى إلى خدمته وفائدته بكل طريقة حسب استطاعته. إنه يسعى أيضًا ليطيع - داخليًا وخارجيًا - تعاليم ووصايا الله فيما يتعلق بسلوكه وحياته الشخصية؛ لذلك، فهو مختلف تمامًا عن الرجال والنساء الذين من حوله. لكن هذا لا يعني أنه منعزل؛ بل بالأحرى يحيا حياة نقية غير أنانية مليئة بالنشاط والحركة والوداعة. إنه ينظر إلى أعلى وفي الوقت ذاته يراعي الآخرين.

إن التعاليم في هذا الأصحاح هي "ترموتر"، يمكن بواسطته قياس درجة حرارتنا الروحية. لقد تعلّمنا كيف يجب أن يعيش المؤمن الشاكر كما هو متوقع. ويمكن أن يُقاس مدى شكرنا من خلال رؤيتنا لمدى الجدية التي نبذلها محاولين أن نحيا حسب ما قد قرأناه.

اقرأ رومية ١٣: ١ - ٧

المسيحي والدولة

لقد أخبرنا الرسول بولس في الأصحاح السابق عن كيفية تجاوبنا مع محبة الله؛ فعلينا أن نعتبر عن امتناننا بالتكريس، أن نقدم أنفسنا ارضاءً لله. وهذا أمر مستحيل، إذا لم نعرف ماذا يريد الله، لذلك يخبرنا بولس الرسول بما يتوقعه الله منا كأشخاص وكنيسة. ولكن هذا لا يفي بكل ما يطلبه الله منا؛ ف بجانب كوننا أشخاص، تتألف منا عضوية الكنائس؛ فإننا أيضًا مواطنون في الدولة الأرضية، وعلينا في هذا المجال أن نسلك أيضًا بطريقة متميزة. ويواصل الرسول بولس رسالته فيخبرنا بالطريقة التي يجب أن نسلك بها كمواطنين في الدولة.

الله هو معطي السلطة

يستهل الرسول هذا الأصحاح بأن يشرح في عدد واحد أن الدولة تستحق شرعًا خضوع كل شخص تحت حكمها. كيف يكون هذا؟ الإجابة هي أن السلطان الذي لها هو من الله. لا يوجد سلطان مطلق في هذا الكون إلا سلطان الله، ولا يمكن ممارسة أي سلطان في أي مكان بمعزل عن الله. لقد تأسست السلطات الحاكمة الموجودة بواسطة الله. من السهل أن نصدق هذا الكلام عن السلطات التي نحب أن تكون موجودة؛ لكن بولس الرسول يصِرُّ على أن هذا ينطبق على السلطات الموجودة بالفعل، فالحكومة المدنية هي تدبير إلهي.

عند نقطة البداية هذه، يجب أن نفكر كمسيحيين في كيفية سلوكنا كمواطنين في الدولة. الدولة ليست سلطة مطلقة؛ لكنها مفوضة، والذي يعطي الدولة سلطتها هو الله نفسه؛ لذلك فمن غير المعقول أن نعصاها. وهذه النقطة سوف يتوسع فيها قليلا.

لكن هذا التعليم يتضمن بعض المفاهيم الهامة. على سبيل المثال، عندما تأمر الدولة بشيء لا يرضي الله، الذي أعطاها سلطانها؛ فإن الدولة حينئذ تتجاوز حدودها، وتأمر بأكثر مما فوضت بأن تعمله. من الواضح أن أوامر الدولة في هذه الحالة لا يجب أن تُطاع، والواقع أن مقاومة هذه الأوامر الشريرة واجب مسيحي.

إن علينا أن نعطي ما لقيصر لقيصر، وما لله لله (مر ١٢: ١٧). لكن عندما يتجاوز قيصر الحدود؛ فيجب أن نطيع الله أكثر من الناس (أع ٥: ٢٩). هذا هو ما اضطر بطرس ويوحنا أن يفعلاه في أع ٤: ١٩، وفعله الكثيرون من قبلهم (انظر دانيال ٣، ٦)، وفعله آخرون كثيرون خلال تاريخ الكنيسة. لقد مرت أوقات اغتصبت فيها السلطات الحاكمة سلطاناً، أكثر من الذي قد أعطي لها من الله. لقد طالبوا بالسلطان المطلق على نفوس الناس، وطالبوا بما يتعارض مع ناموس الله، وقد حاولوا أحياناً أن يُديروا شئون كنيسة المسيح. في مثل هذه الأحوال، كان آباؤنا على حق في عدم طاعتهم، ونحن أيضاً علينا أن نفعل مثلهم، إذا تعرضنا لمثل هذه الظروف في عصرنا هذا.

وبولس الرسول هنا لا يعالج مثل هذه الأمور؛ ولكنها تظهر من خلال ما يقوله، ففي الوقت الذي كان يكتب فيه هذه الكلمات؛ كانت الدولة مفيدة للغاية لأولئك الذين ينادون بالإنجيل، ولم يكن الاضطهاد المنظم ضد المسيحيين من قبل الدولة قد بدأ بعد، لذلك فليس غريباً ألا يتناول بولس الرسول المواقف التي يجب فيها مقاومة الدولة. لكن تعليمه يتضمن مبادئ معينة، وتوجد أمثلة عديدة عليها في مواضع أخرى من الكتاب المقدس. وقبل أن تكتمل كتابات

العهد الجديد، اختار العديد من المؤمنين أن يستشهدوا، عن أن يخضعوا لأوامر الدولة المحرمة.

إن وجهة نظر بولس الرسول هنا هي أن الدولة تدبير إلهي، لذلك يجب أن نطيعها في كل الظروف العادية. وهذا هو ما فعله المسيحيون الأوائل؛ لذا عندما اعترضوا على الأوامر المحرمة للدولة؛ كانت معارضتهم لها تأثيراً عظيماً.

إن ممارسة الحكومات سلطانها ليس بسبب موافقة المحكومين، ولا بسبب إرادة الأغلبية، ولا بسبب وجود بعض الاتفاقيات الاجتماعية. لو كان الأمر كذلك؛ فإن مقاومتها لا تكون إلا مقاومة لسلطة بشرية فحسب.

عدد ٢: "كلا - إن الحكومات تمارس سلطتها بواسطة سلطان إلهي، ومقاومة الأوامر المشروعة للحكومة هي مقاومة لله، والذين يفعلون ذلك سوف يُدانون ويُحاسَبون على أعمالهم، وستكون دينونتهم بحق."

هذا لا يعني أنني يجب أن أفعل كل ما يأمرني به واحد من الناس لا لشيء إلا لأنه هو الحاكم أو موظف حكومي. لكن عندما يمارس الشخص وظيفته كحاكم؛ فإنه حينئذ يُطاع؛ لأنه يكون في هذه الحالة خادماً للتدبير الإلهي. نفس الشيء ينطبق على أعضاء الحكومة والوزراء وموظفي الضرائب والشرطة وغيرهم. إن سلطتهم ليست فيهم كأفراد، لكنهم عندما يعملون كوزراء في حكومة مدنية، ويطلبون طلبات مشروعة؛ فإني ملزم بأن أطيعهم في هذه، وليس في أي حالة أخرى.

يجب أن يكون التفويض المُعطى لأولئك المتسلطين واضحاً لنا تماماً. عندما يضعون حدوداً لسرعة السيارات أو يطالبون بالضرائب أو يستنُون القوانين؛ فإنهم بهذا يعملون داخل حدود التفويض المُعطى لهم، ونحن مُلزمون بطاعتهم. لكن إذا أمر هؤلاء بما حرّمه الله في كلمته؛ فلسنا ملزمين بطاعتهم.

إننا لا نستطيع أن نطيع السلطة المفوضة عندما يُصدر صاحب السلطان المطلق (الله) أمرًا يخالف مطالبها.

أما في المطالب المشروعة؛ فإن الدولة تُطاع طاعتنا لله. عندما تتجاوز حدود السرعة التي تسمح بها القوانين، أو تملأ إقرارك الضريبي متأخرًا أو بدون دقة، وعندما تلقي بالفضلات في مكان عام، وعندما تمنع ابنك من المدرسة دون عذر مقبول، وعندما تعبر الطريق من المكان الممنوع، وعندما تنتقل بالمواصلات العامة دون أن تدفع الأجرة الكاملة؛ فإنك بذلك تقاوم الله، والمسيحي يجب أن يكون متميزًا حتى في هذه الأمور. إن النصائح في الأصحاح الثاني عشر (١٢: ١-٢) تفقد معناها، إذا لم نتممها هكذا عمليًا. ولا يمكن أن نبرر مشابهة تصرفاتنا لقواعد سلوك المجتمع كله لمجرد أننا إذا لم نفعل ذلك نصبح محل سخرية ويستخفوا بنا. إن شكر الله من أجل مراحمة يعني أن نحيا الحياة التي ترضيه، وهذا معناه أن نقدم طاعتنا الكاملة لأولئك الذين وضعهم الله علينا.

السلطة لخير المحكومين

عدد ٣: "الحكومة المدنية والقانون المدني والنظام، كلها أمور حسنة. إنها لا تُرهب أولئك الذين يصنعون الصلاح، بل الذين يفعلون الشر. هل تريد أن تحيا دون خوف من السلطات؟ إذن افعل الصلاح، وسوف تلقى منهم كل مديح واستحسان."

بهذا التعبير يُوضح الرسول بولس أن السلطات معنية بالسلوك والأعمال، وليس بأي شيء آخر. إنهم - مثل الضمير - مُزودون بنعمة الله العامة؛ ليقاوموا الأعمال الشريرة. والناس الذين يفعلون الشر لابد وأن يخافوا من السلطات، أما أولئك الذين يفعلون الصلاح؛ فلن يجدوا في الحكومة المدنية ما يضايقهم. فإذا وُجد أناسٌ أمناء خائفون من السلطات، فهذا معناه أن تلك السلطات قد تجاوزت التفويض الإلهي المُعطى لها.

عدد ٤: "نعم، الحكومة المدنية هي عطية الله لك من أجل خيرك. إنها وجدت لخير الناس. إنها ليست لخير الحكام، بل لخير المحكومين. عندما تحكم الحكومة من أجل منفعة شعبها، وإرهاب فاعلي الشر، وامتداح الذين يعيشون بالصلاح؛ فإنها بذلك تتم التفويض الإلهي لها، لكن عندما يتكرر تجاهلها للتفويض المَعطى لها من الله، فإننا لسنا مُلزمين بطاعتها. وفي هذه الحالة يكون لدى المحكومين الحق في علاج الشر، على ألا يفعلوا هذا عن طريق ارتكاب شر أعظم وهو الفوضى، وما يصاحبها من خوف وعدم استقرار. لكن إذا كان أقل الشرّين هو ثورة تهدف إلى تبديل الحكومة الحاضرة بحكومة أخرى أكثر طاعة للتفويض الإلهي، فعلى المؤمن أن يعتبر نفسه بريئاً من الناحية الكتابية، إذا فجّر مثل هذه الثورة أو اشترك فيها."

لكن دعونا نرجع إلى النقطة الأساسية التي يناقشها بولس الرسول؛ أن الحكومة هي لخير المحكومين.

عدد ٤: "إذا كان الأمر هكذا، فإذا فعلت الشر، فلك الحق أن تخاف، لأن الله قد وضع السيف والسلطان في يد الدولة، والدولة لا تحمل هذا السيف عبثاً. وبكلمات أخرى، فإن الدولة لا تحمل السيف شكلياً فقط؛ لكن الله قد أعطاها السلطان لاستخدام هذه القوة. لقد عَيّن الله السلطات الحاكمة لتكون أدواته لعقاب الناس على جرائمهم، وتنفيذ غضبه في عاملي الشر."

يؤكد بولس الرسول بوضوح أن الدولة يمكن أن تقرر وتنفذ عقوبات عادلة على من تثبت إدانتهم حتى عقوبة الإعدام (انظر تك ٩: ٦ العهد مع نوح عُمل مع كل الجنس البشري، ولا يزال ساريًا حتى الآن). هذا الأمر بعيد تمامًا عن سَم الحركة الإنسانية، التي – مع نظرتها المتدنية لقدسية الحياة – قد نجحت في حشد تعاطف المجتمع مع المجرم، وحولته عن الضحية. بهذه الوسائل استطاعت أن تحقق رغبتها في إلغاء عقوبة الإعدام. وفي المناسبات التي تُناقش فيه هذه الحركة هذا الموضوع، تتناولها من حيث أن الإعدام رادع.

هذا كلام غير أخلاقي، فمن وجهة نظرهم أنه من غير المعقول أن يفقد شخص حياته بسبب جرمه، لا شيء إلا أن يكون عائقاً لمن يعتزم ارتكاب نفس الجرم. إن الكتاب المقدس لم يتحدث عن عقوبة الإعدام بمثل هذه الطريقة، لكنه نظر للإعدام كعقاب عادل تطالب به القدسية العظمى للحياة الإنسانية. إن الحياة الإنسانية مقدسة لدرجة أن تدبير القتل العمد، هو أمر شائن جداً، ولا شيء سوى العقوبة العظمى - الإعدام - يمكن أن يكون الجزاء المناسب لمثل هذا الجرم. ويؤكد بولس الرسول أن الدولة تحمل سيف الحق - بواسطة السلطان الإلهي - ولذلك فإن لها كلا من الحق والواجب أن تنزل العقوبة العظمى على المجرمين الذين ارتكبوا جرائم كبرى.

وقوة السيف الذي في يد الدولة، تعني أيضاً أن الدولة لها الحق والسلطان في أن تشن الحرب في ظروف معينة. إنها قد تفعل ذلك ليس من أجل مصلحتها الذاتية؛ لأن هذا يناقض روح التفويض الإلهي، الذي يفرض عليها ألا تأخذ في الاعتبار مصلحة الحكام، عندما تتخذ قراراتها؛ لكنها يمكن أن تفعل هذا - شن الحرب - إذا كان ذلك يُدْعَم العدالة، عندما يكون في ذلك مكافأة للصالحين، وعقاباً لفاعلي الشر. ومن غير المنطقي أن الدولة يمكن أن تمارس السلطة داخل حدودها الخاصة، ولا يمكنها في الوقت نفسه حماية تلك الحدود. وبالمثل لا يُعقل أن يكون للدولة سلطان إقامة العدالة داخل مجالها الخاص؛ ولكن ليس لها سلطان لمقاومة المعتدين الذين يأتون بالظلم من الخارج.

هذا التعليم متناغم تماماً مع تعليم ربنا يسوع المسيح، وعبارته المشهورة: "أعطوا ما لقيصر لقيصر". لقد أكد المسيح ذلك، خلال مناقشة تتعلق بشرعية دفع الضرائب، والرب يسوع كان يعرف تماماً أن جزءاً من الضرائب التي تؤخذ سوف يستخدم في تدعيم جيش قيصر؛ لكنه رفض أن يعتبر هذا سبباً لعدم دفع الضرائب. ولم يطلب من جندي أن يستقيل من الجيش، ولم يضع الاحتلال في سلة واحدة مع الزانية، التي قال لها أن لا

تخطئ أيضًا. والواقع أن رسله استخدموا صورة الجندي مرات كثيرة لتوصيل مبادئ هامة تتعلق بالحياة المسيحية؛ ولم يكن ممكناً أن يفعلوا ذلك إذا كانت مهنة الجندية مهنة شريرة. وهكذا، وجد العديد من الجنود الأتقياء على صفحات كل من العهدين القديم والجديد، ما يفيد بأن وضعهم في الجندية لم يكن عائقاً في طريق تقدمهم الروحي. إن دعوة معارضة الحرب لا تجد ما يبررها في كلمة الله؛ فالعمل في القوات المسلحة هو واجب مشرف للرجل المسيحي. وللأسف فإن الكثيرين من ذوي الميادين الروحية المطلوبة لمقاومة تجارب الحياة العسكرية، لا ينظرون لهذه المهنة نظرة جادة.

وهكذا فإننا نرى أن الدولة معينة من الله، وقد أُعطيت مهمة واضحة. إنها تستمد سلطانها من الله، ولا تحمل السيف عبثاً، وعندما تمارس هذا السلطان بعدل يجب أن ينظر إليها على أنها أداة لغضب الله. وهناك أشياء تُفوّض بها الدولة لكنها تحرم على الفرد (انظر ثانية ١٢: ١٨ - ٢١).

لكي تُطاع الدولة

عدد ٥: "وهكذا، فأنتم المؤمنون يجب أن تطيعوا السلطات المدنية، وهذه الطاعة لا ترتبط بالخوف مما يمكن أن يحدث لكم إذا لم تطيعوا، ولكن لأن الضمير يتطلب ذلك."

معنى هذا أن المواطن المسيحي يجب أن يدفع الضرائب التي تطلبها الدولة منه. هذه النقطة نتابعها في عدد ٦. إن الهدف من الضرائب ليس إرضاء أطماع شخص ما؛ ولكن لتوفير الموارد المالية لتدعيم أمر إلهي. ويجب ألا يُنظر إلى جامعي الضرائب كطغاة، ولكن كأشخاص ضروريين لإتمام أمر إلهي على نحو لائق. وبهذا المعنى هم خدام الله، وعملهم جدير بالاحترام التام. إن الأموال التي يجمعونها ليست أموالهم الخاصة، ولكنها أموال الله، وهم مسئولون أمام الله عن جمعها بضمير وبعدل. وبنفس الطريقة، فإن الدولة مسئولة أمام الله عن كيفية استخدام هذه الأموال. الأموال العامة هي أموال

الله، وعندما نستخدمها لأغراض شخصية، أو لإرضاء رغبات خاصة، أو لدعم الظلم والشر، أو بأي طريقة لا تتفق مع إرادة الله للدولة؛ فإن هذا يعتبر سلباً للرب، وهذه خطية يشجبها الكتاب المقدس ويجب إدانتها.

إن واجبنا حيال الدولة هو الطاعة والخضوع، وواجبنا حيال جامعي الضرائب، هو تقديم ما يطلبونه من مال. ويختلف الناس فيما يتطلبون من حقوق بحسب السلطة الخاصة التي قد فوضهم الله للقيام بها. وهناك أشياء من حقهم بفضل مناصبهم.

عدد ٧: "لذلك أعطوا الجميع حقوقهم. البعض لهم سلطان أن يطلبوا ضرائب، وآخرون يمكن أن يطلبوا بمطالب مالية أخرى، وآخرون لهم الحق في أن نقدم لهم الاحترام والإكرام. كل مَنْ له حق؛ علينا أن نعطيهِ حقه".

لا شك أن بولس الرسول يقصد، أننا يجب أن نحترم كل الموظفين الرسميين كأشخاص؛ فمعظمهم من غير المؤمنين، والعديد منهم غير أتقياء في كلامهم وحياتهم، ولكن بسبب مناصبهم هم خدام لله في المجالات التي يخدمون فيها. علينا أن ندرك هذا الأمر، وأن نُؤدي ما لهم الحق في أن يطلبونه. وعندما لا ينجزون التفويض الإلهي المُعطى لهم، أو عندما يتخذون لأنفسهم سلطاناً غير مشروع؛ وجب علينا حينئذ أن نسعى لإبعادهم، بشرط أن يتم ذلك من خلال الوسائل المشروعة.

وهكذا نحن نواصل تعلّمنا عن كيفية ظهور حياة التكريس بسهولة ووضوح. لا شيء يمكن للمؤمن أن يعمل به بنفس الطريقة التي يعمل بها غير المؤمن. إن المؤمن يسعى لكي يحيا لمجد الله؛ بينما يحيا غير المؤمن لنفسه. إن التكريس يظهر كشيء مفيد، وليس كشيء غريب. إن المؤمن الشاكر هو مواطن يحترم القانون ويتمسك به ويطيعه. إنه في مثل هذه المواقف يمكن أن نرى الحياة المقدسة كما ينبغي أن تُرى، وليس بإظهار جَوٍّ من الروحانية.

اقرأ رومية ١٣ : ٨ - ١٤

تصرف المسيحي في المجتمع

لقد أخبرنا الرسول بولس، بأن نؤدي لكل الناس ما هو حق لهم، وهذه هي الفكرة التي تربط بين ما سبق وما سيأتي. إننا لا يجب أن نكون في وضع المدنيين لأحد بشيء. كل ديوننا يجب أن تُسدّد. ويتقدم بولس الرسول من هذه الفكرة، لكي يخبرنا كيف يسلك المؤمنون في المجتمع بصفة عامة.

على المسيحي أن يدرك أنه ليس مجرد عضو في الكنيسة، وليس مجرد فرد، أو مجرد مواطن، إنه جزء من المجتمع المحلي، ومن المجتمع ككل. إنه يعيش في شارع معين، محاط بالأصدقاء والجيران. إنه يعمل كل يوم في شركة مع زملائه. إنه جزء من وطنه ومن قارته، وفي كل علاقاته يجب أن يكون سلوكه متميزًا، بفضل ذهنه الذي تجدد، فمهما كانت الظروف المحيطة به؛ عليه أن يكون مكرسًا لله كذبيحة حية. لكن ماذا يعني هذا الكلام عمليًا؟

عش مُنصفًا

عدد ٨: "العيش بإنصاف يعني ألا تكون مدينًا لأحد بشيء. إننا مُجبرون بألا نكون مدينين للدولة بما هو حق لها، وهذا ينطبق أيضًا على المجتمع ككل. لا يجب أن يكون على المؤمن ديون لم يدفعها. عليه أن يؤدي للجميع حقوقهم، سواء كانوا من أصحاب السلطة أو من العامة. عليه أن يحيا الأمانة الواضحة."

من السهل أن ندرك ما يقصده بولس الرسول؛ لكن ليس من السهل دائمًا أن نفهم نظرة الله للديون غير المسدّدة. دعنا نتأمل في مز ٣٧ : ٢١، وقبل أن

نواصل فحص تعليم بولس الرسول، دعونا نتوقف وندع التعليم يفحصنا. هل توجد عليّ ديون لم أوفها؟ هل هناك شيء يخص الآخرين لم أردّه؟ إنَّ فُهمنا الجيد لهذا التعليم سوف يتضح في كيفية تحقيقه بشكل عملي.

عدد ٨: "لا يجب أن يكون عليك شيء لجارك، إلا أن تحبه. عليك أن تحبه حبًا حقيقيًا، والناموس الذي يتحدث عن واجبك نحو جارك؛ لن يطلب منك أكثر من ذلك."

عدد ٩: "هناك بعض النواميس المقتبسة من ناموس الله، ولكي تطيع هذه النواميس؛ عليك أن تحب الآخرين. بمعنى آخر، فكل هذه النواميس يمكن أن تُلخّص في تعبير: المحبة الحقيقية لقريبك."

عند هذه النقطة يتعارض تعليم بولس الرسول مع الكثير من التعاليم الموجودة اليوم. من الواضح أن الرسول بولس يعتبر أن القانون الأخلاقي مُلزمٌ للمؤمن. صحيح أنه لا يمكن لأحد أن يخلّص بمقتضى هذا الناموس، كما سبق أن عرفنا في هذه الرسالة، لكن الحق هو الحق وحقيقة أننا خلصنا بواسطة نعمة الله، لا يمكن أن تغيّر هذا.

ولا شك أن بولس الرسول يعلم بأن الناموس والمحبة ليسا نقيضين. كيف يمكن أن يكونا هكذا؟ لقد لخص ربنا يسوع المسيح كل الناموس بتعبيرات المحبة (مت ٢٢: ٣٧ - ٤٠، مر ١٢: ٢٨ - ٣٤). مع ذلك فهناك مَنْ يقولون: "إذا كان لك محبة، فإنك لا تحتاج إلى قوانين تحدد لك ماذا تفعل"، وآخرون يقولون: "القوانين تلغي التلقائية وتختزل سلوكنا إلى مجرد واجب بارد وتمسك بالحرفية، الأمر الذي هو ضد المحبة". لكن الرسول بولس يعلن بالوحي أن الطريق الوحيد لأن تحب جارك كما ينبغي، وأن تُظهر له هذه المحبة، هو أن تطيع الشرائع التي أعطاها الله.

لماذا أمتنع عن الزنا؟ إذا كنت أحب قريبي، فلن أفكر أن أسرق زوجته أو ابنته، وإذا كنت أحب زوجتي، فلا يمكن أن أخونها، أو أسبب لها حزنًا ما.

نفس الشيء يمكن أن يقال عن كل الشرائع الأخرى التي يقتبسها بولس الرسول؛ فالمحبة هي أن أطلب أعظم خير ممكن لقريبي، حتى عندما يكلفني هذا أكبر تكلفه. وحيثما وجدت هذه المحبة، فمن المحتم أن تمنعني من القتل والسرقة واشتهاء ما لقريبي. إذا كانت محبتي حقيقية، سينتج عنها أفعالٌ صحيحة. سوف أعامل الآخرين بما أحب أن يعاملونني. إنَّ حفظ شريعة الله هو أكمل إظهار للمحبة.

عش مُحَبًّا

عدد ١٠: "المحبة لا تُسيء إلى القريب؛ ولهذا فالمحبة هي حفظ وتكميل الناموس. عندما تُصَوَّب رصاصة نحو الهدف، يجب أن يكون بها مادة متفجرة وماسورة لتوجَّهها. المادة المتفجرة وحدها قد تكون خطيرة والماسورة وحدها قد تكون عديمة الجدوى. إن الهدف الذي أسعى إليه في المجتمع هو ألا أسيء إلى أحد من الذين حولي. المحبة تدفع الرصاصة، وناموس الله يوجهها. لا شيء يصلح منفصلاً عن الآخر؛ لكن هدفي يتحقق عندما يكون لديَّ الاثنان معاً (الناموس والمحبة). الناموس يحتاج إلى أن يكتمل بالمحبة، والمحبة تحتاج أن تتوجَّه بالناموس."

إنه لأمر حيوي أن نفهم جيداً ما يقوله الرسول بولس عن تصرف المسيحي في المجتمع. لا يجب أن يحجب المؤمن شيئاً عن أي شخص يستحق هذا الشيء. يجب أن يكون كل اهتمامه هو خير قريبه؛ بدلاً من حياة الأنانية؛ أن يرغب بصدق أن يتصرف نحو قريبه التصرف الصحيح في كل الأوقات. لكن عليه ألا يترك لمشاعره الخاصة، أو حتى مشاعر قريبه، أن تحدد له ما هو الأفضل لذلك القريب. إنه لا يشاكل هذا العالم اللاديني؛ لكنه تغير بتجديد ذهنه. إنه ينظر إلى ناموس الله، ليتعلم ما هو مُتوقع منه ليفعله حيال الآخرين المحيطين به. إنه مستمر في طاعة كل ما قد قاله الله، ويفعل ذلك بغيرة ملتهبة.

هذا الطريق من السلوك، يُخلّص المؤمن من أخطار لا تُحصى. إنه لن يُصبح من أتباع الإنجيل الاجتماعي، الذين يهتمون بالقرب للدرجة التي ينسون فيها الله. كما أنه لن يصبح ذلك الشخص الذي يفعل ما يشعر أنه صحيح، دون الرجوع إلى الثوابت، وبالتالي يؤدي إلى تقويض المجتمع بدلا من مساعدته. كما أنه ليس ذلك الشخص الذي تستحوذ على ذهنه رغبات الآخرين الظاهرية، فينسى كل ما يتعلق باحتياجاتهم الروحية. إنه أيضا يتجنب الخطر المضاد، بأن يكون مهتمًا بالأمور الروحية أكثر من اللازم، فتصبح رؤيته للعالم من حوله نظرة غير واقعية.

والمؤمن الثابت، هو الذي له في كلمة الله الحقائق المجيدة الموجودة في الأصحاحات ١ - ١١، وهو الذي يلهج في هذه الكلمة لكي يكتشف كيف يجب أن يسلك. إنه يكتشف ما هو واجبه نحو الله، وما هو واجبه نحو رفقائه. إنه يعيش وقلبه مفتوح لفاديه، ويده مفتوحة لقريبه. وهذا يُوجد الاستقرار في حياته، ولأنه وضع قلبه على الثابت العظيم؛ فلن يتخلى عن واجبه عندما يخيب رفقائه أمله فيهم.

مرة أخرى نرى شيئا من الفوائد في صفات المؤمن؛ فالقداسة الشخصية ليست رعشة، أو رجفة، أو نبضة في القلب، أو إظهار بعض التأثيرات التي لا يمكن وصفها. إن القداسة الشخصية هي حفظ كرامة المرأة، واللفظ الشامل، وحماية رباط الزواج، والتحكم في الانفعال، ورفض العنف والانتقام واحترام ممتلكات الآخرين، والسداد العاجل للديون، والامتناع عن الكذب والنميمة ونشر الشائعات، والشكر على ظروفنا، ورفض حسد الآخرين، وكل الفضائل الأخرى التي يمكن تلخيصها في القوانين الخاصة الموضوعة، وفي ناموس الله بوجه عام.

نُقاس القداسة الشخصية بطهارة الفكر، والحذر، والصدق، والاستقامة. إنها تعني التحرر من الغرور والأنانية، مع قلب متلهف إلى إرضاء الله، تَوَاقٍ لعمل الصلاح لكل من هو على صورة الله. ليس هناك ما هو مثير أو غامض

في الشخص المقدس، كما أنه ليس ضعيفا ولا ضعيف الشخصية. إنه حكيم وقوي وظاهر. كما أنه إن تحاشاك الآخرون، إذ يعتبرونك غريبا، فذلك ليس من علامات التقوى. إن أعظم علامة للتقوى أن تكون موضع ثقة جميع المحيطين بك.

عش مترقبا

إن ناموس الله - الذي يحبه المؤمن - يحركه ليعيش كمسيحي. لكن توجيهات الناموس ليست هي الوحيدة التي تؤثر على فكر المؤمن وسلوكه. إن إله سيناء هو أيضا إله الجلجثة. إن الذي خلّص المؤمن على الصليب؛ سوف يكمل خلاصه في اليوم الأخير. هذه الفكرة لها تأثير حيوي على الطريقة التي يحيا بها المؤمن، ويركز عليها الرسول بولس في الأعداد المتبقية من الأصحاح.

عدد ١١: "يمكن أن يُوصف غير المؤمنين بأنهم النائمون أو السكارى، فكيف يمكن أن تكون أنت كهؤلاء. إنك تعرف الأوقات. أنت تعلم أن الزمان الحاضر هو وقتي، وسوف ينقضي سريعا. إن اكتمال خلاصنا - الذي ذكرته في الأصحاح الثامن - هو الآن أقرب مما كان حين أصبحنا مؤمنين."

عدد ١٢: "لقد تناهى الليل وتقارب النهار، فإذا كان تفكيركم، كتفكير أناس غير مؤمنين، أنكم باقون دائما في الظلام؛ فإنكم ستعملون أعمال الظلمة، لكنكم تعرفون غير ذلك لذلك تنبهوا واستيقظوا. لا تسلكوا بعد مثل غير المؤمنين. استعدوا لقدم الصبح؛ بأن تلبسوا أسلحة النور [انظر أفسس ٦: ١٠ - ٢٠، اتس ٥: ١ - ١١]."

إن لغة الرسول قد تكون صعبة بالنسبة لنا، لكن الصورة التي رسمها لنا، من السهل أن نتخيلها. إنها صورة الليل والسكارى يترنحون عائدون لمنزلهم، يصدر عنهم الكثير من الأعمال المخجلة. إنهم يفعلون الكثير من الأمور اللاأخلاقية في الطابق السفلي، وفي نفس المنزل، يوجد أناس نيام، لا

يريدون أن يفعلوا شيئاً آخر سوى النوم. الجميع سكارى ونيام - يعيشون على وهم أن الليل سوف يستمر طويلاً، بل هم يرجون أن يستمر إلى الأبد.

لكن شخصاً في المنزل يختلف عن أولئك. إنه يعلم أن الصباح سوف يأتي بأسرع مما يمكن أن يتخيله أحد، وفي نفس اللحظة التي يبرز فيها الفجر؛ سوف يأتي الملك. هذا الشخص لا علاقة له بالسكارى المعربين، ولا بالنيام في الفراش. إن ذلك الشخص مستيقظ، استعداداً لمجيء الملك. إنه يرتدي بأسلوب يرتضيه الملك. إنه لا يُشاكل هذا العالم. إن سلوكه مختلف بسبب شيء يعرفه في ذهنه. إنه بتضحيات كبرى يستيقظ ويكون مستعداً على الرغم من أن الجميع يعملون أعمالاً مخجلة تحت ستار الظلام. هذه الصورة التوضيحية من السهل أن نفهمها، ومن السهل أن نفسرها. لكن، ماذا يعني هذا الاختلاف في السلوك من الناحية العملية؟

عدد ١٣: "فلنرفض أن نفعل شيئاً مخجلاً أو مثيراً للريبة، أو شيئاً فيه مكر وخداع. لنحيا حياة الصراحة، حيث نفعل كل ما هو حق ومستقيم تماماً. إن الأيام مظلمة، ولكن دعونا ألا نفعل شيئاً يمكن أن نخجل منه عندما يبرز الفجر بغتة - كما سيحدث عندما يأتي المسيح - ولا يكون هناك ابتذال في السلوك أو الطباع، ولا نجاسة من أي نوع، كما في الحفلات الفاسقة أو الحديث المثير للشهوة، وما إلى ذلك. ولا يجب أن يكون هناك تضارب سواء بالفعل أو في النوايا."

عدد ١٤: "عوضاً عن ذلك البسوا الرب يسوع المسيح، أي كونوا مشابهين له، أو نسخة منه. إنك تتمتع بالاتحاد به، ولذلك فلتحيا وفقاً لذلك وكن مثله. واصل إماتة الجسد (انظر ٨: ١٣). لا تعمل أي تدبير للسيد القديم. اقطع كل شيء يجعل الخطية سهلة أو محتملة. اقضِ على كل شيء يمكن أن يسهّل وقوعك في التجربة، ويصعب مقاومتها."

بإختصار - عش مختلفاً

من الواضح أن كل هذه الأمور تتطلب تضحية، والرسول بولس يختار كلماته بعناية، عندما يدعونا لنكون ذبائح حيّة. لقد نهانا بشكل واضح ومحدد عن مشكلة هذا العالم؛ وحثّنا على أن نتغير عن شكلنا بتجديد أذهاننا. لقد أوضح لنا ما هي إرادة الله لنا في أوضح ما يمكن من ألفاظ. إن استعدادنا في أن نخضع لله، سوف يكون اختباراً لتكريسنا، ومقياساً لقداستنا الشخصية. إذا خضعنا لإرادة الله، فمن المؤكد أننا سنثبت أن إرادة الله صالحة ومرضية وكاملة. بالإضافة إلى ذلك عندما يرى الآخرون أعمالنا الحسنة؛ فإنهم سيمجدون أبانا الذي في السموات (مت ٥ : ١٦).

اقرأ رومية ١٤

اختلاف الضمائر

عندما يحدثنا بولس الرسول عن كيفية سلوك المسيحي في المجتمع، فإنه يقتبس الكثير من الوصايا العشر. والوصايا العشر تعلمنا أن هناك أشياء معينة هي خطأ في ذاتها ولذاتها، ولا يحق لأحد أن يعمل أيًا منها في أي وقت. إنها خطأ دائما، كما أنها خطأ لجميع الناس. هذه الأشياء لا تسبب أي مشكلة بالنسبة للمؤمن، من حيث تقدير ما هو حق وما هو خطأ. كل ما تحرمه كلمة الله سواء بشكل مباشر أو بواسطة مبدأ واضح، لا يجوز عمله. ولا يوجد اختلاف بين المؤمنين في هذا الشأن؛ لأن الكتاب المقدس يعطي توجيهات واضحة.

لكن هناك أشياء عديدة لم تحرمها كلمة الله بصورة محدّدة، وهناك مجالات كاملة لا توجد توجيهات واضحة بشأنها؛ لهذا السبب، فإن بعض المؤمنين - الذين يعرفون الحرية التي لهم في المسيح - يفعلون الكثير من هذه الأمور غير المحرمة، بدون أي تأنيب للضمير. إن الكتاب المقدس يدعو مثل هؤلاء بـ "الأقوياء". أما المؤمنون الآخرون - الذين لهم تصور أقل عن الحرية - فيشعرون أنهم لا يستطيعون فعل هذه الأشياء. إنهم يعتبرون أنه من الخطأ أن يفعلوا مثل هذه الأشياء. ويدعو الكتاب المقدس هؤلاء بـ "الضعفاء".

عندما يرى الأقوياء حيرة الضعفاء؛ فإنهم يقولون لهم ما معناه: "لا تكونوا سذج!" وعندما يرى الضعفاء الأقوياء يفعلون تلك الأمور - التي يعتبرونها خطأ - فإنهم غالبا ما يقولون لهم: "لا تكونوا عالميين".

المؤكد أن هاتين المجموعتين من المؤمنين ليس بينهما اختلاف على القضايا الأخلاقية؛ فالمؤمنون متحدون في هذه القضايا؛ لأن كلمة الله تعطي بشأنها توجيهات واضحة. الاختلافات تظهر في الأمور غير المحرمة، بسبب الاختلاف في الضمير بين المؤمنين. مثلاً يشرب بعض المسيحيين الكحوليات دون أي تأنيب للضمير؛ بينما البعض الآخر يعتبر أنه سيرتكب إثماً إذا شرب. وهناك اختلاف في بعض الأمور كمشاهدة التلفاز، والذهاب إلى السينما والمسرح، أو حضور مباريات كرة القدم أو مجازاة الموضوعة في الملابس، فالأقوياء يحاولون أن يبرهنوا على أنه لا يوجد شيء من هذه الأشياء شر في ذاته، وأن المؤمن حر في أن يتمتع بها، بينما يشعر الضعفاء بالندس وتبكيبت الضمير، إذا اشتركوا في مثل هذه الأمور.

والكنيسة الأولى كان بها اختلافات في الضمائر أيضاً لكن في مجالات مختلفة: مثلاً - اللحوم التي كانت تقدم للأوثان؛ كانت تباع للناس بعد ذلك في السوق. بعض المؤمنين جادلوا بأنه بسبب أن هذه اللحوم كانت جيدة، بل وكانت في بعض الأحيان أفضل من اللحوم الأخرى، فلا مانع من شرائها ولتمتع بها. البعض الآخر لم ينس أن هذه اللحوم كانت ترمز إلى العبادة الوثنية، التي كانوا يعلمون أنها شيطانية. هذا الارتباط الموجود في أذهانهم أزعجهم، وشعروا أنهم لا يمكن أن يأكلوا مثل هذه اللحوم بضمير صالح، واعتبروا أنهم سوف يتنجسون من هذه اللحوم، وبمعنى آخر أنها سوف تربطهم بالطقوس الوثنية التي استخدمت هذه اللحوم فيها. لذلك كان هناك خلاف حاد بين الإخوة والأخوات في المسيح بشأن ما يمكن أن يؤكل وما لا يؤكل.

بنفس الطريقة كانت هناك اختلافات متعلقة بحفظ الأعياد الدينية. كان اليوم الأول من الأسبوع هو يوم الرب، وكان يحفظه كل المؤمنين على حد سواء. "الأقوياء" لم يحفظوا أي أيام أخرى خاصة على الإطلاق، وقد تعاملوا مع يوم السبت - الذي كان الكثيرون يقدسونه - مثل أي يوم آخر، وعملوا

نفس الشيء مع عيد الفصح والأعياد الأخرى؛ لكن "الضعفاء" لم يشعروا بالحرية إلى هذا الحد، ففكرة التعامل مع يوم السبت كأى يوم آخر، سببت للضعفاء مشاكل عميقة. لقد حفظوا السبت من قبل كيوم راحة، لكنهم الآن لا يستطيعون أن يتعاملوا معه مثل أى يوم آخر بضمير نقي. وهكذا كانت هناك اختلافات كبيرة بين المؤمنين الأوائل، من حيث الأيام التي تعتبر خاصة وتلك التي تعتبر عادية.

وفي الأصحاح الرابع عشر، يناقش بولس الرسول قضية اختلاف الضمائر، ويكشف عن السلوك الذي يتوقعه الله من المؤمنين تجاه رفقاءهم المؤمنين الذين لا يتفقون معهم في هذه المجالات. إنه يبدأ الأصحاح بمعالجة مبادئ الحرية المسيحية، ويوجه الرسول تعليقاته للمؤمنين الأقوياء بصفة خاصة، بالرغم من أنها تمس الطرفين. عندما اختلف مع أخي على أمر ضميري، كيف أتعامل معه؟

القواعد الأربع

للإجابة على هذا؛ يضع بولس الرسول أربع قواعد:

القاعدة الأولى في العدد الأول، ويمكن أن نلخصها في كلمة *اقبل*.

عدد ١: "قد يكون أخوك في المسيح ضعيفا، ولكنه هو أخوك. إنكما واحد في الإيمان، ومتفقان في أساسيات الخلاص. اقبله كنظير لك، ولا تسقط في فخ التنكر له. قدّم له المودة دون تحفظ، وأقبله كما هو. لا يجب أن يكون لديك أي دافع خفي كالرغبة في عرض الاختلافات، أو كسب الجولة في الجدل. لا تجعل قبولك له فرصة، تحاول من خلالها أن تربحه إلى وجهة نظرك."

القاعدة الثانية يمكن أن نلخص في *لا تحتقر*. وهذا هو الشيء الذي يميل المؤمن القوي إلى أن يفعله. إنه يميل إلى الازدراء برفيقه المؤمن الذي تنتابه

حيرة، يعتبرها المؤمن القوي أنها بلا مبرر. إنه مجرّب بأن يعتبره مؤمنا أقل درجة منه. هذا النوع من التفكير لا يجب تشجيعه.

عدد ٢ - ٣: "واحد منكم يرى أن يأكل أي شيء يريده، لكن رفيقا مؤمنا له ضمير ضعيف، يمكن أن يشعر أنه يجب أن يكون نباتيا؛ فلا يجب أن يزدري الأول بالثاني، ويعتبر أنه أدنى منه، أو أقل شأنا منه."

القاعدة الثالثة هي لا تلدين، وهي تجربة تخص المؤمن الضعيف. إنه يحكم على أولئك الذين يتمتعون بما يمكن أن يؤدي ضميره؛ لذا فهو يميل إلى إدانتهم، ويشك بقوة في إيمانهم.

عدد ٣ ب - ٤: "الشخص الذي تملأه الشكوك يجب أن يحرص على ألا يدين الشخص الذي لا يشاركه هذه الشكوك. عليه أن يتذكر أن الله قد قبل ذلك الشخص وأن الله يعتبره خادما له، وهو مسئول أمام الله فقط، وليس أمام أي شخص آخر. من أنت حتى تتصرف كما لو كان خادم غيرك مسئول أمامك أيضا؟ أما من حيث ثباته، فتق أن الله قادر على أن يثبتته. كف عن القيام بدور السيد لذلك الشخص، وحرص على ألا يكون موقفك أقل قبولا من موقف الله له."

القاعدة الرابعة هي أن كل واحد يجب أن يكون متيقنا في عقله.

عدد ٥: "هناك من يعتبر يوما أكثر أهمية من باقي الأيام، وهناك من يتعامل مع كل الأيام على قدم المساواة. بدلا من التدخل في أمور الآخرين؛ تأكد من أن ما تفعله يتم بضمير نقي."

بهذه الطريقة يشجعنا بولس الرسول أن نحيا حياتنا، بالشكل الذي يحتمل امتحان الله. علينا أن نحيا لكي نرضي الله، لا أن يحدد سلوكنا ما نتخيله آراء الآخرين. ولا يزال بولس الرسول يطبق المبادئ التي في الأصحاح ١٢: ١، ٢ حيث يظهر في تعبيرات عملية، ما الذي يمكن أن يعنيه أن تكون ذبيحة حيّة.

إن حاجتنا هي أن ننشغل بفحص أنفسنا، لنرى كم نحن بعيدون عن طاعة المبادئ التي أعلنها الرسول بولس.

ثلاثة أسباب

يعطينا بولس الرسول ثلاثة أسباب لضرورة تبني هذا النوع من التصرف تجاه الأخ الذي يختلف عنا.

السبب الأول قد أوضحه في العدد الثالث، وهذا السبب هو "لأن الله قبله". هل أنا أعظم من الله؟ إن كان الله قد قبل الشخص الذي اختلف معه؛ فمن أنا حتى أفعل عكس ذلك؟ يجب ألا يفكر الأقوياء بأن الله يمكن أن يتمجد من خلال تنكرهم لأولئك الذين قبلهم، والضعفاء لا يجب أن يظنوا أنهم يمجدون الله، من خلال تضخيم تزمّت الله بغيره لن يوافق الله عليها.

السبب الثاني هو أنه يجب أن يتصرف من منطلق تقديره لله. وهذه النقطة موضحة في الأعداد ٦ - ٩.

عدد ٦: "لماذا يحفظ أحد المؤمنين أياماً معينة بشكل خاص، بينما مؤمن آخر لا يفعل هكذا؟ لماذا يأكل الواحد أي شيء ويشكر الله، بينما يتجنب الآخر أطعمة معينة، ومع ذلك يشكر الله؟ والإجابة في كل الحالات هي لإرضاء الرب."

إننا لا نستطيع أن ننتقد شخصاً، يعمل كل شيء في حياته بهدف إرضاء الرب، ولا يمكن أن نحتقره بأي حال من الأحوال. كيف يمكن أن نزدري بأولئك الذين يعيشون حياتهم في خوف الله؟

عدد ٧ - ٩: "لا أحد منا - نحن المؤمنين - يعيش لذاته أو يموت لذاته. إن هددنا الوحيد من الحياة أو الموت هو أن نرضي الرب. كل ما نفعله هو من

أجل الرب. لقد كان السبب الذي من أجله مات المسيح وقام هو أن يثبت هذه السيادة على شعبه.

وعند ذكر الحقوق المطلقة للمسيح؛ فإن هذا يقودنا إلى السبب الثالث للسلوك الذي أمر به الرسول بولس. لقد لمس في العدد الرابع، والآن يعود إليه ثانية في الأعداد ١٠ - ١٢. *إن أخاك هو عبد للمسيح*، وهو مسئول أمام المسيح فقط.

عدد ١٠ - ١٢: "كيف يمكن أن تقيم من نفسك دياناً على أخيك، وكيف تحكم أن أخاك يجب أن يعامل باحتقار؟ الحقيقة هي أننا سوف نقف - ليس أمام بعضنا البعض - بل أمام كرسي دينونة الله. إنه وحده الذي سيحاسبنا بحسب وعود الله في العهد القديم في إش ٤٥: ٢٣. كل واحد منا سوف يُعطي حساباً عن نفسه إلى الله مباشرة."

وفي مجال الضمير، ليس هناك مؤمن مسئولاً أمام آخر. إذا كسر أحد ناموس الله الأخلاقي؛ فإن الكنيسة المحلية مسئولة عن تنفيذ التأديب من خلال النصح أو تعليق العضوية أو الحرمان، كما يوصينا العهد الجديد. لكن سلطان العمل في ذلك المجال لا يجب أن يطبق في الأمر الذي نناقشه الآن. إن أقصى ما يمكن عمله هنا هو أن نذكر بعضنا البعض، أن كل واحد مسئول بصفة شخصية أمام سيدنا، وأننا سندعى لتقديم حساب له في النهاية. إننا نحتاج إلى مثل هؤلاء الذين يذكروننا لنحفظ ضمائرنا نقية، ويساعدوننا أن نكون مستعدين للقاء الله. لكن ليس هناك حالات يمكن أن أفرض فيها ضميري على الآخر، ولا أنا يفرض هو ضميره عليّ. المسيح وحده هو رب الضمير، وكل واحد منا يثبت أو يسقط فإنما هو لسيد.

هذا معناه أن الحرية المسيحية يجب أن تقيم ويجب أن تُحفظ، وتجاهل أو إهمال تعليم بولس الرسول هذا سبب أن الكثيرين من المؤمنين قُيدت

حريتهم بواسطة الآخرين. ومع ذلك؛ فأنا أحتاج أحياناً إلى قيود اختيارية،
أفرضها على حريتي في سبيل المحبة المسيحية.

كلمة للأقوياء

هناك شيء يجب أن يلاحظه أولئك الذين يتمتعون بحريتهم. إن الطاقات
الموجودة لدى القوي، لا يجب أن تُبدد في الإشارة إلى حماقة وتفاهة شكوك
الضعيف. يجب أن يهتم الأقوياء بأمور أكبر من المحافظة على حريتهم. يجب
أن تكون رغبتهم الملحة هي عدم إعاقة التقدم الروحي لإخوتهم المؤمنين
(الضعفاء).

عدد ١٣: "لذلك دعونا ألا نحاكم أو ننتقد بعضنا البعض فيما بعد، لكن عوضاً
عن ذلك؛ دعونا نهيب عقولنا بألا نضع أي عقبة أو حجر عثرة في طريق أخ
لنا."

عدد ٢١: "حسنٌ أن تمتنع عن أكل اللحم، أو شرب الخمر، أو أي شيء يمكن
أن يُعثر أخاك، أو يعوقه، أو يضعفه روحياً. إن بولس الرسول يصر على أن
اهتمامي الأول يجب أن يكون خير أخي، وإذا أهملت هذا، فإني أتلِف إيمان
شخص مات المسيح من أجله؛ وبذلك لا يكون سلوكي بالمحبة."

عدد ١٥: "لأنه إن كان أخوك يتأذى بسبب ما تأكله؛ فإنك لست تسلك في
طريق المحبة بعد - لا تهلك بطعامك أخاً، مات المسيح من أجله."

عدد ٢٠: "لا تهدم عمل الله من أجل الطعام. كل الأشياء طاهرة، لكن عليك أن
تفهم أنها يمكن أن تكون شرّاً، للشخص الذي يتأذى ضميره من هذه الأشياء."

عدد ٢٠: "إذا كنت تشترك في مثل هذه الأمور دون أن يعثرك ضميرك،
فطوباك، لكن لا تجعل ضميرك هو المبدأ الذي يجب على المؤمنين الآخرين أن
يطبقوه. دع إيمانك يكون اقتناعك الشخصي أمام الله. طوبى للشخص الذين لا
يدين نفسه في ما يستحسنه."

واضح أن بولس الرسول يريدنا أن نتمتع بحريتنا، لكنه لا يقصد بذلك أن نستعرضها، أو نفرضها على أولئك الذين يمكن أن تتأذى ضمائرهم إذا فعلوا مثل هذه الأشياء، التي نتمتع نحن بها. وعلى الجانب الآخر، فهو لا يُجيز لنا أن نتذمر أو نشتكى، إذا وضع ضعف أخينا ضوابط لحريتنا.

عدد ١٦ - ١٩: "إذا بدأنا نستمتع بما يتأذى به أخونا؛ فإن ما نفعله لا يعدو عن أن يكون شرًا. ليس هذا هو الطريق الذي يجب أن نسلكه، فهناك الكثير من الأمور في الحياة المسيحية أهم من الأكل والشرب؛ فهذه ليست الأشياء التي تهتم. إن أي نوع من الطعام أو الشراب هو في الواقع مثل الآخر. المهم في الواقع هو البر والسلام والفرح في الروح القدس. إذا كان عندنا هذه؛ فإننا نمتلك أهم الأشياء، ولا يجب أن نئن إذا لزم أن نعيش بدون أشياء، هي ليست لها أهمية حقيقية. فتش عن الضوابط التي يمكن أن تضعها لحريتك، وانظر إليها كشئ تفعله من أجل المسيح. اخدمه بهذه الطريقة، وسوف تكون خدمتك مقبولة أمام الله، وممدوحة من الناس. على الرغم من أن حريتك امتياز ثمين من امتيازات الإنجيل، فإنها ليست أمرًا عليك أن تحفظه مهما كلف الأمر. إن ما يجب أن نحافظ عليه هو سلام الكنيسة ونموها الروحي. لنسعى في الأمور التي تقود إلى السلام، وإلى بناء بعضنا بعضًا."

كلمة للضعفاء

معظم ما قد قيل حتى الآن، كان موجهاً إلى أولئك الذين يتمتعون بحريتهم، أما الضعفاء - الذين لهم ضمير مفرط الحساسية - فهؤلاء أيضًا يخاطبهم الرسول بولس.

عدد ١٤: "أنا عالم ومتأكد في الرب يسوع، أن ليس شيء نجسًا في ذاته. إنه من الحرية المسيحية أن نفعل تلك الأمور التي ناقشناها، والتي يعتبرها البعض موضع شك. إن النقطة التي نحتاج أن نركز عليها هي أن كل من يعتبر شيئًا

ما نجسا أو كريها أو غير طاهر، فإن هذا الشيء يكون بالنسبة له هكذا. فالشيء ليس نجسًا في ذاته، لكنك أنت تعتبره مشكوك فيه من الناحية الأخلاقية، فإذا فعلته، تكون قد فعلت شيئًا مشكوكًا فيه أخلاقيًا."

عدد ٢٠ب: "كل الأشياء هي ظاهرة بالتأكيد، لكن يجب أن تفهم أنها شر بالنسبة للشخص الذي يتأذى ضميره بها."

عدد ٢٣: "إذا كنت ترعى شكوكا وأنت تفعلها، فإنك مُدانٌ. مثل هذا العمل لا ينبع من الإيمان ولا يرضي الله، إذًا فهو خطية."

يجب أن تحترس من أن تقيس الخطية ببساطة بحسب الأفعال الظاهرة. الفعل المشروع تمامًا، إذا عُمِلَ بدافعٍ خاطئٍ؛ فهو خطية. العمل المسموح به بحسب ناموس الله، يُدان من الله على الرغم من ذلك، إذا كان الدافع ليس مجد الله، وإذا كان روح العمل ليس من الإيمان. لا ينبغي على المؤمن أن يباشر أي عمل، إذا كان هذا العمل ينشئ أي شك أو وخز للضمير أو تحقُّظ أو رغبة أو تردد. لا يجب أن يخالف ضميره تحت أي ظروف، مهما كانت ضماير الآخرين. ولا يجب على المؤمن أن يفكر أنه خاسر بأي شكل من الأشكال؛ لمجرد أنه لم يستطع أن يشترك فيما يتمتع به المؤمنون الآخرون. إن متعته بفوائد ملكوت الله، لا يمكن أن تلازم شكوك ضميره. مادام لديه البر والسلام والفرح في الروح القدس، فإنه يملك الأهم.

ما أعظم الحرية التي لنا! فكل الأشياء التي لم ينها عنها الكتاب المقدس تحل لنا، وهذا ليس معناه أن كل الأشياء نافعة. كل الأشياء تحل لكن ليس كل الأشياء يمكن أن تبني شخصية مسيحية راسخة (انظر ١كو ٨: ١ - ١٣، ١٠: ١٩ - ٣٣).

ما أعجب المحبة التي يجب أن نمارسها! يجب أن أكون مهتمًا بكل غيرة بكل ما هو لصالح أخي، ولنموه في النعمة. إن أهمية هذا الأمر بالنسبة لي

يفوق بما لا يقاس التمتع بمواهب الله في هذا العالم. طالما أمتلك البركات الروحية الهامة، فلا يهمني كثيرًا إذا ما كنت أمتلك هذه الأشياء الأخرى أم لا.

لقد أصاب لوثر كثيرًا عندما قال عن الحرية المسيحية: "إن المؤمن هو أعظم سيد حر للكل، لا يخضع لأحد". وعن المحبة المسيحية قال: "الإنسان المؤمن هو أعظم خادم للكل، يخضع للكل". إن التوازن بين هذين المبدأين هو إرادة الله لنا في المجالات التي تختلف فيها ضمائر المؤمنين.

اقرأ رومية ١٥: ١ - ١٣

الأخوة الحقيقية

من المهم أن يظل تعليم الأصحاب السابق في أذهاننا ونحن ندرس هذا الجزء؛ لأنه في الواقع استمرار لنفس الموضوع، فلا يزال الرسول بولس يرينا كيف يتعامل المؤمنون الرفقاء مع بعضهم البعض، وتعليقاته تؤكد وتثبت ما سبق أن قاله. إنه يبدأ الأعداد ١ - ٦ بتوجيه كلامه إلى **القوي والضعيف**.

ثلاثة أشياء يجب عملها

أولاً: **يجب على الأقوياء أن يحملوا ضعف الضعفاء** (عدد ١). "إن الكنيسة هي شركة المؤمنين، مثلها مثل سلسلة مترابطة، وتكون قوة هذه السلسلة مساوية لأضعف حلقة فيها. إن الأقوياء يجب أن يستخدموا قوتهم، ليس في التمتع الأناني بحريتهم؛ ولكن في مساندة أولئك الذين لا يشتركون معهم في نفس القوة. إن القوي هو الذي يجب أن يحمل الضعيف ويراعي مشاعره، وليس العكس. كلما كان المؤمن قويا؛ كلما يتوقع الرب منه أن يكون أكثر حساسية ومراعاة لأولئك الذين يتمتعون معه بنفس الخلاص. إن شكوك وحيرة الضعيف يجب أن تُراعى من كل الجماعة. إن الشخص القوي الذي يستطيع أن يحيا دون حيرة وشكوك، هو القوي إلى الدرجة التي يستطيع معها أن يحتمل حيرة وشكوك الآخرين. إن مفهوم بولس الرسول عن الأخوة الحقيقية هو أن القوي يتحمل المسؤولية الأكبر في التعبير عن الأخوة."

ثانياً: **لا يجب أن يرضي أحد نفسه** (عدد ١). "إنه هنا يقول نفس الشيء ولكن بأسلوب مختلف. إن إرادة الله هي أن أتوقف عن التفكير فيما أريده. إن

التفكير الأناني يحطم الشركة. إنه شيء كان في الماضي؛ إذا كنت أنا شخصًا مجددًا حقًا. أنا لم أعد أفكر في نفسي وحدها. أنا جزء من شركة أخوة مصلحتها أكثر أهمية بالنسبة لي من رغباتي الشخصية."

ثالثًا: على كل واحد أن يرضي قريبه للخير لأجل البنين (عدد ٢).
"فكروا في الشركة التي يكون الاهتمام الرئيسي لكل شخص فيها هو الفائدة

الروحانية للآخرين. هذا هو تصوّر الرسول بولس عن الكنيسة المحلية. لا بد أن تحدث ثورة في كنائسنا؛ إذا ما تبيننا هذا التعليم. عندئذ كم سيكون التزام كل عضو! وأية صلاة سوف تُرفع من أجل الآخرين، وكيف سيكون تعبيرنا عن عنايتنا ومساندتنا العملية! عندما دعانا بولس لكي نكون ذبائح حيّة، كانت هذه ضمن الأمور المحددة في ذهنه."

ثلاثة أسباب لكي نفعل ذلك

السبب الأول الذي يعطيه لنا لكي نفعل ذلك، هو مثال المسيح، والمذكور في عددي ٣، ٥.

عدد ٣: "لقد دُعي عليك اسم المسيح، وعليك أن تتبع مثاله. هل أنت واحد من الأقوياء، ولكنك تتضايق من حرمانك حريتك من أجل شخص لا تقبل منطقته؟ هل هناك من هو مثل المسيح، الذي لم يكن لديه أية شكوك، ومع ذلك اختار طواعية أن يتحمل ضعفات الآخرين؟ إذا كان لأي شخص الحق في أن يرضي نفسه، فإن ذلك الشخص هو المسيح؛ ولكن هذا لم يكن أسلوبه. لقد كان دائمًا يضع منافع الآخرين قبل منفعتة الشخصية. الواقع أنه كان يضع إرادة الله قبل كل شيء، حتى وإن كانت تعني بالنسبة له "التعيرات"، كما هو مذكور في (مز ٦٩: ٩). يالها من طاعة مدهشة! وكم تتضاءل أمامها التضحية التي تُطلب منك!"

السبب الثاني هو تشجيع الكتاب المقدس لنا .

عدد ٤: "لقد تعلمت هذا عن المسيح من العهد القديم، فقد كُتِبَ الكتاب المقدس لأجل تعليمنا، وسوف تخسر إذا أهملت أي جزء منه. إنه يعطينا الثبات والتعزية، ويثير فينا الرجاء."

ما يفعله بولس الرسول هنا هو أنه يذكرنا بأهمية المكتوب لثباتنا. إنه يوضح أن كلمة الله تحتوي على ما هو أكثر بكثير من بعض التعليم عن الموضوع المنفرد عن الحرية المسيحية، وعلينا أن نضع في أذهاننا كل ما يقوله الكتاب المقدس وفي كل موضوع وإلا فإن أي موضوع نفحصه سوف يدرس بعيدا عن بُعد الحقيقي، ويُعطى أهمية قد لا يستحقها.

السبب الثالث هو صفات الله.

عدد ٥: "انظر أي إله هو إلهك! إنه إله الصبر، الذي يُعين الضعفاء، وإرادته هي أن تسود الوحدة والانسجام في كنيسه. ليته يمنحكم هذا، ويا ليتكم جميعا تحيون بحسب المثال الذي أشرت إليه من قبل."

إننا نحتاج أن نأخذ هذا التعليم مأخذ الجد. عندما أتصرف دون اعتبار لإخوتي المؤمنين، فهذا يعتبر أسلوبا شريرا، حتى لو لم يكن هذا العمل لا يضرهم، والأسوأ من ذلك، أن يؤدي هذا العمل إلى أن يعثر أحدهم.

ثلاث نتائج

عندما أتصرف بالطريقة المطلوبة، ولأسباب التي ذكرت؛ فإن ذلك يؤدي إلى الكثير من النتائج الجيدة. النتيجة الأولى هي "البنين"، كما هو مذكور في عدد ٢. مما لا شك فيه أنني أنا شخصياً قد بنيت روحيا بسبب خضوعي لوصايا الله، وكذلك أخي لأنه لم يُعثر ولم يتراجع للوراء؛ بل على العكس؛ فقد

أصبح موضع محبتي وعنايتي ومساعدتي. بهذه الطريقة تستفيد كل الكنيسة، وتخلو من الارتباب والانشقاق.

ولهذا فإن النتيجة الثانية هي "الوحدة"، والتي يشير إليها الرسول بوجه خاص في عدد ٦، حيث يتكلم عن الكنيسة التي تمجد الله بنفس واحدة وصوت واحد عندما يهتم كل شخص بخير الآخرين. سيكون هناك بكل تأكيد الثقة والمحبة والانسجام ووحدة الدافع والغرض، وفي هذا السياق يأمر الرب بالبركة (مز ١٣٣ : ٣٠).

وقد ذكرت النتيجة الثالثة أيضا في عدد ٦، وهي "التسبيح"، ويعطي بولس الرسول تعليماته حتى يمكن للكنيسة أن تعظم إلهنا وأبا ربنا يسوع المسيح بروح واحد وبصوت واحد. إن مجرد الوحدة الظاهرية للناس الذين يشكون في بعضهم يؤدي إلى اتهامهم بأن "هذا الشعب يكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عني" (مر ٧ : ٦). لكن ما أعظم التسبيح الذي يصعد من وسط شركة المؤمنين، التي يسود فيها الحب والانسجام! عندئذ يمكن للإنسان أن يقدم نفسه في عبادة حقيقية دون خلافات.

بهذه الملاحظة، ينهي بولس الرسول خطابه للأقوياء والضعفاء، وفي الأعداد من ٧ - ١٣ يقضي بعض الوقت متحدثاً إلى اليهود والأمم. هذا لأن الاختلاف في الأمور الضميرية لم يكن القضية الوحيدة التي تهدد سعادة وخير الكنيسة في روما؛ فقد كان هناك أيضاً موضوع التمييز العرقي أو العنصري. لقد كانت الكنيسة - كما رأينا - تتكون من كل من اليهود والأمم، وكانت هناك إمكانية أن مجموعة تعتبر نفسها أفضل من الأخرى، ويختار الرسول بولس هذه النقطة، ليقدم لنا بعض الأمور في هذا الموضوع.

شيء واحد يجب عمله

عدد ٧: "يجب على الفريقين أن يقبل أحدهما الآخر، ليس كأعظم، أو أقل، أو شيء مختلف؛ ولكن كالند أو النظير. إنك لا يجب أن تنتمي إلى مجموعة في الكنيسة أكثر من انتمائك لمجموعة أخرى، ويجب على كل شخص أن يقبل الآخر، وأن يفعل ذلك بكل حرية وبترحيب حقيقي، دون جدال، بولع ودون تحفظ. ألم يقبلك المسيح هكذا؟ عليك أن تفعل نفس الشيء، وعندما تفعل هذا؛ فإنك تمجد الله."

لقد كان بولس الرسول يعرف أن كل كنيسة محلية معرضة دائما للانقسام، وغالبًا ما يكون السبب في ذلك الاعتبارات الأنانية، الأمر الذي يجب التخلص منه تماما. إن المبدأ العظيم لقبول المسيح لنا يجب ألا يغيب عن أذهاننا، وأن يحكم الطريقة التي نقبل بها الآخرين، وهكذا يكون كل مؤمن في الكنيسة في شركة محبة مع كل واحد من إخوته المؤمنين.

سبب واحد لعمل هذا

وهذا السبب - كما يقول جون كالفن: "إنه من الصواب أن يستمروا متحدين معا، وألا يحتقر أحدهم الآخر، لأن المسيح لم يحتقر أحدا منهم."

عدد ٨: "أيها اليهود لقد أتى المسيح أولاً لكم، وكانت خدمته الأرضية في معظمها منحصرة في خراف بيت إسرائيل الضالة؛ وبهذه الطريقة أكد حقيقة أن المواعيد قد أعطيت لأبائكم، ومغزى هذه العبارة واضح؛ فلا يجب على الأمم في كنيسة المسيح أن يحتقروا اليهود؛ لأن المسيح قد أتى لهم أولاً، وبذلك تم الوعود التي أعطيت لهم قبلا."

عدد ٩: "أيها الأمم - إن مجيء المسيح لليهود كان إتمامًا للعهد القديم، وكذلك مجيئه إليكم. لقد تنبأ العهد القديم بأن الأمم سوف يتباركون بالإنجيل، عندما

أعلن أنهم سيمجدون الله من أجل رحمته. في مز ١٨ : ٤٩ يعلن بوضوح أن الله لم يكن إله اليهود فقط؛ ولكنه أيضًا إله الأمم.

عدد ١٠ : "لقد كشفت ترنيمة موسى أيضا في تث ٣٢ : ٣ أن الأمم سوف ينضمون إلى شعب الله في عبادة الله."

عدد ١١ : "ونرى في مز ١١٧ : ١ أن الأمم مدعوون ليسبحوا الله. كيف يمكن أن يكون هذا؛ إذا لم يكن لهم رحمة؟ من الواضح أنهم سوف يعاملون على قدم المساواة مع أولئك الذين كانوا قبلاً شعبه."

عدد ١٢ : "وفي إش ١١ : ١٠ يعلن بالتحديد، أن المسيا سيشمل الأمم ضمن الذين يخلصهم. إن النقطة التي يريد بولس الرسول أن يوضحها هي أن غرض الله كان دائماً أن يخلص كلا من اليهود والأمم، وقد أوضح الله هذا في كلمته مراراً وتكراراً. لا أحد منهم تم التفكير فيه متأخراً عن غيره في خطة الله، ولم يكن هناك وقت على الإطلاق، كان الله يضع قلبه فيه على فريق منهما دون الآخر، لأنه قد خطط أن يخلصهما كليهما، وقد قبلهما معاً في المسيح؛ لذلك، فإنه من المستحيل أن نرى أيّاً من الفريقين يعامل الآخر ببرود، ولا يمكن أن يقدم أي فريق للآخر أقل من قبوله المفرد."

نتيجة واحدة

عدد ١٣ : "إن حياتكم الكنسية يجب ألا تتسم بالاحتكاك بين الفرق المختلفة في الكنيسة؛ ولكن تتميز بالفرح والسلام الذي نحصل عليه بالإيمان. حيثما يوجد هذا، يوجد فيض الرجاء الذي هو في الحقيقة قوة الروح القدس. ليت إله الرجاء يملأكم بهذا الفرح والسلام."

لقد ذكر الرسول بولس من قبل السرور والسلام في الأصحاح ١٤ : ١٧، وكان متشوقاً بدرجة كبيرة لأن يختبر أهل رومية هذا السرور والسلام، ومع ذلك فلا يمكن أن تزدهر هذه الصفات في كنيسة بها انقسام؛ لذا فإنه بعدما

ناقش الرسول بولس قضية التفرقة، فإنه يصلي لكي ما تختبر الكنيسة السرور والسلام. إنها النتيجة المتوقعة عندما تطاع تعاليمه السابقة.

دعونا لا نخجل ولا نخاف من أن نطبق تعاليم بولس الرسول على أنفسنا؛ لأننا لو فهمنا ما قاله واقتنعنا به، ولكننا لم نحيا به، فإننا نكون في حالة روحية مشوشة. إن الطاعة لتعاليم الكتاب المقدس، تبشر ببزوغ فجر البركة، أما الإهمال أو عدم الطاعة فسيجعلنا في فقر روحي، وسيُظهر لي أن مراحم الله التي يفترض أن تدفعني للعمل، لا تعني شيئاً على الإطلاق بالنسبة لي، وستكون هذه أوضح إشارة على أنني شخص غير مُمتَنٍّ وغير شاكر.

اقرأ رومية ١٥ : ١٤ - ٣٣

خطط بولس وعمله

في الأصحاح الخامس عشر والعدد الرابع عشر، نرى تغييرًا ملحوظًا يطرأ على رسالة رومية. إن أسلوب ومحتوى الرسالة قبل هذا العدد قد يجعلنا ننسى أنها رسالة شخصية، لكن عند هذه النقطة فإن الأسلوب الشخصي يظهر ثانية، حيث يتحدث بولس الرسول بانفتاح إلى أهل رومية عن عمله وخطته المستقبلية. هذا يعطينا فرصة فريدة، لكي نلقي نظرة عن قرب على الرسول كإنسان. أي نوع من الناس كان ذلك الشخص الذي كتب الأصحاحات السابقة؟ لقد تعلمنا الكثير من عقيدته، لكن دعونا نتطلع إليه كإنسان، ونرى ما الذي يمكن أن نتعلمه من هذا النموذج.

قبل أن نحلل هذا الجزء، دعونا نحتفظ بأفكاره الرئيسية في أذهاننا. يبدأ بولس الرسول بالتأكيد على قرائه، أنه يقدم لهم هذا التعليم، ليس لأنه يعتقد أنهم غير قادرين أن يعلموا بعضهم بعضًا؛ بل لأنه يريد أن يذكرهم بحقائق الإنجيل الأساسية (عدد ١٤، ١٥). إن بولس برغم كل شيء هو الرسول المؤمن على إنجيل الأمم، وهو يستخدم ألفاظا كهنوتية لوصف خدمته، وكيف أن الأمم تجددوا عن طريق هذه الخدمة. إنه يقدمهم كقربان مقبول لدى الله (عدد ١٥، ١٦)، وهكذا ينظر الرسول بولس إلى الوراثة على مدى عشرين عامًا، عندما بدأ خدمته كرسول. ليس هناك ما يدعو للاستياء بما عمله المسيح من خلاله في ذلك الوقت. إنه في الواقع يفخر في ذلك.

لقد كرز في مناطق جغرافية لم يُذكر فيها اسم المسيح من قبل، وأعلن أن هدفه الثابت هو أن يُكرز بالمسيح في كل مكان لم يصل إليه إنجيل المسيح بعد (عدد ١٧ - ٢١)، ثم يتطلع بعد ذلك إلى الغرب، ويكشف عن عزمه الكرازة في أسبانيا، وأن تلك الرحلة تمثل له الفرصة التي انتظرها طويلاً لزيارة المؤمنين في روما (عدد ٢٢ - ٢٤). لكن عليه أن يزور أورشليم أولاً؛ ليسلم إليهم ما جمعه من الأمم لمؤمني أورشليم، وعندما يختم خدمته في الشرق بهذه الطريقة، فإنه سوف يبدأ رحلته - متكللاً على بركة الرب التي ستحل عليه عندما يأتي إلى روما أخيراً (عدد ٢٥ - ٢٩)، وهو يختم هذا الجزء بطلب الصلاة والبركة (عدد ٣٠ - ٣٣).

إننا نعلم بالطبع أن ما خطط له بولس الرسول لم ينفذ في النهاية. لقد تحققت خطته القريبة بالذهاب إلى أورشليم، لكن بينما كان في أورشليم؛ قُبض عليه وحُكِم، وقد أدى رفع دعواه إلى قيصر إلى أن يأتي في النهاية إلى روما، في ظروف تختلف تماماً عن تلك الظروف التي كانت في ذهنه، وهو يكتب هذه الرسالة.

والآن دعونا نجزي هذه الفقرة من الرسالة ونحن واضعين أساسها في أذهاننا. دعونا نتأمل أولاً في:

عمل بولس

عدد ١٥ - ٢١: دعونا نلاحظ طبيعة عمل بولس الرسول كما وصفه. إنه يصف نفسه في عدد ١٦ بأنه "خادم ليسوع المسيح". وهو يتحدث عن خدمة إنجيل الله "مباشراً لإنجيل الله"، مستخدماً التعبيرات التي تشير إلى أن الرسول كان ينظر إلى عمله على أنه خدمة كهنوتية. في عدد ١٩ إنه يفرح لأنه قد "أكمل التبشير بإنجيل المسيح"، وفي عدد ٢٠ يُظهر أن عمله كان "التبشير بالإنجيل" - وبكلمات أخرى، كانت طبيعة عمل بولس الرسول أن يكون خادماً ومبشراً بالأخبار السارة المُعطاة له من الله. إن ملخص ومركز هذه الرسالة -

كما شرحه في رسالته - هو يسوع المسيح. لقد آمن المسيحيون الأوائل بالمسيح من خلال نشر هذه الرسالة، وكان الإعلان الشفوي ذو السلطان هو الطريقة الوحيدة المستخدمة في نشر هذه الرسالة.

ويكشف لنا النص أيضًا مجال عمل الرسول بولس. لقد كان مخصصًا "للأمم"، بقصد أن "يكون قربان الأمم مقبولاً..." (عدد ١٦).

إن المنتقدين لعمل بولس الرسول كانوا يحتقرون الأمم غير المختونين، ويعتبرونهم نجسين، وكان رد بولس الرسول على ذلك أنهم طاهرون؛ لأنهم مقدسون بالروح القدس. ونلاحظ هنا أن الرسول يستخدم لغة الكاهن، لكن الذبيحة التي يقدمها لله ليست تمثيلاً، ولا تكراراً لذبيحة الجليثة - كما يفعل الكهنة اليوم في القديس. إن خدمته الكهنوتية هي مصالحة الأمم مع الله بواسطة الإنجيل وامتلاؤهم من الروح القدس.

من الناحية الجغرافية كان مجال عمل بولس الرسول من أورشليم وما حولها إلى الليريكين "عدد ١٩". إننا نعرف من سفر الأعمال أن بولس الرسول قد بدأ كرازته بالإنجيل في دمشق، لكنه يذكر أورشليم لأنه قد خدم هناك، كما كانت هي النقطة المحورية التي بدأت منها الكرازة بالإنجيل. أما الليريكين فهو ساحل دلماطية في يوغسلافيا الحالية، والكرازة فيها لم تُذكر مباشرة في سفر الأعمال؛ لكن يحتمل أن بولس الرسول قد ذهب إلى هناك من اليونان، قبل أن يعود إلى أورشليم حاملاً عطايا الأمم. ولكي يتجنب الرسول أن يبني على أساس آخر؛ فإنه جعل طموحه الثابت أن يعظ بالإنجيل حيث لم يُكرز بالمسيح بعد (عدد ٢٠). هذا يعني أنه حاول أن يؤسس كنائس في أماكن لا تعرف المسيح. إن موهبته المتميزة والتفويض المُعطى له، كان أن يضع الأساس، كما يذكر في ١كو ٣: ١٠، وهذا ما حَكَم كل جهوده.

ويعلق الرسول بولس أيضًا على *القوة* التي دَعَّمته واستحثته ليقوم بهذا العمل. في عدد ١٥ يتحدث عن "النعمة التي وهبت لي من الله"، إنه يركِّز على

هذه النقطة التي سبق أن تحدث عنها في الأصحاح العاشر، فهو ليس كارزًا عيّن نفسه، أو أنه قام بعمله على أساس رغبته الشخصية فحسب. إنه معيّن ومرسل من الله. وهناك تعبيرات أخرى يستخدمها لها أهمية كبرى. لاحظ العبارات: "في المسيح يسوع" (عدد ١٧)، "ما يفعله المسيح بواسطتي" (عدد ١٨)، "بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله" (عدد ١٩). إن قوة خدمته لا ترجع إلى مواهبه أو إنجازاته أو ذكائه أو قدراته الخاصة. لا شيء من هذه الأشياء كان سببًا في ذلك، لكن هناك تفسير واحد فقط لهذا كله هو أن الله كان معه. لقد أعطاه روح المسيح معونة إلهية، وبارك العمل!

ما هي نتائج هذه الخدمة؟ الإجابة في نهاية عدد ١٨. لقد أطاعت الأمم كلمة الله، والدليل على ذلك هو ما سمعه منهم شفاها، وما شاهده من حياتهم. وفي عدد ٢١ يذكر شيئًا مماثلاً، حيث يقتبس من إشعياء ٥٢: ١٥. هذا العدد يشير إلى دهشة الملوك والشعوب عندما يرون عبد الله المتألم وقد تمجد. يستخدم بولس الرسول هذا العدد ليصف نتائج خدمته. لقد أبصر الوثنيون وفهم الجهّال.

مما قاله بولس الرسول عن عمله نحن نتعلم، كيف يتقدم عمل الله في العالم. عندما يعلن الرجال - الموهوبون والمفوضون من الله - إنجيل المسيح، وعندما يكون الله بروحه معهم؛ فإن الناس رجالاً ونساء سوف يبصرون ويفهمون ما قاله الله، ويطيعونه بالقول والعمل. إننا نحتاج أن نتعلم هذا الدرس، وأن نعيه جيّدًا. دعونا نتخلّى عن كل كرازة تتعارض مع هذه المبادئ. دعونا نتضرع إلى الله أن يقيم كارزين بالإنجيل يقومون بخدمتهم بقوة روحية، ويسلموا بأن النتيجة ستكون ثمر حياة متجددة مطيعه.

قلب بولس

الأعداد ١٤ - ١٥، ٢٢ - ٢٩: إن عمل الله يتقدم بواسطة الكرازة بالإنجيل كما سبق أن رأينا. لكن علينا ألا نعتقد أن تبني وسيلة معينة، حتى لو كانت كتابية، سوف تجعل عمل الله يتم. وليس كافيًا أيضًا أن تطلب بركة روح الله لتنجح الكرازة. الكرازة هي فيضان الحق الإلهي خلال الشخصية، إنها تتطلب نوعًا معينًا من الناس. أي نوع من البشر كان بولس؟ دعونا نرى كيف يكشف لنا عن أعماق قلبه الداخلية.

ما هي الأفكار التي كانت في قلبه تجاه الهالكين؟ إنه يتوق بشدة لخلاصهم، وفي عدد ١٢ يخبرنا أن خدمته المثمرة بين الأمم هي التي منعت من تحقيق رغبته الشخصية في زيارة أهل رومية. لقد كانت هذه الرغبة طاغية، لكنه لم يسمح لها بأن تُعوق خدمته للذين هم بلا مسيح. إن كل رغبة يجب أن تدعّن لهذه المهمة الأسمى، فمع أنه قد عمل الكثير (عدد ١٩)؛ إلا أنه لم يكن مكثفيا بما عمله. طالما أن هناك أناسا هالكين؛ علينا أن نحاول الوصول إليهم. هل لأنه وجد أن أسبانيا لم يصلها الإنجيل بعد؛ لذا كان عليه أن يذهب إليها؟ (عدد ٢٤، ٢٨). لقد كان الرسول مستمرا في التخطيط لمشروعات جديدة، ولم يكن ليهدأ؛ حتى يسمع الجميع الكلمة المُخلصة. إنه لم يكن لاهوتيًا نظريًا. إن فهمه العميق للإنجيل، لم يتعارض مع غيرته على الكرازة العملية.

لكن قلبه الكبير كان مشغولاً بأفكار نحو أهل رومية. إنه يعلن في عددي ١٤، ١٥ أن رسالته لهم كانت فقط بقصد فائدتهم. لقد كان الرسول يدرك جيدًا ما لديهم من معرفة، ويعلم كل مميزاتهم وقدرتهم على أن يعلم بعضهم بعضًا، لكنه شعر أنه يجب أن يذكرهم بوضوح بالحقائق التي يعرفونها بالفعل. هذا هو السبب الذي جعله يكتب إليهم، مقرأ بشيء من الجسارة بمشاعره لمن لم يتقابل معهم من قبل، ليس لأنه لا يرغب في أن يراهم، فهذه

هي رغبته الشديدة منذ سنين كثيرة؛ ولكن لأن الفرصة لم تُتَح له (عدد ٢٢، ٢٣). لكنه سوف يمر عليهم وهو في طريقه إلى أسبانيا، متى أُتِيح له ذلك. وهو يأمل في مساعدتهم العملية أثناء مروره بهم، وأن يكتسب تشديدهم وتشجيعهم إذ يستمتع بالشركة معهم ولو لوقت قصير (عدد ٢٤). لقد كان واثقاً من مجيئه إليهم "في ملء بركة إنجيل المسيح" (عدد ٢٩). وهذا يعني أنه كان يتوقع أن خدمته سوف تكون مصحوبة بالبركات التي ينتجها إنجيل المسيح. لقد توقع زيارة مثمرة روحياً.

بالإضافة إلى المؤمنين في روما؛ كان قلب الرسول بولس مشغولاً *بالقديسين الفقراء* في أورشليم. لقد أراد أن يخدمهم أيضاً، ورتب أن يفعل ذلك بطريقة عملية (عدد ٢٥ - ٢٧). وبينما هو يكتب الرسالة كان يشرع في الذهاب إلى أورشليم، حاملاً عطايا سخية من كنائس مكدوننية وأخائية للمؤمنين الفقراء هناك. هذا الجمع كان تطوعياً تماماً، وكان مصدرًا لفرح تلك الكنائس التي قامت به. وقد أشار بولس الرسول مرات عديدة إلى قيامه بحمل هذه العطية كذروة خدمته في الشرق. لقد كان الأمم مدينون بغناهم الروحي لليهود، وقد اعتبر الرسول أنه من المناسب جداً أن يقوم الأمم بمساعدة اليهود مادياً. كان اليهود ينظرون إلى خدمة الرسول بين الأمم بارتياح، ولابد أن وصول هذه العطية المادية كان من شأنه أن يُهدئ من تلك الشكوك. وقد اشترك بولس الرسول في عمل مشابه من قبل، عندما أرسلت كنيسة أنطاكية - في سوريا - عطية لتخفيف ضغوط المجاعة على إخوتهم من اليهود (أع ١١: ٢٧ - ٣٠، ١٢: ٢٥).

إن كل هذه الأعداد تساعدنا على أن ننظر إلى داخل قلب بولس الرسول، الذي يعتبر قدوة لكل المسيحيين (ولاسيما الذين يكرزون بالإنجيل). إننا نراه مضحياً بكل معنى الكلمة، يحترق في اهتمامه بخير الآخرين؛ فقد كانت رغبته العميقة خلاص الهالكين، والخير الروحي والمادي لشعب الرب. مثل هذا القلب هو قلب الإنسان الذي يستخدمه الرب.

التماس بولس الرسول

عدد ٣٠ - ٣٣: لكن هل كان هذا الشخص - الغيور للكراسة بالإنجيل، والمؤمن المليء بالمحبة وإنكار الذات - رجلاً غير عادي؟ كلا - لقد كان في ذاته ومن ذاته ضعيفاً مثلنا جميعاً، وهذا بالتحديد هو السبب الذي جعله يختم هذا الجزء بالتماس مخلص وجاد.

إن ما يطلبه الرسول بولس هو أن يصارع قُرَّأوه في الصلاة. إنها لغة قوية. إنه يحثهم على أن يقدموا أنفسهم في الصلاة بجهد وإلحاح (عدد ٣٠). إنه يطلب أن يفعلوا ذلك معاً في الكنيسة المحلية وأن يفعلوا ذلك مجتمعين معه، وأن توجَّه الصلاة لله ولتكن لأجل الرسول بصفة محددة. *لماذا* يتوجب عليهم ذلك؟ عليهم أن يقوموا بذلك *لأجل الرب يسوع المسيح ولمحبة الروح* (عدد ٣٠). إن الدعوة للمسيح معرضة للخطر، ويجب أن يقوموا بها بدافع المحبة للمسيح.

كيف يمكن أن نضع إطاراً لمثل هذه الصلاة؟ عدد ٣١ - ٣٢ يوضحان لنا أن الطلبات يجب أن تكون محددة. وعلى العكس من أغناطيوس Ignatius - الذي استشهد في الفترة ما بين ١١٠ - ١١٧ م والذي طلب من أصدقائه أن يصلوا من أجله حتى لا يفقد امتياز أن يصير شهيداً - فإن بولس الرسول يطلب الصلاة من أجله حتى ينقذه الرب من مكائد اليهود غير المؤمنين الذين يعيشون في اليهودية. ويظهر هذا التعصب اليهودي ضد بولس الرسول بالتفصيل في سفر الأعمال من خلال معارضتهم لخدمته. كما كان بولس الرسول مهتماً أن تكون العطية التي يحملها تلقى قبولاً من أولئك الذين قُصدت أن تُرسل لهم. ربما كان يخشى أن يُساء فهم الدوافع وراء هذا العمل. على أية حال؛ فإنه يودع هذا المشروع لشفاعة قرائه. أخيراً، يطلب منهم الرسول أن يصلوا حتى يأتي إليهم في النهاية إلى روما، وأن يصلوا من

أجله حتى تكون زيارته لهم بفرح وإتمام إرادة الله، وأن تكون هذه الزيارة سبب راحة له بينهم.

ومن خلال فتح قلبه لهم بهذه الطريقة؛ يختتم الرسول بولس هذا الجزء ببركة مختصرة "إله السلام معكم أجمعين.. آمين" (عدد ٣٣).

هذه اللوحة المختصرة لخطط الرسول وعمله، تُظهر لنا أين توجد حاجتنا اليوم. إننا نحتاج إلى الرجال الذين يركزون بالإنجيل في كل مكان، بسلطان روحي، وبثمر دائم. هؤلاء يحتاجون أن يكونوا غير أنانيين، ودودين ومضحين، وأن يكونوا شاعرين بضعفهم وأن يجتدوا صلوات المؤمنين الآخرين لحسابهم. إننا لا نستطيع أن نكون كلنا كارزين بالإنجيل، لكننا جميعًا نستطيع أن نصلي من أجل أولئك الذين عينهم الرب لهذه المهمة المقدسة. من اليوم دعونا ألا ننتشغل عن الصلاة المحددة والمتحدة والجادة من أجل أولئك الذين يركزون بالإنجيل. ودعونا أن نفعل ذلك "من أجل ربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح" (عدد ٣٠).

اقرأ رومية ١٦: ١ - ١٦

لمحة عن بعض المسيحيين الأوائل

يفتح الرسول بولس الأصحاح الأخير من الرسالة، بالتحيات التي يوجهها إلى العديد من المسيحيين الذين كانوا معروفين لديه شخصياً. أما باقي القراء فلم يسبق له أن تقابل معهم، ولم يتوقعوا أن يرسل إليهم تحيات مماثلة. وكما مكننا الأصحاح السابق من أن نلقي نظرة على الرسول بولس كإنسان، فإن هذا الأصحاح يُعطي لنا امتياز أن نلقي نظرة على الكنيسة الأولى نفسها، وامتياز مقابلة بعض المؤمنين الموجودين بها.

فيبي

عدد ١، ٢: يوصي بولس الرسول كنيسة رومية بشخصية لم تتقابل معهم من قبل. ومن المحتمل جداً أن تكون فيبي هي حاملة الرسالة التي نقوم بدراستها. لقد كانت - بالتأكيد - تقوم برحلة إلى روما، وكان بولس الرسول يتوق أن تقوم كنيسة روما بالترحيب بها، وتسديد كل احتياجاتها.

إننا نرى ماذا كانت فيبي من قبل: لقد سُميت على اسم إلهة، وهذا يدل على أنها جاءت من خلفية وثنية. ومن المهم أن نلاحظ أنه لم يكن مطلوباً منها أن تتخلى عن اسمها - بكل ما يحمله من معانٍ وثنية - كما تُصر بعض المجموعات الإرسالية المعاصرة على ذلك. إننا نقرأ أنها أتت من كنخريا التي تقع شرق كورنثوس في أخائية. لقد كانت مدينة منفصلة، لكنها كانت تُستخدم كميناء خارجي للمدينة الأكبر، وتوجّه تجارتها إلى بحر إيجه.

ولقد كانت كورنثوس في ذلك الوقت مجتمعًا منحلًا أخلاقيا، وكلمة كورنثوس في اليونانية تعني فاسق. لقد جاءت فيبي من منطقة سيئة السمعة.

نرى أيضًا كيف أصبحت فيبي: يدعوها بولس الرسول "أخت"، وهي كلمة تحمل الكثير من المعاني، خاصة عندما نفهم بوضوح تعليمه المبكر عن التبني. هنا - في الأصحاح الأخير - دليل حي على حقيقة أن الإنجيل ليس مجرد مجموعة من العقائد، لكنه الوسيلة الفعلية التي يستخدمها الله لخلاص البشر (انظر أيضا ١: ١٦).

وتُوصف فيبي أيضًا بأنها "خادمة" أو دياكون diakonos كما في الأصل اليوناني، وهذا لا يعني أنها كانت تشغل وظيفة شماس؛ لأن تلك الوظيفة - مثلها مثل وظيفة الشيخ - كانت قاصرة على الرجال (١ تيمو ٣: ١٢).

صحيح أن كلمة Diakonos تُستخدم لوصف وظيفة شماس، لكن هناك معان أخرى كثيرة لها. كل ما يمكننا قوله هو إن فيبي كانت تمارس مواهبها وملكانتها بشكل ملحوظ، وكان ذلك لخير الكنيسة المحلية، حتى أنها سميت بالتسمية الصحيحة "خادمة". إنها لم تنشغل بالتسلط أو بالتعليم داخل الكنيسة، لأن وصايا الرسول في ١ تيمو ٢: ١٢ تلغي ذلك تمامًا. إن طبيعة خدمتها عُبِّرَ عنها بكلمة "مسعفة" أو "مساعدة" في عدد ٢. هذه الكلمة تُستخدم لتصف أولئك الذين يُظهرون الرحمة للفقراء، والمرضى والمهجورين. لقد استفاد الكثيرون من خدمتها، بما فيهم الرسول نفسه، كما يقر في نهاية عدد ٢. ربما تكون فيبي قد استضافته كما فعلت ليدا في فيليبي. ويبدو أن فيبي كانت ميسرة الحال، وليست امرأة تقبل مساعدة من الكنيسة المحلية، بالرغم من أن هذا ليس مستحيلًا لأنه توجد دلائل تثبت أن الكنيسة الأولى كانت تدعّم نساء بخلاف الأرامل (١ تيمو ٥: ٣ - ١٦)، منذ وقت مبكر جدا. على أي حال، كانت فيبي امرأة نافعة بدرجة فائقة. ومع أن كلمة الله تمنع

النساء من بعض الخدمات، لكن علينا أن نتذكّر أن الخدمات المسموح بها لهن من أجل المسيح، لا تُقدّر بثمن.

بعد ذلك نرى ماذا يطلب الرسول بولس من كنيسة رومية: إنه يطلب أن تُقبل فيبي كعضو في نفس الأسرة - "في الرب". أن تُقبل كما ينبغي أن يُقبل المؤمن، وأن يُقدّم لها العون في كل ما تحتاجه. وهذا يوضح لنا العلاقات الجيدة التي كانت بين الكنائس في ذلك الوقت المبكر. لقد كانت تلك الكنائس الأولى تساعد أعضاء الكنائس الآخر وترحب بهم. لقد كان لدى تلك الكنائس الإحساس بالانتماء لبعضها البعض، الأمر الذي أصبح - وللأسف - نادر الوجود في يومنا هذا.

بعض المسيحيين الآخرين

عدد ٣ - ١٦: دعونا ننقل من فيبي - التي كانت موجودة مع بولس الرسول وهو يكتب هذه الرسالة - إلى بعض المؤمنين الآخرين الذي يذكرهم. لقد قابلهم بولس الرسول في أماكن مختلفة من العالم، لكنهم كانوا في ذلك الوقت في روما، وفي شركة مع الكنيسة هناك. وبدلاً من أن نمر عليهم اسماً بعد اسم؛ دعونا نأخذ وقتاً في النظر لمميزاتهم الخاصة.

لقد كانوا من الرجال والنساء الذين عملوا بكل اجتهاد ومشقة من أجل تقدم الإنجيل. بريسكلا وأكيلا وُصفا بأنهما عاملان مع بولس الرسول، وقد كانت الكنيسة - في وقت كتابة الرسالة - تجتمع في بيتهما (عدد ٣ - ٥). ومريم التي تعبت كثيراً من أجل كنيسة رومية، تُمتدح في عدد ٦. أوربانوس وتريفينا وتريفوسا وبرسيس المحبوبة، كل هؤلاء يعلق الرسول على أعمالهم (عدد ٩، ١٢). تُرى كم من المؤمنين الآخرين في كل مكان من العالم يمكن للرسول أن يضيفهم إلى هذه القائمة؟ لقد كانت الكنيسة الأولى غنية بأولئك الذين لا يعرفون الكسل، وإنما كانوا يعملون بكل طاقتهم من أجل الإنجيل.

إن كلمة "عُتِقَ" تبدو مناسبة لوصف نوعية أخرى، كان الرسول بولس يتحدث عنها؛ فالأعداد ٣ - ٤ تتحدث عن مناسبة غير مسجلة، عندما خاطر بريسكلا وأكيلا بحياتهما من أجل بولس الرسول، وبذلك استحقوا العرفان بالجميل من كل كنائس الأمم، الذين يدينون كثيرًا للرسول بولس. ويذكر عدد ٧ أندرونكوس ويونياس، ولا نعلم إن كانا رجلين أم رجل وامرأة. لقد كانا قريبي بولس الرسول، وقد سُجنا معه في وقت ما من أجل الإنجيل. وكانا أيضًا معروفين جيدًا للرسول، وظاهرين بينهم كمؤمنين بارزين. لقد قبلنا الإيمان في مرحلة مبكرة، ويحتمل أنهما كانا منضمين إلى دائرة الرسل في الأيام الأولى في اليهودية. وهناك مؤمن آخر من نفس النوعية هو أبلِس المذكور في عدد ١٠. لقد جُرِب بشدة؛ لكنه صار كالذهب النقي، كما نفهم من كلمة (المزكى). هل تعرّض لخطر أو متاعب أو سجن؟ نحن لا نعرف؛ لكنه كان معروفًا جيدًا كواحد من المجموعة التي عُرفت بصمودها وشجاعتها.

في تلك الكنيسة المبكرة أيضًا، كانت هناك مشاعر. إن التحيات المُرسلة تُوحى بهذا، والألفاظ المُستخدمة توحى بأكثر من هذا. لقد أحب أكيلا وبريسكلا الرسول بولس أكثر من حياتهما (عدد ٤)، وأبينتوس أول مؤمن بالمسيح من مقاطعة أسيا هو "حبيبي" (عدد ٥)، كذلك أمبلياس (عدد ٨)، وإستاخيوس (٩)، وبرسيس (١٢). كذلك الإشارات إلى أكيلا وبريسكلا (عدد ٣، ٤)، وأندرونكوس ويونياس (عدد ٧)، وأوربانوس (عدد ٩)، وأبلِس (عدد ١٠)، وهيروديون (عدد ١١)، وتريفينا وتريفوسا (عدد ١٢)، وروفس وأمه (عدد ١٣) - يصفهم جميعًا بأنهم محبوبون. إن المناخ العام الذي يسود على هذا النص هو مناخ المشاعر الدافئة والمخلصة. إنها الروح التي كانت سائدة في الكنيسة الأولى، والتي عبّر عنها من خلال التحيات التي كانوا يتبادلونها (عدد ١٦). إن "القبلة المقدسة" يمكن ألا تروق لقراء القرن العشرين، ويمكن التنبيه على أنها تمثل شكلاً من التحية مرتبطاً بالثقافة وبالزمان والمكان، ولا يجب أن تُفرض على كنائس المسيح التي في ثقافات مختلفة. لكن إذا كانت تحياتنا للمؤمنين دون

المودة والحنان، فإننا بذلك نقصّر فيما يطلبه الكتاب المقدس منا في هذا الشأن.

التكامل كان مظهرًا آخر. إن الحواجز التي تقسم العالم، لم يُسمح لها بأن تقسم الكنيسة. أوربانوس (عدد ٩) - كما يُوحى اسمه - وُلد وتربى في المدينة بكل تأكيد، ويُحتمل أنه قد تربى في روما نفسها. إستاخيس (عدد ٩) الذي يعني اسمه "سنبلة قمح" كان بالتأكيد يسكن في الريف، لكننا نجدهما معا في نفس الكنيسة، وتُذكر أسماؤهما جنبًا إلى جنب. من الواضح أن هؤلاء المؤمنين الأوائل لم يكونوا يعرفون شيئًا عن الشك المتبادل الموجود غالبًا بين سكان المدينة والريفيين. هرميس (عدد ١٤) هو اسم عبد، وأولئك الذين من أهل أرستوبولوس (عدد ١٠) يُحتمل أنهم كانوا عبيدًا أيضًا، ومع ذلك كانوا في نفس الكنيسة مع هيروديون (عدد ١١)، الذي يُحتمل أنه كان أحد أفراد أسرة هيرودس الحاكمة، ومع جوليا (عدد ١٥)، التي كان يُعتقد أن لها علاقة ما بالأسرة الحاكمة. أولئك الذين كانوا على النقيض في المستوى الاجتماعي، اتحدوا ببعضهم البعض كإخوة وأخوات في المسيح. روفس (عدد ١٣) كان مؤمنًا متميزًا، وكانت أمه كأم لبولس الرسول. لقد كان في الغالب ابن سمعان القيرواني (مر ١٥: ٢١)، وربما يكون هو سمعان الذي يدعى ينجر (أسود) في أع ١٣: ١. فإذا كان الأمر هكذا، فذلك دليل عظيم على أن اللون لم يكن عائقًا في الكنيسة الأولى.

أخيرًا - كان يوجد في الكنيسة المبكرة إحساس بالجامعية. لكن علينا ألا نسيء فهم هذه الكلمة، لأنها تعني ببساطة "العالمية"، والمسيحيون الأوائل لم ينسوا قط أنهم ينتمون إلى عائلة عالمية. عندما تمر بهم امرأة مسيحية من كنيسة أخرى؛ يجب أن تلقى الترحاب وتلبي كل احتياجاتها (عدد ١، ٢). هل هناك زوجان عملاً شيئًا عظيمًا من أجل المسيح؟ لابد أن يُعرف هذا في كل الكنائس، ويُقدّم الشكر لله من أجلهما (عدد ٤). هل هناك رسالة من رسول إلى كنيسة خاصة؟ فلابد أن تحمل تحيات من كل كنائس المسيح (عدد ١٦). إن

الكنائس الأولى لم تكن تعرف شيئاً عن العزلة. إن تبادل الأخبار والتحيات وخطابات التوصية وأيضاً التعبيرات العملية عن الشركة - مثل الصلوات والعطايا - كل هذه معا تؤكد أن الكنائس كانت على اتصال منتظم، وكانت كل كنيسة تعترف بالأخرى بتعبيرات أعضاء "كنيسة المسيح".

قبل أن نترك هذه التحيات علينا أن نلاحظ أن بولس الرسول لم يرسل تحية إلى بطرس الرسول. لو كان بطرس الرسول في روما في ذلك الوقت - كما تؤكد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية - لكان هذا مستغرب جداً. في الحقيقة، لو كان هناك رسول آخر في روما؛ فما الداعي لأن يكتب بولس الرسول إلى الكنيسة هناك؟ ولا سيما أنه يكتب ليذكرها بأساسيات الإنجيل. إننا مضطرون إلى الاستنتاج بأن بطرس الرسول لم يكن في روما، عندما كتب بولس الرسول هذه الرسالة، وأن ادعاء الروم الكاثوليك غير حقيقي. ولا يوجد دليل كتابي أو تاريخي محدد على أن بطرس الرسول قد ذهب إلى هناك فيما بعد، بالرغم من وجود بعض الأساطير عن ذلك. على أية حال، من المؤكد أن بطرس الرسول لم يكن مؤسس كنيسة روما ولا أسقفها الأول؛ لأنه لو كان الأمر هكذا، فكيف لا يشير إليه بولس الرسول بأي شكل من الأشكال؟ إن نص التحيات هذا نص هام، أليس كذلك؟

السر الداخلي في الكنيسة الأولى:

الصفات التي قد لاحظناها قبلاً، كلها نادرة الوجود اليوم، فما السبب في ذلك؟ هل الكنيسة المبكرة كان لها سر داخلي قد نعرف عنه القليل، وقد لا نعرف عنه شيئاً؟ إن الإجابة على ذلك نجدها في الأعداد ٢، ٣، ٧ - ١٣. لقد استخدمت التعبيرات: "في المسيح" أو "في الرب" عشر مرات في هذا النص، والاستخدام المتكرر لهذه التعبيرات يُلقي الضوء على واحدة من أعظم الاختلافات بين كنائس القرن الأول والكنائس في عصرنا الحاضر.

هذه التعبيرات المتماثلة تُستخدم بمعنىين. تأمل في الأعداد ٧، ٨، ١١، ١٣، تجدها تُستخدم بمعنى الشخص المُخلص. عندما يُقال أن أندرونكوس ويونياس كانا "في المسيح" قبل بولس الرسول فهذا يعني ببساطة أنهما قد تجدّدا قبله. وعندما يُقال عن أمبلياس "حبيبي في الرب" فهذا يعني أنه كان أخًا مؤمنًا محبوبًا. وأولئك الذين من أهل نركيسوس "الكائنين في الرب" الذين يسلم عليهم بولس الرسول، كانوا أعضاء في بيت ارتبط بالمسيح. أما روفس "المختار في الرب" فيعني أنه كان مؤمنًا ومن الصفوة الخاصة.

لكن هذه التعبيرات تُستخدم بمعنى مختلف في الأعداد ٢، ٣، ٩، ١٠، ١٢، إذ تشير إلى شيء عُمِلَ لأجل الرب، في سبيله، أو له. إن قبول فيبي "في الرب" يعني قبولها قبولًا يليق بشخص ينتمي إلى المسيح. مساعدة أكيل وبريسكلا لبولس "في المسيح يسوع" تعني أنهما عملا للمسيح، تماما مثل أوربانوس وتريفينا وتريفوسا وبرسيس. كذلك احتمل أبلس التجربة "في المسيح" أي تحملها في سبيل المسيح، وبدافع محبته له.

وبحسب العهد الجديد، فإن المؤمن هو شخص "في المسيح". وقد استُخدم هذا التعبير ليشير إلى أن المسيح قد أصبح الدائرة والأساس والجو الذي يحيا فيه المؤمن. والأشياء التي يعملها المؤمن من أجل المسيح هي أيضًا "في الرب". إن ما يميّز المسيحية هو أن المؤمن له علاقة بالمسيح. والمسيحيون الأوائل لم ينسوا هذا، لقد كانوا للمسيح، كل ما كانوا يفعلونه كان لأجله. لقد كانوا يعيشون حياتهم أمامه، وكانوا يفعلون كل شيء من أجله - دون التفكير في أنفسهم ولا لأي مصلحة شخصية.

وبكلمات آخر، فإن حياتهم الشخصية والكنسية كانت تدور حول المسيح. إنهم لم يستطيعوا أن يرحبوا أو يسلموا أو يكتبوا لبعضهم البعض دون أن يشيروا إليه. لقد كان المسيح حُبهم الأول، وهذا هو السبب في أن سراج الكنيسة كان يسطع بشدة في روما (قارن رؤى ١: ٢ - ٧). ومع هذه المشاعر الحية نحوه، كيف يمكن أن يكونوا إلا جاذين في العمل، شجعانًا

حانين على بعضهم متكاملين ينتمون لكنيسة جامعة؟ لكن عندما يخبو لهيب الصلاة المركزة في المسيح، فإن هذه الصفات تخبو وتضعف أيضًا.

كيف يمكن أن تتأجج محبتي للمسيح؟ من خلال التأمل في مراحم الله لي في المسيح، كما هو موضح في الأصحاحات ١ - ١١. كيف يمكن التعبير عن محبتي له؟ عندما أخضع لإرادته لي كفرد في الكنيسة والمجتمع، وفي المجالات التي تختلف فيها الضمائر، كما هو موضح في الأصحاحات ١٢ - ١٥.

هناك نقطة تحتاج أن نركز عليها، فالمكان الذي يجب التعبير فيه عن المحبة أولاً هو الكنيسة المحلية. هذا ما علّم به بولس الرسول في الأصحاح ١٢، وهذا هو ما كان يفعله المسيحيون الأوائل. لقد تقابل بولس الرسول مع الأشخاص المؤمنين الذين ذكرهم في هذا الأصحاح - في أجزاء مختلفة من العالم ومع ذلك عرف كيف يتصل بهم حينما انتقلوا إلى روما. لقد كان متأكدًا أنهم سيتحدون بكنيسة الله هناك، وأنهم سيخضعون للنظام المعطى لهم من الله، والذي قد صُمم بدقة لحفظهم وخيرهم الروحي.

إن المسيحي الذي لا يلتزم بكنيسة كتابية، قد فقد بالفعل محبته الأولى، وهذا لا يعني أن كل أعضاء الكنيسة ممثلون بمحبة المسيح. للأسف - هذا نادر جدًا. لكن عندما تدور حياة الكنيسة حول المسيح، وعندما يُعمل كل شيء لأجل المسيح؛ حينئذ نبدأ أن نرى حياة المؤمنين من نوعية الحياة التي يذكرها هذا النص.

اقرأ رومية ١٦: ١٧ - ٢٧

تعليقات ختامية

نأتي الآن إلى الفقرات الأخيرة لهذه الرسالة الهامة. ما هي الأمور الهامة التي كان الرسول العظيم يشعر أنه يجب أن يقولها قبل أن يختم رسالته؟ ما هي الموضوعات التي يجب أن تكون كلماته الختامية؟ وما هي الأصدقاء التي كان يريد أن يتركها ترن في أذهان قرائه وهو يستعد للفرج؟ دعونا نرى.

تحذير

عدد ١٧ - ٢٠: أولاً يتوسل إليهم أن ينتبهوا إلى تحذير صريح، تعتمد عليه صحتهم الروحية. إن كل ما قاله لهم يُصبح بلا قيمة إذا لم ينتبهوا إلى هذا التحذير.

متى ينبغي الانتباه إلى هذا التحذير؟ هل يحاول الرسول ببساطة إعدادهم ضد ما يمكن أن يحدث في المستقبل؟ كلا - لكن لكي يكونوا منتبهين الآن وهو يكتب عدد ١٧، حتى إذا كانت الكنيسة كما وصفها في روم ١٥: ١٤؛ فإنها تحتاج إلى الانتباه. ليس هناك كنيسة - مهما كانت ناضجة أو مؤسسة جيداً - يمكن أن تكون بمنأى عن الخطر الذي سوف يذكره.

من أي شيء تحتاج الكنيسة أن تتحذر؟ الإجابة في عدد ١٧. إنهم أولئك الذين يسعون لانقسامها ويجعلونها مُعثرة روحياً. إنهم يفعلون هذا عن طريق نشر عقيدة مضادة للعقيدة الرسولية التي قد تعلمتها الكنيسة. مَنْ

يستطيع أن يقدّر أهمية العقيدة الصحيحة؟ إن العقيدة الصحيحة تؤسس كنيسة مسيحية، والانحراف عنها يدمر الكنيسة. لقد أعطى بولس الرسول لأهل رومية تصريحاً رسمياً عن الإنجيل. إنه يؤكد على أن أولئك الذين يقسمون ويدمرون الكنيسة، يمكن تمييزهم بسهولة، بسبب انحرافهم عن الحق الذي شرحه. واضح أنه لا يتحدث عن مؤمنين جاهلين أو غير ناضجين، لا يفهمون باستمرار ما يتعلمونه. إنه يشير إلى أولئك الذين ينشرون أفكاراً تناقض التعليم الرسولي.

ما هي المبادئ التي تحرك مثل هؤلاء الناس؟ إنه يخبرنا في عدد ١٨ بالإجابة. إنهم يدعون أنهم خدامٌ للمسيح؛ لكن الحقيقة أن رغبتهم الأساسية ليست خدمة المسيح، بل إشباع شهواتهم. إن شعبهم ومصلحتهم الخاصة، لها الأهمية الأولى لديهم، وتأخذ الأولوية قبل اهتمامهم بالحق وخير الآخرين. هذه هي سمتهم الحقيقية، والتي نحتاج أن نميزها. إن تعليقات بولس الرسول توضح أنه - كما أن هناك ارتباطاً بين العقيدة الصحيحة والتقوى (كما برهن على ذلك في أصحابات سابقة) - هناك أيضاً ارتباط بين العقيدة الزائفة والأنانية.

لماذا يشكل هؤلاء الناس خطورة بهذه الدرجة؟ لأنهم يظهرون بالصورة التي تجعل الناس يصدقونهم (عدد ١٨). إنهم يُظهرون الكثير من التشويق والجاذبية والإقناع واللباقة في الحديث، وعادة ما ينخدع العامة بهم بسهولة. هؤلاء يقودون غير المتشككين أن يبتعدوا عن الحق إلى الخطأ المهلك. إن أسلوبهم يشبه أسلوب الحية. من الصعب الحكم على شخص من خلال أسلوبه وأخلاقه وقدرته على الكلام. الحق هو الفيصل، ويجب أن يكون له الاعتبار

فوق كل شيء. في عدد ١٩، يعبر بولس الرسول عن فرحه، لأن طاعة أهل رومية للإنجيل قد ذاعت إلى الجميع. بالسعادة بهم! لكن رغبته العظمى هي أن ينموا قدراتهم على التمييز. إنه يريدهم أن يكونوا أذكاء في تمييز ما هو صالح، أما في اتباع الشر أو الاقتناع بالخطأ؛ فإنه يريدهم أن يكونوا أغبياء.

كيفية التعامل مع المعلمين الكذبة؟ إن إجابة الرسول الملهم في عدد ١٧، تقطع الطريق على الكثير من الاتجاهات الحديثة. إنه يعلن لهم أن هؤلاء يجب أن يكونوا مميزين وتحت الملاحظة وموصومين. كنيسة المسيح الحقيقية لا يجب أن يكون لها أي اتصال مع هؤلاء المعلمين الكذبة. لا يجب قبولهم أو الإصغاء إليهم، أو الدخول في حوار معهم. لا يجب التعامل مع الحق المعلن بنفس التعامل مع الفكر البشري والضلال البشري. إن عدد ١٧ وحده كافٍ لبيان لكل مؤمن أنه ليس لديه حق كتابي في أن يستمر في أي موقع يعلم فيه ضلال عن الإنجيل، أو يُسمح بهذا الضلال. على سبيل المثال، فالمؤمن لا يمكن أن يكون مطيعاً للكتاب المقدس، ويظل في مجلس الكنائس العالمي، أو في أحد قطاعاته؛ لأن هرطقاته المستنكرة يتم مناقشتها كما لو كانت بصيرة مسيحية مشروعة.

إن الإنجيل الرسولي الذي قد درسناه، هو فقط الإنجيل الصحيح، ويجب أن نطبق أقوال الرسول بولس في التعامل مع كل شيء ينحرف عنه أو يساوم معه. صحيح أن المؤمنين المسيحيين يجب أن يُظهروا محبة غير محدودة لكل الرجال والنساء، لكن صحيح أيضاً أنه عليهم أن لا يساوموا أو يتسامحوا مع الضلال.

ما الذي يشجّع الكنيسة في هذا الموقف؟ في عدد ٢٠، يؤكد لنا بولس أن الانتصار النهائي هو في يد إله السلام، وليس لمقترفي الانقسام. إنه سيسحق الشيطان قريباً تحت أقدامنا، وحتى ذلك الوقت؛ علينا - كجنود - أن نقاوم الضلال. لكننا قريباً سوف ننطلق، وسوف نقف على رقبة كل ما هو شيطاني. هذا يجب أن يشجعنا ألا نصادق العدو لئلا نهلك معه. أي نعمة تلك التي نحتاج إليها، لكي تمنعنا من أن نفعل هذه الأمور! ربما يفسر هذا لنا البركة التي في نهاية عدد ٢٠.

تحيات من...

عدد ٢١ - ٢٤: بعد أن أعطانا هذا التحذير الشديد، فإن لدى الرسول بولس مهمتان إضافيتان عليه أن يؤديهما قبل أن يُنهي رسالته. ربما كان ينوي أن يختم بعدد ٢٠، لكنه شعر أنه لا يجب أن يفعل ذلك حتى يرسل تحيات من المؤمنين الذين كانوا موجودين معه. أي توازن ذاك الذي كان في هذا الإنسان التقى! إنه لا يتسامح مطلقاً مع الضلال؛ لكن سرعان ما نرى قلبه ينفتح ثانية، وهو يرسل التحيات الرقيقة من أخ لأخ. إنه نفس الرجل، صاحب القلب الممتلئ بالنعمة والحق، ليس بصورة كاملة مثل ربنا يسوع المسيح (يو ١: ١٤)، ولكن بالدرجة التي تكفي لكي نميزه، بأنه أكثر الناس تشبهاً بالرب يسوع. إن الرسول يحارب بكل قواه من أجل الحق في جانب؛ لكنه يعلن البركة المُنعم بها ويرسل التحيات الأخوية في الجانب الآخر.

دعونا نرى ممّن تأتي التحيات. تيموثاوس ذراعه الأيمن، ولوكيوس الذي من المحتمل أن يكون لوقا. أما ياسون فقد يكون الشخص الذي استضافه في

تسالونيكي (أع ١٧: ٦ - ٧، ٩)، وسوسيبارتس هو أحد أفراد الفريق الكرازي، الذي رافق بولس الرسول في هذه المرحلة من خدمته.

ترتيوس كتب هذه الرسالة كما أملاها عليه الرسول بولس، وهو الوحيد الذي يُذكر كناسخ في العهد الجديد. ربما كان ناسخاً محترفاً. لقد كان مؤمناً بكل تأكيد، ووفقاً لروح المحبة التي كانت منتشرة في الكنائس الأولى؛ فإنه يرسل تحياته في الرب. ومن اللائق جداً أن الشخص الذي قدم لنا خدمة عظيمة - بنسخ هذه الرسالة القيمة والمتفردة - أن يُسمح له بإرسال تحياته الشخصية. وتلي تحيات هذا الناسخ المتضع تحيات غايس - مضيف بولس الرسول في ذلك الوقت - ومن المحتمل أنه يوستس المذكور في أع ١٨: ٧، والذي كان بيته ملاصقاً للمجمع، وكانت كل كنيسة كورنثوس تجتمع في بيته. إن كل كنيسة المسيح في كل مكان، يجب أن تعترف بجميل هذا البيت؛ لأن هذه الرسالة المجيدة كتبت داخل جدران هذا البيت.

كان أراستس هو أمين خزانة مدينة كورنثوس، وقد اكتُشف رصيف يحمل هذا الاسم هناك، لكن صاحب هذا الاسم كان كاتب أعمال المدينة. ثرى هل هو أراستس نفسه؟ إذا كان هو نفس الشخص، فهل يكون قد رُقّي بعد ذلك إلى أمين الخزانة؛ بسبب جدارته وأمانته؟ أم خُفِضت مكانته لأنه أصبح مسيحياً؟ إننا لن نعرف، ولن نستطيع أن نعرف بدقة المقصود بـ(كوارتس الأخ). هل يعني هذا ببساطة أنه مسيحي، كان موجوداً أثناء كتابة بولس الرسول لهذه الرسالة؟ أم أن هناك سبباً آخر لذكره؟ هل كان مثلاً أخاً لترتيوس؟ أي من أسرته؟

عند هذه النقطة (عدد ٢٤)، يكتب بولس الرسول البركة، ويختتم رسالته. لكن النيران تلتهب في قلبه ثانية ويقرر أن هناك شيئاً آخر ينبغي أن يقوله. إنه يختار أن يعزز ما قد كتبه بترك بعض الملاحظات القوية، ترن في أذهان قرائه وهو يفعل هذا من خلال تسبحة ختامية.

تسبحة ختامية

عدد ٢٥ - ٢٧: السطور الختامية عبارة عن تمجيد منسوب لله، وهي تبرز حقائق مختلفة؛ مثلها مثل ختام أي سيمفونية عظيمة، تترك نغمة رائعة ترن في الأذان. إن موسيقى الرسالة لا تخبوا تدريجيا لكن النغمة الأخيرة مجيدة ومشبعة، ولا يمكن أن تُنسى.

إنها تعلن بصوت عالٍ مَنْ هو الله (عدد ٢٧). إنه وحده الله، وهو وحده الحكيم. إنه المستحق لكل إكرام ومجد. إنه أزلي، ومع ذلك يمكن الاقتراب إليه ومعرفته من خلال الرب يسوع المسيح. إنه قادر أن يثبت جيدًا أولئك الذين اهتموا إليه، وهذه الحقيقة هي أحد التعاليم المميزة للإنجيل الوحيد الصحيح الذي بشر به بولس الرسول (عدد ٢٥).

إن بولس الرسول يختم؛ لكنه - كما قال من قبل - يأمل أن يرى قراءه في المستقبل ومع ذلك قد لا يستطيع أن يصل إليهم على الإطلاق، لكنهم لم يكونوا في يديه، وإنما في يدي الله. والإله الذي يتكلم عنه هو هذا الإله. هل يوجد أمان لهم أكثر من ذلك؟ علينا أن نتضع وأن نتذكر دائمًا أنه يلزم قوة يهوه لتثبيت وحفظ شعبه في الحق. إنه شعب الله، لا يمكنه أن يستمر بدون، لكن معه يستطيعون أن يستمروا، حتى إذا لم يكن هناك أي معونات بشرية.

النغمة الأخيرة تعلن أيضًا امتياز الحياة في عصر العهد الجديد. الأعداد ٢٥، ٢٦ توجهنا إلى حقيقة أن الإنجيل سرّي، وفي الإنجليزية تستخدم كلمة سر mystery للإشارة إلى الإلتباس أو الحيرة الدائمة؛ لكن في العهد الجديد تشير الكلمة سر إلى شيء مخفّى قد أعلن مؤخرًا. إن الإنجيل هو سر.

إنه نظام الحق الذي لا يستطيع العقل البشري المانت أن يكتشفه. لقد كان منذ الأزمنة الأزلية في ذهن الله، وأعلن مؤخرًا في الوقت المحدد. وقد عُرف بالتدريج عبر القرون الطويلة من خلال الأنبياء، لكن الآن - وقت كتابة بولس الرسول لهذه الرسالة - أصبح معروفًا تمامًا. وتمضي الآيات لتخبرنا أنه قد أصبح معروفًا لكل الشعوب. لقد أصبح معروفًا من خلال الكتب المقدسة، التي لم تعد قاصرة على اليهود، بل أصبحت ملكًا للجميع. ولقد أصبح معروفًا للجميع بواسطة أمر الإله الأزلي. لقد أصبح معروفًا بهدف إحضار الناس لإطاعة الإيمان. إنه "سر مُعلن".

هذه الملاحظات لابد وأن تكون قد ملأت القراء الأصليين بإحساس عظيم من العرفان بالجميل. أي امتياز هذا أن يعيشوا في مثل ذلك الزمان، وأن يكونوا المتلقين للإنجيل الأزلي، الذي أُعلن الآن تمامًا! لابد أنهم اشتركوا مع بولس الرسول بفرح في تسبحته الختامية. وهل يمكن أن يكون تأثير ذلك علينا مختلفًا؟

لكن التسبيح يجب أن يكون مصحوبا بإجراء عملي. إن الأولوية
العظمى للكنيسة المسيحية تذكر هنا. إنها "الكرازة ببسوع المسيح"
(عدد ٢). إن أمر الله الأزلي يؤكد أن السر المعلن هو - الآن - معروف في
كل العالم. إنه رسالة الله المقدمة لجميع الأمم من خلال الكتاب المقدس. إذا
لم يكن الأمر كذلك؛ فنحن أنفسنا لا نكون قد دخلنا إلى "إطاعة الإيمان". إن
الآخرين قدّموه لنا؛ فهل نظل الآن صامتين، ونحتفظ بالرسالة لأنفسنا؟ دعونا
نعلن الإنجيل المجيد لكل الناس في كل مكان؛ حتى تكون هناك نغمة دائمة
الارتفاع معلنة:

لله الحكيم وحده، ببسوع المسيح، له المجد إلى الأبد.
آمين.

هذا الكتاب
تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية

تعريب ونشر هذا التفسير المهم لرسالة رومية الإنجيلية إنجاز مهم لفائدة الكنيسة العربية بكافة طوائفها. معروف أن رسالة رومية هي التي استخدمها الرب لتفجير الإصلاح الإنجيلي بسبب رسالتها الأساسية عن نعمة الله التي تبرر البشر الخطاة البائسين بالإيمان على عمل الله الخلاصي الكامل في المسيح يسوع.